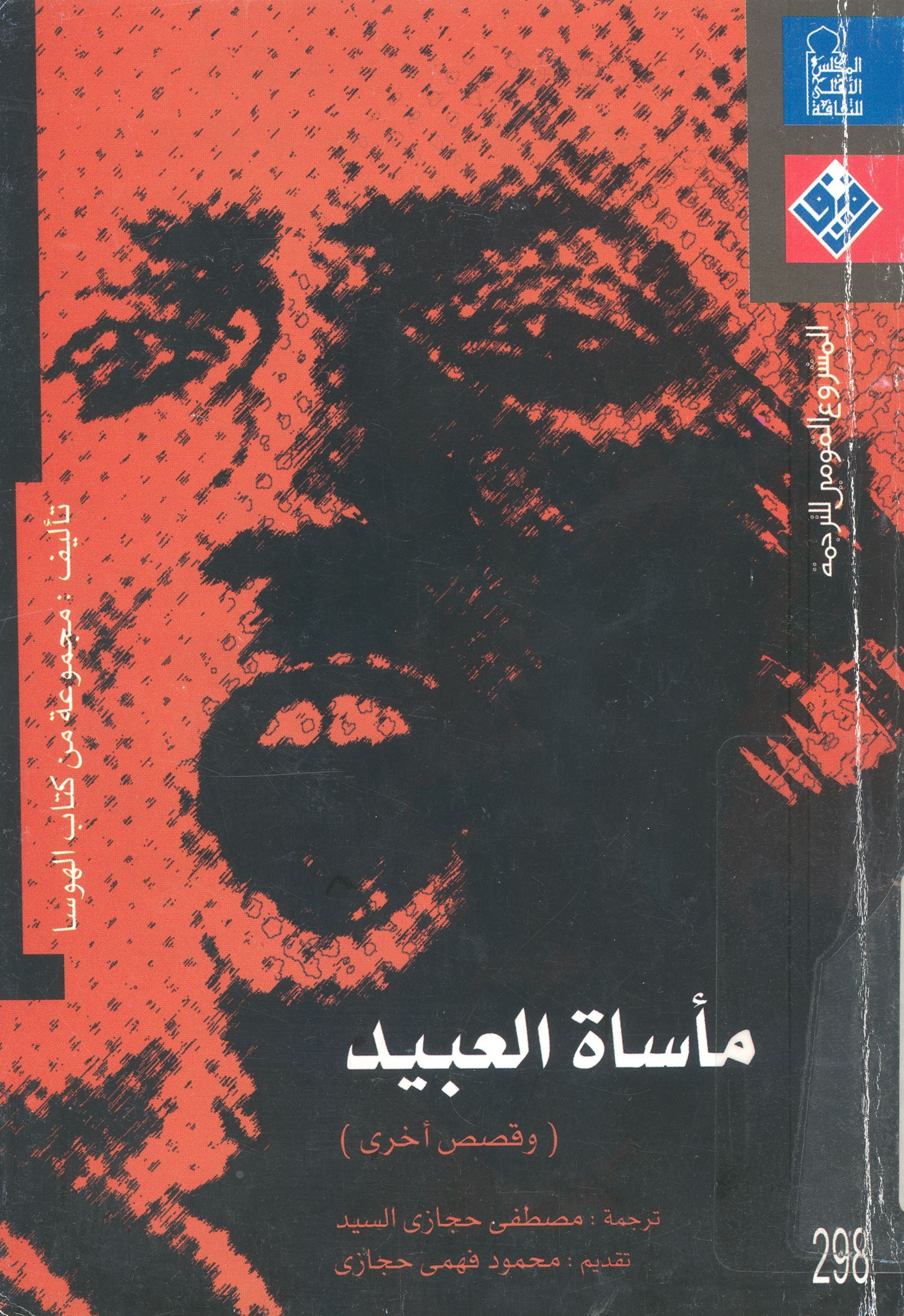

المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة

تأليف : مجموعة من كتاب الهوسا

مأساة العبيد

(وقصص أخرى)

ترجمة : مصطفى حجازى السيد

تقديم : محمود فهمى حجازى

298

المشروع القومى للترجمة

مأساة العبيد
(وقصص أخرى)

تأليف : مجموعة من كتاب الهوسا
ترجمة : مصطفى حجازى السيد
تقديم : محمود فهمى حجازى

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

. العدد : ٢٩٨
. مأساة العبيد (وقصص أخرى)
. مجموعة من كتاب الهوسا
. مصطفى حجازى السيد - محمود فهمى حجازى
. الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت :٧٣٥٢٣٩٦ فاكس : ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel: 7352396 Fax:7358084 E.Mail: G.ASFOUR@starnet.com.eg

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلـــى تقديــم مختلــف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقـــارئ العربـــى وتعريفـــه بـــها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتـــــهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة

تقـــــديـــم

يطيب لـــى أن أقـــدم للقـــارئ العربـــى هـــذه المجموعـــة القصصية الأفريقية مترجمة إلى اللغـــة العربيـــة ، إنـــها أول جهود تنشر فى مصر فى هذا المجال، وتعـــد بـــاكورة حركـــة الترجمة الأدبية من لغة الهوســـا والدراســـات الأفريقيـــة فـــى اللغـــات والآداب المنشـــورة بلغـــات هـــذه القـــارة ، ولنشـــأة الاهتمام باللغات الأفريقية قصة مهمة ، كـــانت البدايـــة عـــام ١٩٦٩ عندما كان التفكـــير فـــى تحويـــل معـــهد الدراســـات السودانية ــ التابع فـــى ذلـــك الوقـــت لكليـــة الآداب ــ إلـــى معهد كامل يدرس القارة كلها ، ولا يقتصـــر علـــى الجغرافيـــا والتاريخ بفروعهما ، بل يستوعب كـــل مجـــالات الدراســـات العليا للقارة مـــن حيـــث اللغـــات والآداب والتـــاريخ والنظـــم السياسية والموارد الاقتصاديـــة والأنثربولوجيـــا .

وفى مناقشة علمية مع المرحوم الأســـتاذ الدكتـــور محمـــد السيد غلاب اتفـــق الـــرأى علـــى أهميـــة الاهتمـــام باللغـــات الأفريقية،وكان صاحب رؤية لغوية جعلته فيمـــا بعـــد عضـــوًا بمجمع اللغة العربية، فكلفنى المعـــــهد بتدريـــس مقـــرر عـــام فى هذا المجال لكل طلاب المعـــــهد، وهكـــذا كنـــت أول مـــن درّس تعريفًا بالفصائل اللغوية واللغـــات الأفريقيـــة وقضاياهـــا لمدة عـــام دراســـى واحـــد ١٩٦٩ / ١٩٧٠، ولكـــن الاتجـــاه

العلمى إلى مزيد من الاهتمام باللغات الأفريقية أدى فور ذلك إلى إنشاء قسم كامل للغات الأفريقية على مستوى الدراسات العليا، وهكذا بدأ تكون أول مجموعة مصرية متخصصة فى لغة الهوسا وآدابها بالجامعات المصرية .

وفى هذا الإطار كان دور الصديق الدكتور مصطفى حجازى السيد حجازى كبيرًا ، لقد تخرج فى قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٥٨ ، وبدأ منذ وقت مبكر الاهتمام بتاريخ القارة وثقافتها ولغاتها ، فحصل على دبلوم معهد الدراسات الأفريقية عام ١٩٦٩ ، ثم كان أول من حصل على الدكتوراه فى لغة الهوسا من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦، وكان موضوع رسالته " دراسة نحوية وصفية للغة الهوسا "، وهو أول من درس هذه اللغة وقام بتدريسها فى الجامعات المصرية والعربية ، وقد قام بسلسلة من الأبحاث نشر أكثرها فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تناول فيها الأثر العربى فى هذه اللغة من حيث الأصوات والصرف والدلالة، إلى جانب ذلك كله له مؤلفات فيها طبعت فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقد تدرج فى عدة وظائف فى معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ، فشغل وظيفة مدرس للغة الهوسا بقسم اللغات الأفريقية، ثم كان أستاذًا مساعدًا ورئيسًا للقسم فوكيلاً للمعهد لشئون خدمة المجتمع والبيئة ، وأخيرًا عضوًا باللجنة الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بالمجلس الأعلى للجامعات

وجامعة الأزهر في مجال تخصصه ، كما أنشأ مركزًا لتعليم اللغة العربية للأفارقة ، وفى هذا الإطار أشرف على عدد من الرسائل الجامعية تمثل بداية الاهتمام بلغة الهوسا وآدابها في الجامعات العربية ؛ لقد مكنه تخصصه في لغة الهوسا من دراسة آدابها وإبراز الأثر العربى فيه ، وها هو اليوم يقوم بترجمة هذه المجموعة من القصص من لغة الهوسا مباشرة، وهو أول عربى يقوم بهذا العمل .

وقد كان الأديب الراحل على شلش مهتمًا بالأدب الأفريقي، إلا أن اهتمامه كان منصبًا على ما كتب باللغات الأوربية ، وكان يلاحظ أن أحدًا لم يتناول الأدب الأفريقي الذى كتب باللغات المحلية الأصلية ، كالهوسا والسواحيلية حتى تقابل الأديب الراحل ــ وكان منتدبًا لتدريس الأدب الأفريقى فى معهد الدراسات الأفريقية مع المترجم ــ فطلب منه أن يقوم بترجمة قصة " الشيخ عمر " لأبى بكر تفاوا ــ أول رئيس لوزراء نيجيريا بعد الاستقلال ، كان الأستاذ على شلش يرى أنها ترجمة لحياة أبى بكر ، إلا أن المترجم كان مشغولاً فى هذا الوقت بأعمال علمية أخرى ظهر أكثرها فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تناولت الصلة بين العربية ولغة الهوسا ، أما رغبة المثقفين التى عبر عنها صديقنا الأديب على شلش فقد بدأت تتحقق ونشرت هذه القصة ضمن كتاب " أدب الهوسا الإسلامى" الذى قامت بنشره حاليا جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وأن القصة بمعناها المعاصر لم تعرفها الهوسا إلا بعد

سنة ١٩٣٤، وهى فى حاجة إلى الدراسة والبحث شأنها شـــأن الشعر ، فما زال الأدب بوجه عام حقلاً بكرًا يتسع للعشرات من الدارسين والباحثين.

ويسعدنى أن أقدم هذه المجموعة لقراء العربية مع التمـــهيد الذى كتبه المترجم لها ، بالتعريف بلغـــة الهوســا ومتكلميــها وعلاقاتها باللغة العربية وتأثيرها من حيث الشـــكل والصــور والأفكار ، وبعد ذلك تأتى القصص المترجمة .

القصة الأولى التى أطلق عليها المؤلف اسم " الشيخ عمـــر " وأطلقت عليها اسم " مأساة العبيد"؛ لأن أحداثها تدور حول طفـل صغير ، سرقه أحد النخاسين وظل يبـــاع مـــن نخـــاس إلـــى نخاس،حتى خدم فى بيت رجل يتعامل مع أحد التجار العــرب ، الذى أعجب به فطلب شراءه ، وفعلاً اشتراه وعـــاد بـــه إلـــى مصر، حيث علمه وأدخله الأزهر ، ولما كبر طلب من سيده أن يصطحبه معه فى رحلة إلى نيجيريا ليبحث عن أمه التى افتقدها وتوالت الأحداث .

القصة الثانية : المغامر (Gandoki) ، هى أول ما ظهر من قصص الهوسا بعد إنشاء دار جسكيا (Gaskiya) للنشر ، ســنة ١٩٤٣ ، ومؤلفها هو الحاج محمد بللـــو ، وتصـــور وصـــول الإنجليز إلى شمال نيجيريا ، وما أظهره الوطنيون من مقاومـــة عنيفة ، وتسرد جانبًا من البطولات التى كان يقوم بـــها القـــادة والمحـــاربون فى ميدان القتال ، إلا أن الأسلحة والبنادق القديمة

التى كان يستعملها المواطنون لم تستطع الصمود أمـــام أســلحة الإنجليز الحديثة ، فأخذت هذه الأسلحة القديمة تسقط الواحدة بعد الأخرى حتى يئس بطل هذه القصة الأسطورى من التغلب علـى الإنجليز ، فخرج مع ابنه إلى الخلاء ، فأخذته سِـنة من النـوم استيقظ بعدها فوجد نفسه فى جزيرة سيلان بين يدى ملك الجـان الذى أكرمه وضمه إلى جنده ، فأخذ يحارب فـــى صفوفــهم ، ويقوم بالبطولات الخارقة حتى قضى على كـــل أعـداء ملــك الجان، وبعد ذلك تجد البطل يعود إلى نيجيريا فيجد مجموعة من الجنود تتدرب على إطلاق المدافع واستعمال أجهزة اللاســـلكى فيقف أمامهم مبهورًا ، وهكذا تمثل هذه القصة ربطًا بارعًا بيــن الأحداث والثقافة الشعبية الأفريقية .

القصة الثالثة : هـــى المـــاء الشـــافى (Ruwan Bagaja) ومؤلفها أبو بكر إمام،من كبار كتاب الهوسا ، وفيـــــها يتضـــح الجانب الشعبى الأفريقى مع تأثيرات عربية.

والقصة الرابعة هى: إيليا الابن القوى من تـــأليف أحمـــدو إنجاوا (Ahmadu Ingawa) .

ويبدو فى هاتين القصتين الأثر العربى الواضـــح فـــى أدب الهوسا ، ولاسيما قصص " ألف ليلة وليلة " التى كان لها أثـــــر بعيد عند المثقفين الأفريقيين .

أما القصة الخامسة : وهى قصة Wusasa Tafida فـهى توضح عادة الشعوب الأفريقية فى الاعتقاد فى السحر ، وتــدور

أحداثها حول شاب يحب فتاة منذ الطفولة ، ويتفق معـــها علـــى الزواج فيأتى أحد أثرياء المدينة الذى لم يرزق ولدًا ، فيرى فـى منامه أنه إذا تزوج هذه الفتاة فسيرزق بالطفل ، ويـــهيم علـــى وجهه فى الأرض حتى يصل إلى أكبر ساحر ، وبعد أن يجتــاز المخاطر والأهوال يكون السحر سببا فى إفساد ابن الثرى .

هذه نماذج من الأدب الأفريقي المكتوب بلغة الهوســا الــذي وصلت إليه القصة فى قارتنا الأفريقية السوداء ، نضعها أمـــام الباحثين والدارسين وجمهور القراء.

إن هذه المجموعة القصصية نرجو أن تكون بدايـــة اهتمـــام أدبي وثقافى بالشعوب المختلفة فى القارة الأفريقية ، ولقد كتـــب الأفارقة جنوب الصحراء إنتاجهم الفكرى تارة باللغـــة العربيـــة وتارة أخرى بلغاتهم المحلية ، مدونة بالحرف العربى، ولكنـــهم أخذوا بعد تغيير نظام الكتابة إلى الحرف اللاتينى – فـــى عـــدة مواقع – فى تأليف أدبى له طابع جديد ، واستمر الحرف العربى فى مواقع أخرى كثيرة ،ولغة الهوسا مثال لكل هذه الأنمـــاط ، وكلها تستحق الاهتمام الجاد بحثا وتأصيلا ومقارنة ، وإذا كـــان العالم المعاصر قد أصبح قرية اتصالية كبيرة ، فـــإن الوعـــى بالذاتية الثقافية للشعوب الأفريقية يصبح مطلبا جادا .

ومن هنا تأتى أهمية هذه المجموعة القصصية التى لم يكـــن من الممكن أن تظهر من قبل؛ فقد فـــرض مترجمـــها الأســـتاذ الدكتور/ مصطفى حجازى السيد على نفسه فى بداية شـــبابه أن

يسافر إلى نيجيريا مع معرفته بالصعوبات، كان مخاطرا ومغامرا رغبة منه فى إتقان لغة الهوسا ، وظل هناك عدة سنوات وله هدف لغوى واحد حققه على خير وجه ، وعاد إلى مصر ليكون أول مصرى تخصص فى هذه اللغة ، ثم كون جيلا من الباحثين فى هذه اللغة ، يستطيعون المشاركة العلمية والثقافية فى حياتنا من خلال تخصصهم ، وهذا كله يمثل لونا من العمل الجاد فى نسق جامعة القاهرة ، والأمل كبير أن تنتظم هذه الجهود من أجل معرفة متوازنة بآداب الشعوب المتعددة فى أفريقيا وآسيا فى ثوابتها ومتغيراتها ، فى ماضيها وحاضرها ، فى مشكلاتها الداخلية وعلاقتها بنا ، وطموحها نحو المستقبل، ويطيب لى فى ختام هذه المقدمة أن أشكر الأستاذ الدكتور / مصطفى حجازى السيد على هذا العمل ،ونأمل المزيد من العطاء فى هذا المجال ، بقلمه وبجهود طلابه الذين يشكلون أول مجموعة مصرية متخصصة فى اللغات الأفريقية وآدابها.

والله ولى التوفيق

محمود فهمى حجازى

مأساة العبيد
(الشيخ عمر)

تأليف : أبو بكر تفاوابليو

مقـــدمة :

مؤلف هذه القصة هو الحاج أبو بكر تفـاوابليو أول رئيـس لوزراء نيجيريا فى عهد الاستقلال ، ولد فى عام ١٩١٢م مـن أسرة مسلمة فى بلدة تفاوابليوا ــ جرت العادة فى شمال نيجيريا أن يذكر اسم القرية أو الحى بدلا من اسم الأب ــ وهى قريـة صغيرة فى إقليم ليرى Lere فى أمارة بوتشى ، تلقى تعليمـه الأولى فى إقليم بوتشى (١٩٢٥ ــ ١٩٢٨م) ثم التحق بكليـة تدريب المعلمين كتسينا (١٩٢٨ ــ ١٩٣٣م) وبعـد تخرجـه عين مدرسا ثم مديرا لمدرسة كتسينا المتوسطة ، وفـى سـنة ١٩٤٣م كان أحد مؤسسى حلقة المناقشة Discussion Circle الشهيرة فى بوتشى ، ثم التحق بمعهد التربية فى جامعة لنـدن للحصول على شهادة التخصص التربوى (١٩٤٥ ــ ١٩٤٦م) وبعد عودته إلى وطنه اختارته الإدارة المحليـة فـى بوتشـى لتمثيلها، ثم اختير عن طريق هذا المجلس كعضو يمثل اجتمـاع المجلس Northern House of Assembly الإقليم الشـمالى فى المجلس التشـريعى النيجـيرى Nigerian Legislative Council ،وفى عام ١٩٤٨م أنشأ اتحاد مدرسى الشمال، وكان صادقا فى نقده للمؤسسات الحكومية ونظام الحكـم علـى كـل المستويات، فبرز بصفته المعبر الأول عن آراء أهل الشمال فى السياسة ونظام الحكم.

وفى أغسطس سنة ١٩٥٠م تعرض لعداوة بعض الأمراء فى الوقت الذى نال فيه مركزا ساميا بين مؤسسى نيجيريا الحديثة ؛ ففى إحدى اجتماعات المجلس الشمالى اقترح تعيين لجنة مستقلة لوضع توصيات لتحديث وإصلاح نظام الحكم المحلى ، وفى إحدى خطبه الشهيرة نادى بإلغاء هذا النظام الذى كان يراه مستبدا ومخالفا للتقاليد ، حيث كانت السلطة مركزة فى يد الأمير أو الرئيس المحلى ، ويخضعان اسميا للحكومة المركزية ، وكان هذا مقدمة للقانون الذى أتاح الفرصة أمام هؤلاء الأمراء والرؤساء للعمل ضمن المجلس المركزى ، وقد فاز هذا الاقتراح بأغلبية صوت واحد (٢٠ ــ ١٩) وهذا دليل على قوة التيار المعارض له ومدى مقاومة الإصلاحات التى كانت ترمى إلى بسط نفوذ الحكومة المركزية على الأقاليم المختلفة والقبائل المتعددة ،وقد حاول بعض هؤلاء الأمراء أن يحول دون انتخابه فى المجلس التشريعى سنة ١٩٥٠م ، وقد أخذ يكافح فى سبيل هذه الإصلاحات التى كانت ترفع من شأن الإقليم الشمالى ذى الأغلبية المسلمة حتى نالت نيجيريا استقلالها على يده ويد أحمد بللو أمير سكوتو ، فكان الأول رئيسا للوزراء والثانى رئيسا للجمهورية مما أثار حقد بعض العناصر المتعصبة فى الجيش فقاموا بثورة دموية سنة ١٩٦٦م قتل على أثرها الاثنان وتولى يعقوب جون بعدها رئاسة الجمهورية.

* * *

الله سبحانه وتعالى أعلى من كل الملوك ، وأطهر مـن كـل المخلوقات ، وهو الملك الذى لا شبيه له ، بالقرب مـن مدينـة بوتشى بشمال نيجيريا كانت توجد مدينة صغيرة تسمى"روتا "
Rauta وفى هذه المدينة الصغيرة كان يعيـش أحـد العلمـاء النابغين ، على علم بالنجوم والقرآن وكتب الدين ، وإلى جـانب ذلك فهو على خلق كريم ومتمسك بالدين ، هذا العالم كان مـن الرجال المعدودين فى أفريقيا الذين وهبهم الله حضور البديهـة وسرعة إدراك الأمور ، كان يسمى الشيخ عمر ، ولعمق علمه، ورجاحة عقله ،ذاعت شهرته وأخباره فى كل البلاد المجـاورة لمدينته ؛ لذلك أخذ كثير من الناس يغـدون إليـه مـن البـلاد المجاورة طلبا للعلم على يديه ، ولم يمض وقت طويـل حتـى صار عدد المريدين يزداد يوما بعـد يـوم وضـاقت المدينـة الصغيرة بهم ، وصار من العسير على الوافدين الجدد العثـور على المنازل التى ينزلون فيها ، فكان عليهم أن يبحثـوا عـن منازل لهم فى القرى المجاورة لمدينة روتا " .

لم يحدث مرة واحدة أن لاحظ أحد الطلاب الذين يتلقون العلم على يد الشيخ عمر أنه غضب مرة ، ولم يسـمعوا منـه مـرة واحدة منذ أن وفدوا عليه أنه قال لهم إننى متعب اليوم ، حتـى ولو بدا عليه الإعياء من كثرة العمل لا تقعده الآلام ، لقد كـان الشيخ عمر رجلا فريدا، لا مثيل له فى أى مكان آخر ، وكـان إذا أصابته مصيبة لا يقول إلا " إنا لله وإنا إليـه راجعـون " لا يغضب مطلقا فقد كان طلق الوجه دائما ، ولا يتدخل مطلقا فـى

أمر لا يعنيه ، ولا يجادل أحدا بالباطل ، بل إنه لم يكن يحب الجدال ، لذلك لم تنشأ بينه وبين أى إنسان أية مشكلة ، لكل ذلك أخذ كثير من الناس يقولون إنه من أولياء الله الصالحين .

وذات يوم بعد أن ألقى الشيخ عمر دروسه على طلابه بعد العصر . جلسوا يتحدثون في أمور الحياة الدنيا؛ فسأله أحد تلاميذه قائلا " يا معلمى إنى أريد أن أسألك سؤالا ، ولكنى أخشى في نفسى أن تظن أننى أريد أن أجرح مشاعرك بهذا السؤال " فرد عليه الشيخ عمر قائلا : " إن قلبى لا يغضب أبدا من أى سؤال الإنسان لا يحيط بكل شىء علما ، فاسأل عن كل ما تريد معرفته ولا تخش شيئا فى نفسك ، وأرجو من الله أن يعيننى على ما تسألنى عنه " .

قال الطالب : " مغفرة يا سيدى ، إن ما أريد معرفته عنك أمرين اثنين ، الأمر الأول أن تخبرنى من أية بلدة جئت ، وأن تحدثنى عن أخبار مدينتكم ، أكل أهل هذه المدينة علماء مثلك ؟ لأن علمك الغزير لا يثير دهشتى وحدى بل كل إنسان فى دهشة من أمرك ، الأمر الثانى أريد أن تحدثنى عن أصلك ؛ لأننى أراك لا تشبه أهل مدينتنا، فأنت تتحدث اللغة العربية بطلاقة العرب فرد قائلا: " الحقيقة أنك سألتنى سؤالين لهما أهميتهما وسأجيبك عنهما إجابة صريحة ، ولكنها ستكون طويلة ومثيرة لدهشة وشفقة كل من يسمعها ، وسأحاول الآن أن أقص عليك قصة مدينتنا وأصلى والأسفار التى قمت بها والصعاب التى واجهتها .. قبل أن أصل إلى مدينتكم " .

أنا رجل من كاجرا :

قال الشيخ عمر : لقد كنت أحد أبناء هذه المدينة ، ومع ذلك لم أشب وأترعرع فيها ، فقد نشأت فى إحدى البلاد العربيـة ، وإن كنت فى الأصل من بلدة بالقرب من مدينة " بيد " تعرف باسـم " كاجرا " . كان والدى رجلا متوسط القامة صناعته رتق الأحذية وأمي امرأة من فاتيكا " توفى والدى وأنا جنين فى بطن أمـى ، وترك لى من الميراث ست بقرات وثلاث نعجات وفرسته التى كان يركبها ، وكانت حاملا فى هذا الوقت ، وقـد سـلم هـذا الميراث إلى يد أمى ، وطلب منها أن تحتفظ بهذه الفرسة حتـى تلد بإذن الله لأنها ميراث مولودها ، وأن زوجها ليس له أقـارب يرثونه .

ومرت الأيام ووالدتى على حالها حتى ولدتنـى ، وعندمـا حان موعد تسميتى أمرت بشاه مما ورثت وذبحتـها، وأطلـق علي اسم عمر ، ومرت الأيام وبلغت من العمر عامين ، وحـان موعد الفطام ، فأخذتنى جدتى لأبى لتفطمنى ، ومكثـت معـها حتى حان الوقت الذى طلبت فيه والدتى للزواج ، فقالت والدتـى لجدتى: " إنك تعلمين أنه ليس لى أخ فى هذه المدينة ، وليس لى إلا أنت وهذا الغلام الصغير ، والآن أريد أن أتزوج ، وها هـم يطلبوننى للزواج،عددهم يزيد يوما بعد يوم ، ويقولون لابد مـن

عقد الزواج على من أفضل منهم ، وقد جئت الآن لمشـــورتك، فلان وفلان يطلبونني ، ولكني حتى الآن لم أستقر على رأى . أريد أن أستمع إلى رأيك ، ومنهم أيضا أحد رجال حاشية الأمير والمقربين إليه تماما ، وهو "ماكو" " Makau .

وعندما سمعت جدتي اسم " ماكو " من بين الطالبين قالت " يا ابنتي لقد كتب الله لك السعادة إذا أخذتي بنصيحتي ، فليس مـــن بين الطالبين أفضل من ماكو زوجا ، فإنني أعرفـــه رجـــلا ذا حياء، عزيز النفس ، وستكونين سعيدة إذا جعله الله زوجا لك "، واستمعت والدتي إلى هذه النيصحة . وفي اليوم التـــالي عقـد الزواج ، وحدد اليوم الذى ستزف فيه إلى زوجها ، وعندما حان الحين انتقلت والدتي إلى بيت زوجها وبقيت أنـــا مـــع جدتـــي، وبينما كنت أعيش معها في هناء وسعادة أصابها مرض الموت، فلما شعرت أنه لا مفر من هذا المرض إلا الموت بعثـــت إلـــى والدتي ، فلما جاءت أخذت توصيها قائلة: " أنت تريـــن أنـــه لا يبدو أنني سأعافى من هذا المرض ، لذلك أريد أن تأخذى معـك هذا الغلام الصغير وتذهبى به إلى منزلك لأنني لا أريـد أن أراه مطلقا وهو يبكى ، فإنني أزداد ألما لبكائه " . قالت والدتي: " لك ما تريدين "

وبعـــد أن خرجت بوقت قليل توفيت جدتي فاجتمع الكثيرون من أهل المدينة وصلوا عليها صلاة الجنـــازة، ونقلوهـــا إلـــى مقرها الأخير .

وبعد انتهاء هذا الأمر ، مرت أيام وأنا أعيش فى سعادة مع والدتى فى منزل زوجها " ماكو " .

وذات يوم استدعى الأمير كل رجال الحاشية ، فلما اجتمعوا قال لهم: " أمر واحد جعلنى أستدعيكم ، إنى أريد أن تستعدوا للذهاب للإغارة على قبيلة " حوارى " الوثنية ، فإننى فى حاجة شديدة إلى المال ، لذلك أريد أن تستعدوا بسرعة وتذهبوا لتعودوا إلى مسرعين" .

عندما سمع رجال الحاشية هذا الكلام من الأمير صاروا جميعا كالمجانين من شدة السرور ، لقد شعر الجميع بالسعادة وأخذوا يتصايحون قائلين: " لقد كنا نتمنى ذلك من قبل فما بالك عندما تأمرنا به " ، وسبب سعادتهم هو أنه عندما يقومون بهذه الإغارة سيسلبون كثيرا من الدواب والعبيد ، وعندما يعود سيجعل الأمير لكل منهم ربع ما سلب وربما إذا اقتنص أحدهم ثلاثة عبيد أخذ الأمير عبدين وترك للقانص الثالث . وسبب هذه الإغارة التى أمر بها الأمير حاجته الشديدة إلى الحصول على بعض العبيد الذين يضمهم إلى ما لديه ويبعث بهم إلى مدينة "كانو" ليباعوا فى سوق الرقيق ، ويشترى بثمنهم بعض الملابس وأدوات الزينة لحصانه ، ويرسل البعض الآخر إلى مدينة "بيدا " لشراء بعض البنادق ، وكان من بين الفرسان الذين اختارهم الأمير لهذه الإغارة ماكو .

وعندما حان وقت رحيلهم وطلب الأمير أحد العلماء ليدع لهم بالتوفيق والنصر عاد ماكو إلى منزله وجمع كل أهلـــــه وقـــال لهم:"تعلمون الآن أننى ذاهب فى إغارة على بلدة "حـــوارى" ولا أعرف متى سأعود ، وربما قتلت هناك ، الله أعلم ، لذلك أريـــد أن أستودعكم الله ، وأن تعفو عما أذنبت فى حقكم جميعا " فـــرد عليه أولاده جميعا فى وقت واحد " والله تالله لم يحدث منك شيء يكدر نفوسنا ، ونرجو أن تذهب بالسلامة وتعود بالســــلامة " ، وانفجرنا جميعا فى البكاء ، ولم يشعر أحدنا بأخيه ...

استعد كل الذاهبين إلى هذه الإغارة ، وفى الصباح البــــاكر خرجوا مباشرة إلى قبيلة جوارى ، وأوغلوا فى الســـير حتـــى وصلوا إلى قرية صغيرة من قرى الوثنيين فى سفح جبل الغابة، وعند وصولهم إلى هذا المكان نزلوا جميعا من فـــوق ظـــهور خيولهم ، ورقدوا أسفل شجرة ضخمة مورقة حيث لا يســـتطيع أحد أن يراهم ، وفى هذا الوقت أخذت الأمطار تهطل بغـــزارة حيث يخرج بعدها كل المزارعين لرعاية مزارعهم ولا يـــزرع هؤلاء الوثنيون أى محصول طوال العام يمكن أن يغل عليـــهم الخير إلا فى هذه الأيام . لذلك خرجـــوا جميعـــا مـــن مدنـــهم وتوجهوا إلى حقولهم وأخذوا يصلحون مزارعهم فى العـــراء . ومع ذلك لا يستطيعون العمل فى أمان فهم فى خشية دائمة مـــن المغيرين.

عندما وصل المغيرون إلى هذه القرية اختبأوا عنـــد حافــة المزرعة، وفى الصباح الباكر بدأ الوثنيون يخرجون من قراهــم ويذهبون إلى مزارعهم بينما المغيرون راقدين علــى الأرض لا يتحركون يراقبون كل ما يجرى فى المزرعة ، وانتظروا حتــى خرج كل سكان القرية ، خرج المزارعــون جميعــا وأخــذوا يشتغلون فى مزارعهم بجد وهم يحسبون أنهم فى مـــأمن مــن المغيرين ولن يصيبهم أى سوء ، إلا أن المغيرين هجموا عليــهم مرة واحدة وأخذوا يقتنصون النساء والرجال والأطفال الصغار، وقبل أن ينتبه الوثنيون كان المغيرون قد بدأوا بالهجوم عليــهم ، وفى الحال بدأ الوثنيون يخرجون اســتعدادا للقتــال لتخليــص إخوانهم الذين أسروا ، ولكن قبل أن يستعدوا كان المغيرون قــد لاذوا بالفرار فتعقبوهم ولكن انعدم الأمل فـــى اللحــاق بــهم ، وأرهق الوثنيون خيولهم وأصبح المغيرون أثرا بعد عين .

الإيقاع بين الأمير وماكو :

عندما رأى المغيرون أنهم نجوا ، اتخذوا الطريق المباشــــر ليضللوا الوثنيين الذين يعتقدون أنهم سيغيرون الطريق حتـــى لا يلحقوا بهم ، وعندما اتخذوا طريقهم المباشر أخذوا يسرعون فى السير وكل يقول لرفيقه " الوداع " وأوغلوا فى سيرهم حتى شاء الله أن يصلوا إلى بلدهم سالمين، وعندما وصلوا إلـــى المدينـــة اتخذ كل منهم طريقه إلى قصر الأمير بما حصل عليه من غنائم أثناء هذه الغارة ، وقد كانت أسلاب كل منهم تتراوح من عبدين إلى ثلاثة عبيد ، ومنهم من حصل على أربع عنزات ، وقدم كل منهم ما حصل عليه إلى الأمير إلا ماكو وحده الذى لـــم يـــأخذ طريقه إلى قصر الأمير عند عودته ، ولكنه قصد منزله ولم يكن يعنى شيئا من وراء ذلك .

وعندما حضر الجميع بين يدى الأمير وقدم كل منهم ما غنمه حينئذ قال الأمير " عجبا أين ماكو ؟ هل قتل هناك وأنتم تخفـون عنى الأمر ؟ " فرد الناس جميعا قائلين: " لا .. أطال الله حيـــاة الأمير، إنك تعرف أخلاق الناس فى هذه الأيام ، لقد كنا نكظـــم غيظنا من قبل فقط عندما رأينا أنك اتخذته من المقربين إليـــك أحسسنا بما سينتهى إليه الأمر لأننا نعرف أن كل من أمن لـــه الناس وخانهم لابد أن يفضحه الله على أعينهم ، فما بالك أنـــت

وماكو الذى أسلمت إليه كل شئونك !!! فليسمح لنا الأمير أن نقص عليه كل شيء . فى هذه المدينة لا تجدمن يخون أمانتك مثله ، أن ماكو يكشف أسرارك بين أفراد الشعب الذين يعصونك ويتكبرون عليك الآن، ولا يوجد سر من أسرار تطلعه عليه حتى يذيعه بين الناس ، وهو منذ أن خرجنا لهذه الغارة حتى عدنا ، وعبد الله هذا لا يكف عن لومك حتى إن رئيس الحرس غضب واستل السيف وكاد أن يقطع عنقه ، إلا أن الفرسان هدأوا من روعه ، وهذا هو السر فى عدم رؤيتك له بيننا ، لقد ذهب إلى بيته بأربعة عبيد اقتنصهم ، منهم غلامان صغيران ، وفتاتان ولكن إحداهما تجاوزت المثل فى الجمال ، ولكننا لا نعرف ما سيقدمه إليك ".

عندما سمع الأمير هذا الكلام قال: " حقا ولكن ماكو عمل خيرا " وبعد قليل أقبل ماكو بالعبدين اللذين اقتنصهما ، جاء بهما مختالا ، ولم يدر ما قاله رفاقه من وشايات ، هذان العبدان اللذان أقبل بهما هما فى الواقع كل ما حصل عليه من الغنائم ، وأن اقتناصه لأربعة من العبيد أكذوبة من صنع أعدائه ، ولما اقترب ماكو من بوابة قصر الأمير رأى من بعيد الأمير يجلس فى الخارج بين رجال الحاشية ؛ فلما رأوه أخذوا يقولون ها هو ماكو قادم بعبدين فقط لقد أخفى الاثنين الآخرين

ولما وصل حيث يجلس الأمير ركع وأى له التحية إلا أن الأمير لم يرد عليه التحية ، ولم يعره أحد من الحاضرين أى

اهتمام ، وتجاهلوه جميعا ، وأخذ كل منهم يحدق فيه بعينيه وقــد ملأ السرور قلوب أعدائه حتى فاض على وجوهـــــهم ، وبعــد مضى وقت قصير قال الأمير: " ماكو هل وصلت الآن فقط ؟ " فرد عليه قائلا: " لا ، أطال الله حياة الأمير، لقد ذهبت إلى بيتى لربط حصانى وأغير ثيابى ثم أحضر إليك "، حينئذ قال الأمـير حسنا .. "كم عبدا اقتنصت ؟" قال ماكو " عبدين " قال الأمـير " أحقا غنمت عبدين اثنين فقط ، هل توافق إذا فتشت ووجدت أنك لم تحصل على عبدين اثنين فقط أن أفعل بك ما أريد ؟ " ، قـــال ماكو " والله أوافق " . وعندما انتهى هذا الكلام استدعى الأمـــير رئيس الحرس وسأله قائلا "كم عبدا حصل عليه ماكو من هـــذه الغارة ؟ " لقد كان رئيس الحرس يتمنى وقوع هذا الحدث مـــن قبل ولذلك بادر بالقول " أربعة عبيد ، ولكنه وصل بعبدين فقــط إلى هذه المدينة ؛ لأنه باع عبدين فى الطريق لإحدى القوافـــل المتجهة إلى مدينة كانو ، الذاهبة لنقل الدخن المتجهة إلى بوتشى " ، قال الأمير " حسنا أسمعت يا ماكو ؟ " فرد عليه ماكو قائلا " أطال الله حياة الأمير ، ليس لدى الآن ما أقولـــه ؛ لأن هــؤلاء الناس سبقونى وأفسدوا الأمر بيننا ، ولم يبق شىء أقولـــه لـــك ترض به " .

تفتيش منزل ماكو :

غضب الأمير وغضب المجلس ، وأمـــر رجـــال الحاشـــية بالذهاب إلى منزل ماكو وتفتيشه والاستيلاء على كل ما فيه ولا يتركون له شيئا مهما كان صغيرا .

ذهب رجال الحاشية وصادروا المنزل تماما حتـــى العشـــب الذى تسقف به الحجرات استولوا عليه جميعا، وكان له بعـــض البقرات فى قرية صغيرة قريبة بعثوا فى الحال بـــأحد رجـــال الحاشية فذهب إلى القرية واســـتولى عليـــها، وعندمـــا ذهبـــوا للاستيلاء على الأبقار اســـتولوا علـــى أبقـــارى وشـــويهاتى ، وفرستى وابنها التى ورثتها عن والدى، بعد الاستيلاء على كـــل هذه الأشياء جمعت كلها وقدمت إلى الأمير، وعندما وضعـــت بين يديه تقدم ماكو وقال له " أطال الله حياة الأمير يوجد بيـــن هذه الأشياء ما هو ليس ملكا لى مثـــل هـــذه الفرســـة وابنـــها والشويهات وبعض هذه الأبقار، هذه الأشياء تخص الغلام اليتيـم الذى تزوجت والدته، وكل ما أرجوه أن تخرج هـــذه الأشـــياء الخاصة بهذا اليتيم لأردها عليه "، عند سماع هذا الكلام تمتم كل رجال الحاشية قائلين " أسمعتم لقد بدأ يردد الأكاذيب التى تعـــود على ترديدها، من أين وجدت ثروة اليتيم حتى تقول إنها لديـــك حفظ الله الأمير إنه يكذب، إن ثروة هذا اليتيم التى يتحدث عنـــها

ليست لديه بل هى طرف والدة الغلام فهى تعرف أيـــن تحفــظ ثروتها "، وفى هذا الوقت كنت غلامـــا صغـيرا لا أدرك ولا أعرف ما يجرى من حولى إلا أننى أتذكر أنه عنـــد مصـــادرة منزلنا رأيت والدي يبكيان ـ وفى الحال اقتنع الأمير بما قالـــه رجاله ولم يجر أى بحث لمعرفة الحقيقة .

وبعد أن انتهت الجلسة قال لماكو " حسنا أرأيت هذا الجـزاء الذى لقيته من الله لخيانتك لأمانتى بعد أن أمنت لك ؟ والآن لـن أقول لك شيئا ، فما حدث لك يكفينى، وبعد ذلك، بما أننى أمـير هذه المدينة فلن أرضى لك بالإقامة فيها، فسأطردك الآن منـــها وتخرج إلى حيث لا يصل سلطانى، وحتى الآن لن أمنعك مـن السفر بأهلك وكل امرأة من نسائك إذا أردت فتتبعك أو تخرجـا معا وإذا لم تكن تريدك فيجب أن تتركها " قال ماكو " أطـال الله حياة الأمير ، سمعا وطاعة، ولكن أتوسل إليك بعظمة ملكـك أن تتركنى أياما قلائل هنا لأحصل على الزاد القليل الذى ســأقتات به أثناء الطريق لأنك تعلم أننى سأذهب الآن إلى حيث لا أعلم"؛ فرفع الأمير رأسه مدة وجيزة ثم رد على ماكو قائلا "إنه موافـق ولكن أربعة أيام فقط سيسمح له بها ليستعد لهذه الرحلة ، شــكر ماكو الأمير وقام وذهب إلى منزله وجمع أولاده جميعا صغـيرا وكبيرا ورجالا ونساء وقال لنا " حسنا رأيتم كيف قدر الله لـــى هذا الأمر ، لقد أمرنـى الأمير أن أرحل عن إمارته، ولكنه سمح لى أن أذهب بالنساء اللاتى يردن اللحاق بى من زوجاتى وبعـد ذلك قال: قبل أربعة أيام يجب أن أترك هذه المدينة ، وما أريـده

الآن آنه من منكن تجد فى نفسها الطاقة على تحمل الحياة معـــى فلتتبعنى".انفجر كل أهلى فى البكاء فى وقت واحد ، وقلنـــا والله تالله لن تذهب إلى بلد آخر ـــ حتى لو ذهبت إلى الدار الآخرة ـــ إلا ذهبنا معك.وسألنا ماكو ثلاث أســـئلة تســـتوجبها الشـــريعة الإسلامية فلم يختلف أحدنا فى الإجابة عنها عن الآخر .

إخراج ماكو من المدينة :

بعد أن فعل ماكو ذلك مع أهل بيته خرج إلى ردهة منزله وجلس يفكر فى المدينة التى سيذهب إليها، وأخذ كثير من الناس وأصدقائه وغيرهم يفدون إليه لمواساته لما أصابه من حزن شديد ، وكان أكثر هؤلاء إذا جاء انهمر فى البكاء وبعضهم يأتى ببعض المال ويقدمه إليه قائلا له : " إليك هذا الشىء البسيط ربما تحتاج أن تشرب ماء فى الطريق "، وعندما حان المغرب قام ماكو وتوضأ وصلى ، وكان هذا اليوم الذى تصنع والدتى فيه الثريد ، وبعد أن انتهى الجميع من الحديث دخل ماكو المنزل لينام ومر على حجرة والدتى فوجدها تبكى بصورة لم يسبق لها مثيل، فلما رأى ذلك قال لها هذا الأمر لا يحله البكاء فقد تجاوز حد البكاء ، وطالما أنك امرأة مسلمة يجب أن تتذكرى أن كل ما يصيب الإنسان فى هذه الحياة بقضاء الله وقدره، لذلك الأفضل لنا جميعا أن نتوكل على الله الذى يفعل كل ما يريد ، فردت عليه أمى قائلة حسنا يا ماكو ، ماذا يمنعنى من البكاء فى هذه الحياة ؟ فكل هذه المدينة على سعتها ليس لى فيها قريب من ناحية الأم ولا الأب ، وباستثناء هذا اليتيم الصغير ليس لى أحد إلا أنت الذى جمعنى الله بك، بعد هذا ما أفكر فيه الآن هو هذا الشر الذى أصابك لأن ما يمس حياتك فى هذه

الدنيا يمس حياتى أيضـا ، ولكن أهم ما أفكر فيه هو هذا الطفـل فقد احترت ماذا أفعل معه ، لقد كنت أنتظر حتى تعود من هـذه الإغارة وأطلب منك الإذن لأذهب إلى مدينتنا لأرى أهلى ، ثـم أعود ، وها هو ما حدث .

عندما سمع ماكو هذا الكلام أطرق برأسه وأخذ يفكر تفكـيرا عميقا وبعد وقت قصير رد عليها قائلا حقيقة أنك تكتميـن فـى نفسك أمورا محزنة ، ولكن طالما الأمر كذلك فالله قادر على كل شيء جففى دموعك ، لا راد لقضاء الله، ولكن بخصوص هـذا الموضوع الذى تحدثتى عنه والذهاب لزيارة والدتك سأقدم إليـك نصيحة واحدة ، الآن طالما أصبح الأمر هكذا والحـال الـذى وصلنا إليه ولا أعرف أية مدينة معرفة جيدة أسـتطيع الإقامـة فيها لذلك فقد سمحت لك بالذهاب لزيارة أهلك .

وعندما أجد مكانا مناسبا أستقر فيه سأبعث إليك لتلحقى بـى هناك ، وهذا الولد طالما أنك لا تستطيعين الذهاب به ، يجب أن تتركيه هنا ، لدى رجل أمين ، حتى تذهبى وتعودى وتأخذيه ".

قالت الأم " وهو كذلك " .

ومرت الأيام وحان وقت الموعد الذى حدده الأمير ، ومنـذ الصباح الباكر بعث الأمير من يخبره بأن اليوم حان الموعـد ، وعليه أن يستعد وينتظر رسوله ، الذى سيصحبه ليخرجه خارج الحدود ، وقبل أن يحين وقت الصباح البـاكر ، بـادر مـاكو

بالاستعداد التام ولكن رسول الأمير لم يأتـــه إلا بعــد صـــلاة العصر، وكان ماكو جالسا يتفحص الطريق ، وبعـــد فــترة إذا بحارس الأمير يصطحب شخصا آخر يسمى سنتيلى ، يصـــلان على ظهر حصانيهما؛ فلما وصلا إليه قال له " لا بأس ، هيـــا بسم الله " ، قام ماكو فسألاه عن الجهة التى يريد أن يخرج منها فقـــال " الجهة المقابلة لمدينة زاريا " .

فقالا " هيا أمامنا "

وجعلاه أمامهما وأخذا يحثانه على السير حتى وصلوا إلـــى الحدود ، وهنا تركاه ، فى مكان لم يصل إليه منـــذ خلقـــه الله ، فقالا له " الآن عليك أن تعرف وجهتك ، فقد أمرنا الأمـــير أن نتوقف هنا " ، وهنا سنتركك ، لعلك تموت ، أو يقتنصك تجـــار الرقيق ، هذا لا يهمنا ".

قال ماكو " وهو كذلك ، إذا وصلتما فبلغا الأمير شـــكرى ، وأسأل الله أن يقيكما شر الطريق ، آمين ".

ماكو يلتقى بصياد :

عندما تركاه بحث عن شجرة كبيرة وجلس تحتـــها يفكـــر ، ويسأل الله ورسوله ، حتى يئس ، ولما رفع رأسه رأى صيـــادا يتجول ، ويحمل على كتفه جراب السهام ، وقد حـــان العصـــر والظمأ يكاد يقتله ، فلما رآه الصياد اتجه نحوه ، فرآه قد وضــع رأسه بين ركبتيه ، فلما وصل إليه ألقى عليه الســـلام ، فرفــع رأسه ورد السلام .وبعد أن تبادلا التحية قال الصياد لماكو " أنت يا عبد الله من أين جئت ؟ وما سبب حضورك إلى هذا المكـــان فى هذا الوقت ؟ لعلك ذهبت لاقتناص الرقيق وغابت الشـــمس فهمت على وجهك فى الغابة " قال ماكو " سبب حضورى إلـــى هذا المكان " ، فقدم الصياد إلى ماكو الماء وبعد أن شرب بوقت قصير وهدأت نفسه قال الصياد " الحمد لله أشكرك جـــزاك الله خيرا على ما قدمت لى من مساعدة ، سبب حضورى إلى هنـــا هو كذا وكذا " .

عندما سمع الصياد هذه القصة تعجب وقال " حقيقة ما قـــدر الله يكون ، المؤمن فى هذه الحياة لن يضل أبدا " . قال مـــاكو " وما سبب هذا الكلام ؟ " فرد الصياد قائلا " نعم لو قـــدر الله أن تلتقى بواحد من رفاقى وليس بى لصرت الآن عبدا ، وإذا كـــان هذا الشر أصابك لأنك صدقت القول ، فقد لطف الله بك وأرجـــو

أن يمدنا بمزيد من رحمته ، ويساعدنا فـــى كــل مـــا نعمـــل، وينصرنا على أعدائنا ، والآن إلى أى مدينة ستتوجه " .

قال ماكو " إننى أريد أن أذهب إلى قرية صغيرة تقـــع بيـــن مدينى زاريا وكانو لأقيم فيها ، ولكن هذه القرية التـــى أريدهـــا لابد أن تكون أرضها خصبة حتى أستطيع زراعتـــها ؛ لأننـــى عندما أجد المسكن الذى أنزل فيه وأبنى منزلا صغيرا ســـأبعث إلى أولادى ليلحقوا بى .

السكــن فى قريــة مقرفـــى :

قال الصياد " لابد أن تتخير المكان الذى ســتزرعه جيــدا ، وطالما أن الأمر كذلك فسأقدم إليك نصيحة بسيطة ، أرجـــو أن تعمل بها ، هناك قرية صغيرة تسمى "مقرفى" تقع على مقربـــة من مدينة زاريا على طريق مدينة كانو ، لأهل هــــذه المدينـــة شهرة واسعة فى حرفة الزراعة والزراعة هناك تدر ربحا وفيرا وخيراتها دائما كثيرا ، وأعتقد أنه من الأفضل لك أن تذهب إلى هذا المكان وتستقر فيه ، وسترى أنه لن يضايقك أحد هنـــاك ، فلا يوجد بين أهل هذه القرية من يتدخل فى شئون أخيــه ، لأن كل منهم لديه من الخير الكثير . فالحقد والبغضـــاء لا ينمــوان حيث يوجد الرخاء ، ولكن حيث ينتشر الفقر والفاقة " .

حنى ماكو رأسه للصياد شاكرا ، ثـــم رفعــها قــائلا: والله سأعمل بكل ما نصحتنى به ، لأننى أحسست بحبك لى ، وبقـــى سؤال واحد عن الأمر الذى ينجينى من شـــر الطريـــق الـــذى سأسلكه قبل أن أصل إلى قرية " مقرفى " فـــأحضر الصيـــاد سلسلة تتدلى منها إحدى التمائم وقدمها إليه ، وقال له هذا الشىء الذى سأساعدك به وأرجو أن تصل سالما ، ويحفظـــك الله مـــن الضلال " ، ثم ودعا بعضهما ، وافترقا ، واتخـــذ كـــل منـــهما طريقه ، وعينه تفيض من الدمع .

ماكو يذهب إلى زاريا :

ثم هب ماكو واقفا بعد أن ودع الصياد ، وانتظر برهة حيث وقف لأنه لا يعرف الطريق الذى سيسلكه إلى مدينة زاريا ، ولما لاحظ الصياد ذلك عاد وأخذ يده وأخذا يسيران معا حتى وصلا إلى غابة بالقرب من قرية صغيرة، وعندما وصلا إلى هذا المكان قال له الصياد، أترى هذه القرية الصغيرة التى أمامنا ستسلك هذا السبيل ولا تحاول أن تدخل هذه القرية لأنك لو دخلتها ربما لا تخرج منها أبدا، والأفضل أن تتخذها جانبا وتمضى فى سبيلك وعندما تمر عليها لا تسلك الجانب الشمالى ؛ لأن فى الشمال من هذه المدينة توجد مزرعة لأحد السحرة المهرة ، كل غريب أو عابر سبيل أو عبد هارب من إحدى القرى لا مفر من الدخول إلى هذه المزرعة، حيث يقتنصه الساحر الذى لا يفارق مزرعته أبدا ، وإذا رأى شخصا توقف بالقرب من المزرعة وأخذ يتلفت حوله جاء وأمسكه وجعله من عبيده".

وقال ماكو " سمعا وطاعة " ثم ودعا بعضهما مرة أخرى فى هذا المكان ، وواصل ماكو السير وعاد الصياد إلى حيث التقى بماكو ، أخذ ماكو سبيله حتى وصل إلى هذه المدينة، فلما بلغها

لم يحاول الدخول فيها ، وعمل بكل ما قاله الصياد . فمنـــذ أن سار فى الطريق لم يلتفت ليرى المدينة حتى تأكد أنه أصبح على مسافة بعيدة منها. ولما أحس أنه نجا من هذه المدينة جلس تحت شجرة وارفة الظلال ليستريح ويأكل بعض الطعام ، ولــم يكــد يسترح قليلا حتى سمع وقع خطى الخيل عــن يمينــه، وســمع حديث فرسانها ، كل يقص على رفاقه ما فعله عندمــــا خــرج للإغارة على بعض الأماكن، وعند سماع ماكو ذلك صعد إلـــى أعلى الشجرة التى يجلس تحتها واختفى بين أغصانها ، وعندمـا وصلوا إلى حيث يختفى ماكو، قال أحدهم أرأيتم هــذا المكــان الذى تنازعنا فيه مرة مع فلان وفلان عندما كنا عـــائدين مــن الإغارة، ولم نقتنص فى هذا اليوم إلا غلاما صغيرا لم يتجــاوز عمره سبع سنوات ، وقد كنا ثلاثة فرسان عندما وصلنا إلى هذا المكان ، جلسنا لنستريح فقال أحدنا "حسنا والآن ما العمل مـــع هذا الغلام ؟ كيف سيأخذ كل منا أجر ما عاناه من المتاعب فـــى إقتناصه.

وما كدنا نسمع هذا القول حتى هب من فى حوزتـــه الغـــلام قائلا يا فلان ماذا تقصد من قولك هذا الكلام السخيف، عجبا هل هو دجاجة؟ كيف تقول إنك تريد نصيبك من جسد هذا الغلام مع أننى أنا الذى تعبت كثيرا حتى اقتنصته وحدى، وما منعـــك أن تصيد لك عبدا، ولما سمع ذلك الكلام شخص آخر استل ســـيفه فى لمح البصر وقال الآن سوف أثبت لك أن هذا الغـــلام ليــس ملكا لك وحدك، ولما استل سيفه لم يغمـــده حتـــى قطـــع رأس

الغلام، فقال لسيده حسنا لقد قلت إنك أنت الذى اقتنصته فخذ الجسد جزاء على ما عانيت من تعب، ونحن تكفينا الرأس"، بعد ما انتهى هؤلاء الناس من هذا الحديث ونالوا قسطا من الراحة قاموا وامتطى كل منهم صهوة جواده واتخذوا طريقهم مسرعين، فلما رأى ماكو أنهم ابتعدوا عنه نزل من مكمنه، فوجد شيئا تحت الشجرة فالتقطه وإذا به حقيبة لأحد هؤلاء الرجال قد سقطت منه على الأرض وليس بها إلا بعض الدراهم، فأخذها وسار فى طريقه مقتفيا آثارهم يوما كاملا ، ولم يجلس للراحة أو تناول أى طعام .

ماكــو يــرى ســور المدينــة :

وبينما هو يسير فى الطريق رأى على البعد ســـور المدينـــة أمامه مباشرة حيث سبقه هؤلاء الرجال ودخلوها؛ فاستمر ماكو فى السير حتى وصل إلى البوابة فاخترقها وقال لحارس البوابـة "يا سيدى أى مدينة هذه " ؟ قال حارس البوابة " مدينة زاريا يـا صديقى " ، وعند ذلك تنهد ماكو وقال " الحمد لله اللـــهم أنـت الرازق " ، وهنا لم يتحرك من مكانه إلا بعد أن توثقت الصداقة بينه وبين حارس البوابة حتى قال له الحارس " لقـــد ســررت كثيرا برؤيتك لابد أن تنزل علي ضيفا " فرح ماكو ونزل فـــى منزل حارس البوابة ، وعندما أقبل الليل تناولا الطعـــام معـا، وبعد أن أنتهيا غسلا يديهما وأخذا يتحدثان فى شـــئون الحيـاة الدنيا، وقص ماكو على الحارس كل ما أصابه من مصـــائب ، سأله الحارس " والآن إلى أين تنوى السير؟" قال مـــاكو " لقـد سمعت عن قرية صغيرة بالقرب من هنا اسمها مقرفى ، أريـــد أن أذهب إلى هناك لعلى أستطيع الإقامة فيها ، لأننـــى ســمعت عن أرضها الخصبة ، ويمكن زراعتها " .

قال حارس البوابة " الحمد لله أن لى أخا فى هذه القرية اسمه " تنيمو " عندما تنوى الرحيل أعطيك رسالة إليه ، ولمـــا طلـــع النهار ذهب ماكو إلى حارس البوابة وأخبره أنه سيرحل ، ولكنه

يريد أن يمده بغلام ليذهب معه إلى السـوق ليشـترى بعـض الأدوات ، فبعث معه حارس المدينة خادمه ، وذهبا معا واشترى ماكو فأسا ذات يد قصيرة ، وأخرى ذات يـد طويلـة وبلطـة وقدوم، ولما انتهى من شراء ما يحتاجه عاد إلى المنزل وأستأذن من حارس البوابة الذى أحضر بعض الزاد وقدمه إليه ، وكتـب رسالة إلى أخيه تنيمو يقول فيها " بعد التحية .. إليك هذا الرجل اسمه ماكو ، رجل طيب أبعثه إليك فأسأله عن قصته والسـبب الذى دفعه إلى الخروج من موطنه ، لقد قال لى إنه يريد أن يجد مكانا يستقر فيه ليعمل بحرفة الزراعة ، أرجو أن تكرمه وتـهتم به وتمنحه المزرعة والأرض التى يقيم عليها منزلا له ، لأن له أسرة ستلحق به بعد ذلك"

وعندما انتهى من كتابة الرسالة سلمها له فشكره ماكو شـكرا كثيرا وودعا بعضهما ، واستدعى حارس البوابة خادمه ليريـه الطريق ، اتخذ ماكو طريقه وأوغل فى السير حتى وصل إلـى مقرفى فسأل عن منزل تنيمو حتى وصل إليه ، فدخـل عليـه وسلمه الرسالة ، فلما قرأها رحب به وأنزله فى منزله ، وقـدم إليه الطعام ، وبعد أن انتهى من تناول الطعام قص عليـه كـل أخباره ، قال تنيمو " حسنا ، إن أحيانا الله إلى الغـد ، سـأريك المزرعة والمنزل الذى توفيت فيه والدتى هـذه الأيـام ؛ فـإن وافقك أصلحه وأقم فيه .

ماكو يستدعى أسرته :

مكث ماكو زمنا فى مقرفى ، يزرع الأرض ويصلح منزله ، واشترى عبدين بماله الذى كسبه ، حتى بـــدت عليـــه مظـــاهر النعمة ، وهدأت نفسه فذهب إلى تنيمو وقال له إنــــه يريـــد أن يبعث إلى أسرته لتحلق به ، قال له تنيمو إن هذا أمر مهم ، لأن عجوزا مثلك لا ينبغى أن يعيش بلا أسرة ، أن لدى خادما مـــن كاجرا أسمه عيسى ، إذا لم تجد أحدا يحضرهم غيره فليذهـب ، وبعد مضى يومين أستعد ماكو لرحيل عيســى فاشــترى ثوبــا جميلا من تنيمو ولفه فى قطعة من القماش وأعطـــاه لعيســـى ، وطلب منه أن يحمله إلى أمير كاجرا ، كما أشترى بعض الهدايا من مدينة زاريا وطلب منه أن يحملها إلى بعض أصدقائه هناك، وأعطاه ثوبين لحمل أحدهما إلى رئيس الحرس والآخـــر إلـــى سنتيلى ، وأعطاه بعض المال ليشترى لنســـائه الطعـــام أثنـــاء الطريق ، وقال له من بين نسائى امرأة من " فاتيكـــا " قبـــل أن أرحل استأذنتنى فى الذهاب لتزور أهلها ، إذا وصلت ووجدتـــها قد ذهبت فاترك بها رسالة بأن تسرع وتلحق بى مع أخواتها إلى هنا ، وتأتى بابنها اليتيم معها ، وأسأل الله أن تعود سالما .

ولما وصل عيسى قصد قصر الأمير مباشرة ، ودخل عليـــه وقدم هدية ماكو ؛ وأخبره بحاجته إلى أسرته ، قال الأمير الحمد

لله ، وأمر الحاشية أن تأخذه إلى منزل ماكو ، لينزل فيه حتى تستعد الأسرة للرحيل ، فيرحلوا جميعا . ذهب عيسى إلى المنزل ونزل فيه ، وعندما أقبل العصر بعث إلى رئيس الحرس وستنيلى بهدايا ماكو كما بعث بالهدايا الأخرى إلى أصحابها ففرحوا بها جميعا ، وبعد أن انتهى عيسى من توزيعها دخل على أهل ماكو وأخبرهم بسبب حضوره ، فكادوا يطيرون فرحا ثم سألهم عيسى عن السيدة التى من أهل فاتيكا ، هل ذهبت لزيارة والديها ؟ قالت النسوة لا ، ها هى تنتظر رسالته ، قال لها ماكو يطلب منك أن تذهبى ، ولكن أسرعى والحقى به هناك، وعندما تذهبين إليه تأخذين معك أبنك، قالت لعيسى وهو كذلك إن شاء الله ، وأن يكتب لنا الحياة وأن نلتقى مرة أخرى .

قضت أسرة ماكو أربعة أيام تستعد للرحيل ، وفى اليوم الخامس ذهب عيسى واستأذن من الأمير ، وفى اليوم التالى رحلوا وتركونا أنا ووالدتى فى كاجرا ، وبعد أن رحلت الأسرة أخذت والدتى تستعد للسفر إلى فاتيكا ، وفى ليلة الرحيل أودعتنى لدى رجل من مدينةسكوتو اسمه بخارى ، الذى كان جارا لوالدى ، ومنذ الصباح رأيت والدتى تتنقل بين المنازل ، ولا أعتقد أنها فى هذا اليوم وضعت شيئا فى فمها، حتى الماء ، لأنها لم تستقر أبدا فى مكان واحد ؛ فقد كانت دائبة التنقل بين منازل صديقاتها حتى أقبل الليل ، وبعد أن انتهت من هذا التجول عادت إلى منزل بخارى ونامت وهى تبكى بكاء مؤلما ، ولم يكن شئ يهمنى فى هذا الوقت المبكر من العمر ، بل كنت

أشعر بالسرور لأننى سأجد فى منزل بخـــارى أقــارابى مـــن الأطفال الذين سألهو معهم .

عمـــر يقـــع فى الـــرق :

بعد أن أقبل الليل وهدأت المدينة ، قامت والدتى وذهبت إلـــى منزل إحدى نساء بخارى اسمها أمينة التى أعيش فـــى بيتـــها ، وقالت لها " أمينة أريد أن أستودعك الله الآن ؛ لأننـــــى أنـــوى الرحيل قبل أذان الفجر ، فعليك أن تصبرى ، وأنت تعرفين حال الطفل الصغير إن لم يترك لينل كل ما يريد يبكـــى،وإذا تـــرك ليفعل كل ما يريد سيضره ذلك مستقبلا ؛ فعليـــك أن تنصحيـــه دائما، ولا تهتمى بما يقال إن هذا ليس ابنك ، والله لا فرق بينى وبينك ، فمنذ أن ألف الله بين قلوبنـــا ، ونحـــن نجتمـــع علـــى الإخلاص . قالت أمينة " إن كل ما تقولينه حـــق ، فـــأرجو أن يعينني الله على الوفاء به "، وجلستا بعد ذلك تتحدثان كثـــيرا ، حتى نمت أنا ومن فى دارها من الأطفال ، ثم غلبهم النوم بعـــد ذلك ، فقامت أمى وذهبت لتنام ، ولكن لم يلمس النـــوم عينـــها لشدة ما تعانى من التفكير فيما يمكن أن يحدث لها أثناء الطريـق قبل أن تصل إلى موطن والديها ، والخوف الذى تشعر به بسبب تركى،فى مدينة ليس لى فيها قريب واحـــد مـــن طـــرف الأم أو الأب، وبينما هى مستغرقة فى التفكير العميق ســـمعت صيـــاح الديكة ، فقامت وتناولت متاعها ، وأخذت طريقها إلى فاتيكـــا ،

سبحان الله لقد سبق القدر التمنى ولم أرها مرة أخرى إلا بعـــد أعوام طوال.

لص يسرقنى :

حدث كل هذا ولا علم لى ، ولم أشعر به لأننــــى لــم أكــن أتجاوز فى هذه السن المبكرة أربع سنوات ، ومنـــذ أن رحلــت أمى من كاجرا لم أر شيئا تغير بالنسبة لى ، فقـــد كنــت آكــل وأشرب ما يطيب لى ، وها هم الأولاد الذين ألعب معهم كل يوم ولم تبد لى أمينة زوجة بخارى التى أعيش معها ما يســـوءنى ، فكل ما أفعله ترضى به ، وإذا ارتكبت ذنبا عظيما كلما جـــاءت لتضربنى ورفعت يدها أعادتها قائلة " الله أكبر ولد غبى " ، ولم تكن تحب أن ابتعد عن المنزل ولو قليـــلا ، فكـــانت تحـــب أن نجلس دائما معا ، وإذا ابتعدت لألهو وألعب كما يفعل الأطفـــال كان يطير عقلها غضبا ، وتخرج طارقة كـــل المنـــازل التـــى تعودت أن ألهو مع أبنائها ، وتأتى بى .

وذات يوم اجتمعت مع عدد كبير من الأطفـــال علـــى بـــاب منزلنا نلهو ونلعب ، وكان عددنا تسعة أولاد ، وإذا بنـــا نـــرى رجلا ذا ثوب فضفاض وجيب كبير ، قادم إلينا فكففنا عن اللعب جميعا ، قائلين " كيف حالك يا والدى ؟ " فرد قائلا " هـــل رب هذا البيت بداخله ؟ " فرد عليه ولد منا متوسط القامة قائلا " لا " ذهب خارج المدينة ولكنه سيعود غدا ؛ فوقف هذا الرجل طويلا وأخذ يراقبنا ونحن نلعب ، وبعد فترة سألنا عن أسمائنا فذكر كل

منا اسمه ، فلما سمع اسمى رأيته وقف فجأة وأخذ يحدق فى وجهى ، وقد كنت أصغر هؤلاء الأطفال جميعا ، ولم يمض وقت طويل على وقفته حتى نادانى قائلا

- " كيف حالك يا عمر أتعرفني الآن ؟ أين أمك وأين أبوك؟ هيا لأذهب بك إلى والديك. فقلت وهو كذلك ، وفى الحال رأيته يضع يديه فى حقيبة صغيرة وأخرج بعض اللحم المشوى وقطعتين من النقود وقدمها إلى . ما أدراك وحال الصغار ، لقد أخذتها وأنا أتلهف فأمسك يدى وأخذت أسير معه طويلا على أنه سيحملنى إلى أبى وأمى، وأخذت أسير معه بالنقود واللحم فى يدى ، وأوغلنا فى السير حتى خرجنا من المدينة فرأيته يسحبنى وندخل ثغرة فى السور المحيط بالمدينة ، وأخذنا نسير حتى شعرت بالتعب وأحسست أننى أريد أن أبكى ، فحملنى على كتفه وأمدنى بمزيد من اللحم .

سرنا كثيرا وأنا محمول على كتفه من الظهر حتى قرب غروب الشمس . أما بقية الأطفال الذين كنت ألهو معهم فقد أخذوا يبكون عندما أحسوا أنهم افتقدونى ، وهنا سمع أهل منزلى فبعثوا الخادمة لتعرف سبب بكاء الأطفال ، فلما خرجت وسألت الصغار عن سبب بكائهم أخبروها أن عمر قد ضاع ولا يرونه ، وقالوا لها إنه بينما كانوا يلعبون بالنهار رأوا رجلا ذا ثوب فضفاض وجيبه كبير ، جاء وأخذنى على أنه سيحملنى إلى أمى وأبى ، وعندما سمعت الخادمة ذلك قالت لا حول ولا قوة

إلا بالله وأخبرت سيدها ، ودخلت المنزل حيث تجلس الأسـرة لتخبرهم بما حدث ؛ فلما سمعت أمينة هذا انفجرت فى البكـاء وأخذت تقول هذا الأمر لا يحتمل ، لابد أن أحد اللصوص قـد سرق عمر ، بالله ماذا أفعل فى نفسى إذا عادت أمه ولم تجده ، ماذا سأقول لها، ثم وقعت على الأرض ، وأخذت تبكى وتقلـب جسدها على التراب وتطلق صرخات عالية حتى سمعها سـكان المدينة ، وفى الحال انتشر الخبر فى أنحاء المدينـة، وقبـل أن تأتى العشاء كان أغلب الرجال قد خرجوا يبحثون عنى حـول المدينة، أما أنا وسارقى فلم نكن نعلم بما يجـرى خلفنـا مـن أحداث، ولما رأى الليل قد أقبل أنزلنى من فوق كتفه وأجلسـنى داخل كهف صغير فى بطن الجبل ، وأخرج لى من جيبه لحمًـا ونوعًا من الطعام مصنوع من الدقيق وعسل النحـل وقدمـهما إلىّ، وأحضر ماء وأعطاه لى لأشرب، وجلسنا فى الكهف ، ولم أعد أهتم بأى شىء طالما أن بطنى قد امتلأت بينما كان اللـص يهدف إلى أن أستريح قليلاً ثم نواصل السـير، وبينمـا نحـن جالسين يتناول اللص طعامه رأيته فجأة يسحب يده من الإنـاء ويكف عما يمضغه من الطعام ، وينصت مثل الحصان عندمـا يحس بشىء يتحرك ، ومكث مدة على هذا الحال ثم تسلل وركع على ركبتيه وأخذ يطل خارج الكهف ، وبعد قليل بدأت أسـمع حديث أناس إلى الشمال منا ، وهنا رأيته يضع يده فى حقيبـة ويخرج حجاباً ويضربنى به على رأسى ثم أخرج مديـة مـن غمدها وقال لى :

- " أرأيت هؤلاء الناس أنهم خرجوا يتجولون في الغابة ليمسكوا الأطفال ويأكلونهم ، ربما ترى أحدا تعرفه منهم حتى لو سمعته ينادى باسمك ، وإذا رددت عليه فثق أنني سأقطع رقبتك بهذا السكين ، ثم سحبها وأرانيها ؛ فعندما نظرت إليها وجدتها تلمع في ضوء القمر ؛ فأخذ كل جسدى يرتعد ، وفي الحال أصبت بإسهال شديد ، ولما اقترب هؤلاء الرجال من الكهف قال أحدهم " لا ينبغى أن نتجاوز هذا المكان ؛ لأنني أعرف أن في هذه الأماكن يوجد كهف أمسكنا فيه أحد اللصوص، وقد سرق طفلة في يوم من الأيام ، يجب أن ندخل هذا الكهف ونبحث فيه ، فإذا لم نجد فيه أحدًا مضينا " . لقد كنا نسمع كل ما يقال فأخذ اللص سكينا ووضعه على عنقى وقال " إذا نطقت حرفًا أو قمت بأية حركة سأقطع عنقك دون تردد ".

بحثـــوا ولـــم يرونـــى :

كان هؤلاء الرجال قادمين يتحدثون حتى إذا وصلـــوا إلـــى مدخل الكهف الذى نجلس فيه، وعند وصولهم نادى أحدهم قـائلاً يا عمر يابن ماكو ، لأنه الاسم الذى كانت أمينة تناديني بـــه ، وأخذ ينادى كثيرًا وأنا أسمع نداءه، ولكن لم يكن أمامى فرصـــة للرد عليه خوفا من السكين المسلط على عنقى ، أخذوا ينـــادون حتى تعبوا ولم يرد عليهم أحد ، ولم يطل أحد منهم فـــى هـــذا الكهف أو يدخل فيه ، ثم عادوا إلى المدينة ، أما باقى الرجـــال فقد بحثوا فى الغابة ، ولم يروا أى أثر لى، ولما تعبوا هم أيضـــا أخذوا طريقهم إلى المدينة وهم يقولون " إن أم هـــذا الطفـــل إذا سمعت بهذا الخبر لابد أنها ستصاب بالجنون أو الموت"، وعندما وصل هؤلاء الرجال إلى المدينة وأخبروا أمينة أنهم لم يجدونى، انفجرت فى البكاء وأحاط الجميـــع بـــها وأخـــذوا يصبرونـــها ويواسونها ، فإن هذا ما قدره الله ، حتى جففت دموعها ودخلـــت فى حجرتها ، ولكنها كانت كلما رأت الإنـــاء الخشـــبى الـــذى اعتادت أن تضع الطعام فيه والمكان الذى كنت أنام فيه أظلمـــت الدنيا فى نظرها ، فتلقى بنفسها على السرير وتأخذ فى البكـــاء وحدها بكاء حارا ، ومنذ أن سرقت لم يهدأ لها بال حتى التقـــت بأمى فى مدينة فاتيكا .

الذئب يأكل اللص :

عندما عاد الباحثون عنى كان الليل قد انتهى ، فلمـــا أحـــس اللص الذى سرقنى بأن الغابة قد هدأت قال لى " ألـــم تســترح الآن؟ فلنقم ونواصل السير "، ثم حملنى على كتفه وأخذ يســـير بى فى الغابة حتى وصلنا إلى مـــنزل صغـير وســط إحـدى المزارع، وكان الصبح قد انفلق فأنزلنى من فوق عنقه ، وقـــال إنه تعب وينبغى أن ندخل هذا المنزل لينام ، وجذبنى فدخلنا معًا ورقدنا ، ولم يمض وقت طويل حتى غلبه النوم ، أما أنـــا فلـم أشعر بالنوم لأننى سبق أن نمت عندما حملنى على عنقه ، لقــد تركنى خلفه عندما هم بالنوم ، فلما بدأ الشخير تملكنى الخـــوف فقمت ودخلت فى صندوق تركه أصحاب المزرعة فى حجـــرة فرقدت فيه ، ولم يمض وقت طويل حتى أخذت أســـمع عــواء ذئب خرج للصيد ، فلم يجد شيئًا حتى الصباح وكاد يعود إلـــى جحره حتى سمع شخير اللص ، فدار حول المـــنزل ، ولعلــك تعرف الكوخ الكائن فى المزرعة لا يحيط به أى سور منيـــع ، ولا توجد أية حصيرة من العشب على باب الحجرة التى ننـــام فيها ، فلما جاء الذئب إلى باب الحجرة وقف يفكر هل يدخـــل أم يعود ، ولا سيما أن الشمس كادت تشرق إلا أنه تشجع ودخـــل برأسه فوجد رجلاً عند مدخل الباب .

فوقف عند رأسه ليعرف إذا كان حيًا أو ميتًا ، ثم رأيته ينشب أسنانه فى حنجرة اللص ، وفى الحال ولا مشقة رأيته يفصل رأسه عن جسده ، كما يمسك إنسان مقصًا ويقص به ورقة نبات غض ، فعل الذئب كل هذا ولم يستيقظ الرجل ، ولعلك تعرف حال الموت مهما كان نوع الحى عندما يموت تشعر بدفء جسمه . عندما هبت الريح على هذا الرجل حيث ذبح رأيته قد بدأ يضرب برجليه حتى انتهى تمامًا وتأكد الذئب أنه قد فارق الحياة ، فصل الرأس عن الجسد وحمله فوق ظهره وقصد إلى الكهف الذى يعيش فيه وتركنى مع الرأس فى الكوخ.

طلع النهار وأشرقت الشمس فقمت وخرجت من الكوخ وذهبت إلى إحدى أشجار التمر الهندى فى المزرعة وجلست تحتها أعبث ببعض الحصى ، وعند الضحى أخذت أبكى وأنادى بابا .. بابا ؛ فلم يرد علي أحد ، وبعد أن قضيت وقتًا طويلاً فى البكاء رأيت بعض الناس قادمين من بعيد ، لقد كانوا أصحاب المزرعة فأخذت أبكى ولم أكف عن البكاء حتى وصلوا إلـي ، فلما وصلوا وجدونى طفلاً صغيرًا فسألونى عما أصابنى ، ولأننى لم أكن أعرف فى هذا الوقت كيف تقص الأخبار أجبتهم بالطريقة التالية : " بابا .. ذيب .. كل .. غاب .. أم .. ليل ـ س فى حج " . وبعد أن رددت هذه الكلمات المتقطعة قالت امرأة من بينهم وبحكمة " إنه يقصد أن يقول الذئب أكل أباه ليلة أمس وترك الرأس فى الحجرة " قال الآخرون أى لقد صدق فيما يقول أين أبوك يا بنى ؟ فأشرت إلى الكوخ الذى كنت أرقد فيه ، وفى

الحال توجهوا إلى المكان ، وعند وصولهم إلى باب الكوخ رأوا الدماء على الحائط كأن بقرة قد ذبحت.

ونحن على هذا الحال وإذا بزوج هـؤلاء النسـوة اللاتـى وجدننى يأتى فيجدنا واقفين على باب الكوخ والنسـاء يقلـن لا حول ولا قوة إلا بالله ، كشأنهن ، فلما جاء أخبرته بكل ما حدث فلم يكن أقل منهن دهشة ، وأخذ هذه الرأس التى تركها الذئـب وذهب إلى حافة المزرعة ودفنها ، ثم أخذ ملابس اللص وأخـذ يفتش فيها عما سيكون فيها ، وعندما فتح ثوب هذا الميت وجـد فيه جرابًا كبيرًا ليس فيه إلا اللحم المشوى ونوع من الحلـوى ودقيق محمر وقرعة صغيرة وتميمتين إحداهما مغطاة بجلد مـن جبهة نمر ومعلقة فى سلسلة والأخرى بجلد الحـوت وخيطـت بعروق القرد ، والتميمة الثانية موضوعة داخـل قطعـة مـن القماش . وخلاصة القول عندما فتش أدوات .هذا الميـت جيـدًا تنهد وقال إن هذا الرجل ليس والد الغلام،لا شك أنه سرقه مـن مكان ما ؛ لأن هذه الأشياء لا يحملها إلا اللصـوص وقطـاع الطرق ، والزاد الذى يحمله لا يتزود به إلا اللصوص ، وبعـد أن قال ذلك التفت إلى وسألنى بعض الأسـئلة لا أسـتطيع أن أتذكرها وأخذ يتكلم بلا جدوى لأننى لم أكن أهتم بما يقول ، ولم أنصت إليه ، فقد كنت ألعب فى الـتراب كشـأنى مـع أولاده الصغار .

أقـــع فى الـــرق مـــرة أخـــرى :

عندما أدرك أننى لم آنس إليه قال لإحـــدى نســـائه "فلانـــة تقولين إنه ليس لك ابن ها قد وهبك الله ، فخذيه لعل الله ينفعـــك به " فركعت بين يديه وشكرته ، ثم أخذتنى وسألتنى عن اســـمى فأجبتها ففرحت كثيرًا ، وبعد ذلك أخذوا يعملون فى المزرعـــة فترة طويلة ونحن نلعب حتى حان وقت الظهر ثم ذهبـــوا إلـــى الغدير واغتسلوا ، وبعد أن انتهوا عادوا إلى شجرة التمر هنـدى حيث كنا وجلسوا يشربون الماء ليعودوا بعد ذلك إلى المـــنزل ، ورأيت إحداهن تفتح إناء كبيرًا وتخرج بنوع من الطعام والدقيق وتخلطهما بالماء وقدمت لكل نصيبه ، أما نحن الصغـــار فقـد أخذنا نصيبنا فى ملعقة خشبية كبيرة فلعقناه بأصابعنا .

وبعد أن انتهينا من تناول الطعام أخذت كل امـــرأة طفلـــها وحملته على ظهرها، وأخذتنى أمى وحملتنى كباقى الأمـــهات ، وسار رب الأسرة خلفنا يحمل القوس والسهام المعلقة فى كتفه ، وأخواه الصغيران يسيران فى المقدمة وأسلحتهما معلقـــة فـــى كتفيهما ، ونحن الأطفال والنساء نسير فى وسطهم ، وما كدنـــا نبتعد عن المزرعة حتى أخذنا نسمع صـــوت حوافـــر بعـــض الخيول تسير فى الغابة وهم يقولون " اليوم سريركم ســـيقضى الليل خاويًا ، ولم يهتم أحدنا بما يقال ، لذلك واصلنـــا الســـير ،

وبالرغم من أن أحدًا منا لم تبد عليه علامـــات الاهتمـــام إلا أن قلب كل منهم كان يرتجف رعبًا ، وخنقت الأصوات والحركات، فلا تسمع إلا حركة الأقدام فى الهواء ، وبدا عدو الخيل وحديث الرجال قريبًا منا ، ولكننا لم نر أحدًا ، وبعد قليل رأينا من بعيـد أحد الفرسان يمتطى صهوة جواده ويرتـــدى قميصًـــا مغطـــى بالسلاسل ، يدفع حصانه تجاهنا قائلاً "سريركم اليـــوم يقضـــى الليل خاويًا " ، عندما سمع ذلك رب الأسرة قال " بإذن الله أنـــت الذى سيخسرك سريرك ؛ فربما قضيت الليلـــــة تحـــت شـــجر الصبار" ، وفى لمح البصر رأيته يمد يده فى غمـــــده ويخـــرج سهمًا مسممًا ويركع على ركبتيه ، ويصوبه تجاه الفارس منتظراً اقترابه ، أما الفارس فمنذ أن أطلق حصانه لم يتوقـــف ، فلمـــا رأى رب الأسرة أنه اقترب منه جذب وتر القوس وأطلق ســـهمًا عليه ، إلا أن الفارس تلقاه بدرعه ، وقبل أن يمد ســـيدى يـــده ليستخرج سهما آخر دفعه الفارس فوقع على الأرض ممددًا فـــاقد الوعى ، كأن روحه ستفارق جسده ، فى هذا الوقت فقدنا عقولنا وأخذ كل منا يحدق فى الآخر يترقب ما سيحدث ، بعـــد قليـــل رأينا سبعة خيول تقصدنا عدوًا ، وما أن رأيناها حتى أخذ كـــل منا يعدو مسرعًا كما يعدو الكلب ، وجرت النسوة وتركن أمـــى تحملنى على ظهرها لا تستطيع العدو ؛ لأن الفأس كـــانت قـــد جرحت قدمها .

الفــارس يقتنصنــا :

قلما رأى الفارس الذى أوقع سيدى ذلك نزل من فوق حصانه وجذب أمى وهى تحملنى على ظهرها وضمنــا إلــى سـيدى وربطنا بطرف حصانه ، ولما رأى باقى الفرسان ذلـك جـروا خلف إخواتنا ولم أعرف ما آل إليه الأمر بعد ذلك ، وأظن أنهن أسرن جميعا لأن كلا منهن كانت تحمل طفلا على ظهرها . بعد أن قيدنا الفارس دفعنا أمام حصانه وساقنا إلى مدينته ، وواصلنا السير حتى مطلع النهار ، ولما طلعت الشمس أخذنى من أمــى وأجلسنى خلفه رحمة بأمى التى كانت تحملنى ، وواصلنا السـير لمدة ثلاثة أيام حتى وصلنا إلى مدينة كانو فى شمال نيجيريـا ، لقد كان هذا الرجل أحد عبيد الأمير المقربين ، تملكــه العـوز فخرج يتجول فى الغابة لعله يجد ما يسد حاجته ، فلما وصلنــا إلى المدينة لم يكن أحد يود رؤيتنا لما يبدو على وجوهنـا مـن أحزان وآلام .

أمـــى لا تعـــرف :

كل هذه الأمور التى حدثت لى لم تعرف أمى شيئا عنـــــها ، لأنها عندما وصلت إلى فاتيكا علمت أن أباها قد ألقى القبـــــض عليه بتهمة العرافة ، وذهبوا به إلى مدينة زاريا فمكثت هنــــاك تنتظر عودته ثم تعود لتأخذنى وتذهب بى إلى مقرفــــى حيـــث ماكو، وبعد أن مكثت شهرين وأحد عشر يوما فى موطن أبيها ، عاد أبوها من زاريا بعد أن أطلق سراحه، وانتهى الأمر لأنــــه عندما مثل أمام القضاء لام الأمير المسئولين فى مدينـــة فاتيكـــا على ما سببه الأمير له من أضرار ، وقال إنه لا يوجد شــــىء يسمى عرافة فى هذه الحياة إلا أن الأمير لم يقل هذا القـــول إلا بعد أن رشاه والد أمى ببقرتين حلوب ، وعندما هــــم بمغـــادرة مدينة زاريا بعث الأمير معه بأحد رجال الحاشـــية ليعـــود لــــه بالبقرتين فعاد إلى فاتيكا وسلمه بقرتى الأمير ، ولما سلمها إليـــه قال " !! هكذا تتركنى أعود ؟ وفى الحال ودون جدال أحضـــــر والد أمى عنزة بكر وقدمها إليه فساقها إلى زاريا ، ولم يـــــترك لوالد أمى إلا عجلة صغيرة وجديا ذا شعر غزير" .

لقد فرح أهل البيت كثيرا بعودة رب الأسرة سالما وأخذ كثير من أحبابه يفدون إليه ليهنئونه بالخلاص ، وبعد أن خرج كــــل المهنئين دخلت والدتى عليه الحجرة لتقدم له التهنئة ؛ فلما رأتـــه

انفجرت فى البكاء كشأن النساء حين يفرحــن ، وســألها عــن أخبارها فقصت عليه كل شىء من البداية حتى النهاية ولم تترك شيئا ، وهنا دعا لها بالبركة وطلب منها أن تعقد العزم علــى أن تعود بعد أيام قلائل إلى كاجرا لتأخذنى وتذهب إلى حيث يقيــم ماكو ، بدأت والدتى تستعد للرحيل ، وبعد أن استعدت وقبـل أن ترحل بيوم واحد ذهبت إلى والدها وطلبت من أحــد إخوانــها ليرافقهـا فى الطريق فقــال " لا مـــانع اذهبــى مــع دابــو"، " وأستدعى دابو وقال له أنه سيرافق والدتى إلى كاجرا ، وبعـد أن استعد كان العصر قد حان فأخذت قدرا لتغترف المــاء مــن إحدى الآبار القريبة من طريق التجار المتجهين إلى كـــاجرا ، ولما ألقت الدلو فى البئر وهمت بجذبه رأت بعض النساء يغطين رؤوسهن ليقبلن عليها من بعيد ويرافقهن رجل يركب حصانـــا قادمين من طريق كاجرا ، فأخرجت الدلو بسرعة ووقفت ترنــو إليهم حتى اقتربوا ، فلما وصلوا أدركت أن راكب الحصان هــو بخارى ، ولما نظرت جيدا إلى وجوه النساء عرفت من بينـــهن أمينة، وبسرعة تقدمت إليها وعانقتها وهى تبكى مرحبة ، وهنـا أنزلت القدر وحملت متاع أمينة ومضت إلى حيث ينزل بخارى، ولما أوصلتهم إلى حيث ينزلون عادت إلى البيـــت لتعـد لــهم الطعام، وحتى هذه اللحظة لم تنتبه إلى أننى لست معهم .

عادت إلى البيت وأخبرت والدها بكل ما حدث وطلبـــت أن يحضر لها طعاما شهيا لتقدمه إلى ضيوفها ، وفى الحال ذبحـت دجاجتين ، وأخرجت بعض الأرز من مخزن أمها ودقته وغسلته

وجففته وصنعت منه الثريد ، ولما حان المغرب أخـــذت أمـــى الطعام وذهبت به إلى منزل الضيوف وقدمتـــــه إلـــى أمينـــة ، وعادت تأكل نصيبها، وبعد أن انتهت من تناول الطعام وتـأكدت من أنهم أيضا قد انتهوا ذهبت إليهم لتعرف ما يحملـــــون مـــن أخبار ، فلما وصلت لاحظت أن أمينة على غير عادتـــها فـــهى دائمة البكاء وقد احمرت عيناها وتورمتا ، فلما رأتها على هـــذه الحال انتحت هى الأخرى جانبا وجلست واضعة يديـــها علـــى خديها فى ذهول .

وبعد قليل كفت أمينة عن البكاء وجففت دموعـــها وتبـــادلا التحية ، وسألتها والدتى عن سبب البكاء فقالت لا شىء ، قـــالت أمى "إن كانت قد حدث مكروه فأخبرينى "، وبدأت والدتى تظـــن فى نفسها أن الله قد توفانى بعد أن رحلت من كاجرا ، وســـكتت أمينة ولم تقل شيئا ، وهما على هذه الحال دخل بخارى ليحيـــى والدتى فوجدهما جالستين فى ذهول فدخل وجلس ورحبت بـــــه أمى وتبادلا التحية وسألته عن أخبار كاجرا ، وكيف تركها وإلى أين ينوى المسير ، وكشأن الرجال فغر فاه، وقال لـــها كـــاجرا بخير ، والآن أنوى الذهاب إلى بلاد الهوسا، لأزور قبر الولـــى الكبير الشيخ عثمان بن فوديو ، وبعد ذلك أريد أن أذهب لزيارة بعض أخوالى فى"توريتا"، ومن هناك أذهب إلى "دينجيـــــاطى" لزيارة أمى ، لأننى لم أرها منذ زمن طويل ، وبعد ذلك الســـبب الذى جئت من أجله هذه المدينة أن أخبرك بما حدث بعد رحيلك من كاجرا ، طفلك بعد أن سافرتى بعشرة أيـــــام ســـرقه أحـــد

اللصوص وبحثنا عنه فى كل مكان فلم نعثر له على أى أثر ولم أكن فى هذا الوقت بالمدينة .

كنت بالريف لأعود صديقا لى مريضـــا، وعندمـــا عـــدت سمعت هذا الخبر ، ولكننا سمعنا خبرا من أحد خدم الأمير اسمه أحمد بأنه رأى عمر فى مدينة كانو فى منزل أحد عبيد الأمـــير الكبار ، والذى يعرف باسم جميز وكما أخبرنا أنه سمع حديثـــا دار بين جميزو ورجل عربى يسمى عبد الكريم بـــأن العربـــى يريد أن يحرر الصبى ويذهب به إلى مصر ليقدمه إلى زوجتـه ليكون لها أبنا .

هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك بشأن عمر ، وهو أيضا سبب حضورى إلى هذه المدينة ، والآن لابد أن تصـــبرى وترضـــى بقضاء الله وقدره ، لابد أن تتذكرى فى نفسك أن الصبر أفضـــل من كل شىء .

سكتت أمى تماما ، وبعد فترة طويلة قالت

" الإنسان فى هذه الحياة إن لم يصبر يرى ألف أمر يكدر النفس، والله يلطف بنا " ، وعندما انتهى بخارى من كلامه خرج وتركها مع أمينة تتحدثان وطال بهما الحديث حتى منتصف الليل فقامت والدتي وعادت إلى منزلها ، وعند وصولها أخبرت أباها وأمـــها بما حدث فقال كلاهما الله قادر على كل شىء ، ولمـــا أصبـــح الصباح عادت أمى إلى أمينة لتقضى معـــها النـــهار ، وأثنـــاء وجودهما معا جاء أخوها الأصغر يستدعيها مسرعا ، فقد بعـــث

من فاتيكا لاستدعائها ، فقد وصل ضيف من زاريا ، فذهبت مسرعة وقامت وذهبت إلى المنزل فوجدت عيسى الرجل الذى بعث به ماكو ليذهب بأسرته إلى مقرفى ، فرحبت به وقدمت له الماء ليشرب ، وذهبت إلى أبيها وأخبرته بأنه خادم زوجها ، وفى الحال أعدوا له حجرة وإصطحبته إليها، وبعد أن جلس واستراح قليلا سألها هل تعرفيننى ؟ قالت "حى أموت لن أنساك " فقال لها " ماكو فى وحشة يريد أن تسرعى وتعودى للحاق به مع طفلك ، وطلب منى أن تعودا مسرعين قدمى على قدمك " قالت أمى وهو كذلك ، ثم أخبرته بكل ما حدث بعد فراقهم فتعجب عيسى من حكم الله ، وعندما انتهيا من هذا الحديث أخذته إلى حيث والديها ليخبرهما برسالة ماكو بنفسه فقال لهما عيسى كل شيء ثم عاد إلى منزله ورقد لما أصابه من شدة حرارة الشمس .

وبعد أن تركت عيسى عادت إلى أمينة مسرورة وأخبرتها بالخبر السار الذى سمعته ففرحوا جميعا حتى كادوا ينسون ضياعى ، وقبل أن تعود أمى إلى منزلها ودعت أمينة ومن معها الوداع الأخير ؛ لأنهم سيرحلون فى الصباح الباكر ، ولما انتهت مراسم الوداع عادت إلى المنزل ، وجاء الصباح وقامت أمينة ومن معها قاصدين بلاد الهوسا ، وبعد عودة والدتى إلى منزلها لم تنتظر طويلا حيث بدأت الاستعداد للرحيل إلى زوجها ، وبعد أن رحلت أمينة بخمسة أيام رحلت أمى مع عيسى وواصلا رحلتهما بنفس مطمئنة ، وبعد أربع أيام ، وصلا إلى مقرفى

اليوم الخامس ، ولما وصلا لم يجدا ماكو فى منزله فقد ذهب بعد إلى إحدى مزارعه الجديدة خلف المدينة فبعث عيسى بأمى إلى إخواتها من نساء ماكو ثم ذهب إلى المنزل ليغتسل وغير ثيابه وخرج ، وذهب إلى ماكو خارج المدينة وأخبره أنه عاد سالما ولم ينتظر ماكو لحظة فى المكان الذى كان يجلس فيه وعاد إلى المنزل مسرعا ، فلما وصل دخل منزله وهو يبتسم من شدة الفرح بعودة زوجته ، وأراها الحجرة فدخلت فيها ، بعد أن استراحت وهدأت نفسها لم يسألها عن شىء إلا عن أخبارى فقالت له إنى خطفت، بعد ذلك سألها عدة أسئلة فأخبرته بكل ما لديها من معلومات، وهنا تملك الخوف من ماكو ودهش الجميع. هذا هو ما حدث لأمى من أحداث ، ولكنها فى قرارة نفسها كانت تدرك أن الله واحد وإن أراد الله أن تصل إلى حيث أكون ستصل قبل أن يدركها الموت .

أبـــاع لرجـــل عربـــى :

عندما خطفنى جميزو كانت توجد قافلة عربية فـــى مدينـــة كانو، جاء رجالها لشراء العبيد ونقلهم إلى بلدهم ، وقـــد عقـــد أكثرهم علاقات الود مع كبار خدم الأمير لأنهم كلما وفدوا علـــى هذه البلاد كان هؤلاء الخدم هم وسيلتهم فـــى الحصـــول علـــى الرقيق ، ولا يأتون فى أى وقت، ولكن هناك عادة وقتا يـــأتون فيه ، وكانوا كلما جاءوا لشراء العبيد يتفقون عادة مع أصدقائهم على أن يجمعوا لهم العبيد قبل أن يعودوا فى المرة التالية .

وقد عقد جميزو صداقة مع أحد هؤلاء العرب الذى يســـمى عبد الكريم من إحدى مدن مصر ، وذات يوم بعـــد أن قضيـــت عامين فى خدمة جميزو رأيت رجلا متوسط القامـــة ذا لحيـــة طويلة وشارب يأتى إليه ، ولما أقبل عليه رأيت جميزو يـــترك فراشه ويجلسه فوقه ، ومن حين لآخر يردد قوله مرحبا مرحبـــا بقدومك ، وبعد أن انتهيا من تبادل التحية نادانى سيدى وطلـــب منى أن أذهب إلى البيت وأحضر لهذا الضيف الماء ، فدخلـــت وحملت إليه الماء والدقيق الممزوج بعســـل النحـــل ، وجئـــت وركعت أمام هذا الضيف وقدمته إليه فأخذه وشربه ، وبعـــد أن شرب الماء وحمد الله التفت إلى جميزو وسأله كيف لم أعـــرف هذا الغلام من قبل ، هل هو ابنك؟ قال جميزو " لا " وقص عليه

كيف حصل على وعلى أمي وأبى معا وتحدثا طويلا وأنا جالس على مقربة منهم ، ثم عاد كل منهم إلى منزله ، وكان بيت هـذا الضيف بالقرب من منزل جميزو ، منحه أمير كانو إياه عندمـا جاء لأول مرة ، لأن المنازل كلها كانت مشغولة حين قدومـه ، وكانوا كلما أعدوا له طعاما أمرت بحمله إليه فى منزله حتـى ألف كل منا الآخر لكثرة ما حملت إليه الطعام ، وكـان كلمـا حملت إليه الطعام يسألنى هل أحبه ، ويأخذنى ويمسـح علـى رأسى لتحل على بركة الله ، وأحيانا كان يأتى ببعـض التمـر ويقدمه إلى قبل أن أعود إلى سيدى.

وهكذا يعاملنى حوالى ستة عشر يوما ،وفى اليـوم السـابع عشر رأيت جميزو يأخذه ويذهبا معا إلى قصر الأمير ، وقبـل أن يذهبا سأل عبد الكريم جميزو ما إذا كان يسـمح أن أذهـب وأجلس فى بيته بجوار متاعه حتى يعودا ، فنادانى جميزو وقال لى ، فذهبت إلى منزل عبد الكريم وجلست فى حجرته وذهب ، ومنذ أن خرجا فى الصباح لم يعودا حتى حـان وقـت صـلاة الظهر ، وبينما أنا جالس فى حجرته بـدأت أسـمع ضوضـاء الناس، وصوت جميزو ، وبعد قليل رأيت عبد الكريـم يدخـل الحجرة ، فرحبت بقدومه فقال لى انتهى الأمر ، عد إلى سيدك، وعند خروجى من حجرته تلفت حولى فرأيت العبيد قـد كبلـوا بالأغلال ، وتركوا تحت أشعة الشمس المحرقة ، ولما أمعنـت النظر فيهم رأيت أمي وأبى اللذين أمسكوهما معى فى المزرعة،

وهنا ارتجف قلبى وتملكنى خوف شديد ، ولمـــا رأيــت ذلــك طأطأت رأسى ومضيت والدمع ينهمر من عينى.

ذهبت إلى البيت وقدم إلى الطعام ، والشعور بالظمــأ يكــاد يقتلنى ولكنى تركته ، ولم أكن أفكر فى شىء إلا هؤلاء العبيد ، فعندما وقع بصرى عليهم صرت كمن حمل إليه خبر وفاة أبيــه وأمه ، لقد تألمت كثيرا وأظلمت الدنيا فى عينى ولم يعد فيها مـا يسر، وذهبت إلى حجرة أمى التى خطفت معى لأنام ، وكــان مرض الموت قد ألم بى وكنت لا أملك النظر إلى سقف الحجـرة وقد استغرقت فى تفكير عميق ، وبينما كنت مستغرقا فى التفكير رأيت سيدى جميزو يدخل المنزل ، وعند دخوله سمعته ينــادى اسمى ، أين فلان ، فلما سمعت ذلك ارتعدت وقمت وقلت هأنذا، وذهبت إليه وأمسك يدى وسحبنى إلى المنزل الذى يــنزل فيــه عبد الكريم ، فلما وصلنا ودخلنا منزله وجدناه يقرأ سورة البقرة، فلما رآنا أغلق المصحف وقال حالا وجدته ؟ فأجابه قائلا ، إنــه ليس كغيره من الأطفال الذين يخرجون للعـــب ، وهنـــا أخـذا يتحدثان كلاما لم أستطع أن أفهمه جيدا ، بعضه تعودت سـماعه والبعض الآخر كأنه لغة مختلفة ، وفى نهاية حديثهما ســـمعت جميزو يقول يا عبد الكريم ستضرنى بإبعاد هذا الغلام عنـــى ، فمنذ أن عرفت الخدم لم أر أبدا أعقل ولا أخلص من هذا الغلام؛ فمنذ أن شاء الله أن يدخل هذا البيت ، لم أسمع مطلقا واحدة مـن نسائى أو خادما من خدمى يشكو منه ، أجاب عبد الكريم مثـــل هذا الخلق هو الذى يحبه العرب ، أى إنسان فى هذه الدنيا علـــى

سعتها إن لم يكن على خلق يستوى فى ذلك الأبيض والأسود ، فهو مثل الدابة تماما ، لأن العقل والبصيرة والحكمة لا تتوفران فى إنسان إلا إذا كان كريم الخلق .

عند سماع هذا الكلام بدأت أقول فى نفسى لا شك أن عبد الكريم سيذهب بى إلى بلدهم ، وأنا فى هذه الحالة من الاضطراب النفسى التفت إلى جميزو وقال يا عمر ، ها عبد الكريم يلح علي فى طلبك ، إنه يطلبك لا لتصير عبدا له ، إنه يريد إذا استطعت التغلب على نفسك استطعت الحياة معه ستصير له ابنا لأنه لم يرزق ابنا ، وليس له قريب واحد ، وقد رضيت أن تذهب معه والآن ننتظر موافقتك فقط .

وبعد هذا رفعت رأسى وأخذت أفكر فى مدى البعد بين بلده وبين بلدى ، وأتذكر أن أمى إذا كانت على قيد الحياة فلن تعرف أين ذهب الله بى ، وهنا اسودت الدنيا فى عينى ولم أشعر متى أخذ الدمع يفيض من عينى ، ولما رأى عبد الكريم ذلك سألنى ألا أحبه ، فأجبته أن الأمر ليس كذلك إننى لا أريد أن أبعد عن موطنى فإذا اتبعته إلى بلده متى سأعود إلى وطنى ؟

فقال لى فى كل عام إذا جاء سيأتى بى لأرى موطنى ، فقلت وهو كذلك موافق لكى لا يقال عنى إننى عديم الحياء بعد أن امتدحانى ، وبعد أن انتهى من هذا الكلام تماما وافقت فطلب منى جميزو ، أن أعود إلى المنزل ، فلما قمت وهممت بالذهاب أحضر عبد الكريم نوعا من الطعام لذيذ الطعم وقدمه إلى مع

بعض التمر الجاف الذى لم أذق ألذ منه ، فركعت وأخذتـــه ثـــم وقفت ووضعتهما فى طيات سترتى الكبيرة التى اشـــتراها لـــى جميزو ، وخرجت وسلكت الطريق إلى المنزل فوصلت إليه بما أحمل من هم فى نفسى ، وذهبت إلى أمى ثم عدت إلى الحظيرة وجلست القرفصاء وصارت هيئتى تستدر العطف تمامـــا فلمـــا رأت ذلك انفجرت فى البكاء وأخـــذت تســـأل عمـــا أصـــابنى فقصصت عليها قصتى من البداية حتى النهاية فـــأخذت تبكـــى وتقول لا بأس يا عمر تذكر دائما فى نفسك أن الله مـــالك كـــل شىء ، وجلسنا نتحدث كثيرا حتى شاء الله أن يدخـــل جمـــيزو ويخبرها بنفسه أننى ذاهب إلى مصر مع صديقه العربى ، فقالت لا بأس ، أحيانا الله، قال آمين .

ومرت الأيام وذات يوم بعد هذا الحديث بخمسة عشر يومـــا عزم عبد الكريم على الرحيل ، وكان قد استعد تماما ، بعـــد أن قضى كل مآربه ، واشترى كل ما يريده من العبيد ، إلى جـــانب بعض الأقمشة السوداء التى تلف حول الـــرأس وغيرهـــا مـــن الأقمشة السوداء لبيعها فى الطريق ويشترى الزاد .

وبعد أن أتم استعداده كان عليه أن يسافر فى صبـــاح اليـــوم التالى ، بعث من يستدعينى فذهبت فأخبرنى أنه استعد للســـفر وسيرحل فى صباح الغد ، وطلب منى أن أذهب وأستأذن مـــن أصدقائى وأمهاتى أى عائلة جميزو، فقلت وهو كذلـــك . قمـــت وعدت إلى المنزل ودعوت كل من أعرف ثم لففـــت حصـــيرة صغيرة ووضعتها تحت أبطى وقصدت منزله لأنام فيه حتـــى لا

أتأخر ، فوجدته جالسا وقد اقترب العصر بعد أن أحضر عبيده ، وكان عددهم عشرة مختلفين مقيدين ، كان قد بعث بـــــهم إليـــه الأمير ، ولما أقبل الليل دخلت الحجرة معه ونمنا على فـــــراش واحد حتى حان الصباح .

نغادر مدينة كانو :

ظهر نور الصباح فسمعت صوتا يصدر من شيء كـــالقرن ينفخ فيه ويدق الجرس ، عند سماع ذلك دهشت فقمت مذعــورا وأيقظت عبد الكريم وأخبرته فقال لى هذه إشارة المســافرين أى أن باقى رفاقه قد استعدوا للسفر ، وسيرحلون ، وفى الحال فتـح الباب وخرج ، وذهب وسحب جمله الأبيض ذا السنامين ، ثـــم توجه إلى الحظيرة حيث ينام هـــؤلاء العبيـــد فـــى فضـــاء الله كالخراف ، وأيقظهم وتهيأنا للرحيل .

غادرنا مدينة كانو فى صباح يوم السبت الثالث مـــن شـــهر رمضان ، وقد مضى على هجرة النبى (صلى الله عليه وسلم) ألف وثلاثمائة سنة تماما ، وقد حضر كل المسافرين إلى مصـــر إلى بوابة المدينة ، لا أتذكر اسم البوابة الآن .. وعندما تجمعوا كلهم أعطيت لهم إشارة بدء الرحلة ، وقبل أن نغادر البوابة بعث لنا الأمير بحوالى خمسين خيالا ليودعونا ، وعندما أوشكنا على الرحيل نادانى سيدى وأخذنى وأركبنى أمامـــه فـــوق جملـــه ، وواصلنا السير ولم أعرف الجهة التى كنا نقصدها ، وأشـــرقت الشمس وغربت ولم نترك ظهور الإبل .

وباختصار منذ قيامنا من مدينة كانو لم نسترح فى أية مدينة إلا مدينة كركا ، ولما غادرنا كركا لم نتوقف إلا فى أرض خلاء كثيرة الرمال ، ليس فيها منزل واحد ، إلا علامات من الأكواخ على الطريق ، وهنا توقفت القافلة واستعد أعضاؤها لورود الماء قبل أن يدخلوا فى الصحراء الكبرى ، ومكثنا يومين ولا عمل لهؤلاء العرب إلا إصلاح أسلحتهم وملء القرب بالماء ووضعها على ظهور الإبل ، وقبل أن نتحرك أقبل رجل عربى على عبد الكريم وطلب منه أن يخبر رجاله كى يستعدوا لأن المكان الذى سندخله خطير ، وهنا بدأت أشعر بالخوف ، وأخذت أفكر ربما سيحاربون ، ولا سيما أننى رأيتهم يصلحون بنادقهم وحرابهم ، وبعد قليل دق الناقوس فتحركنا جميعا قرب العصر ودخلنا الصحراء الكبرى .

وفى هذه الصحراء رأيت عجبا وأحسست بخشية الله وآمنت بأن ما قاله الأسد للذئب حق ؛ إذ قال " بنى آدم شىء مخيف " منذ بدأنا الدخول فى الصحراء لم أر شجرة كبيرة ، فحينما تنظر ترى مدى بصرك ، لا ترى شيئا إلا الرمال ، لا أمطار ولا نبت فى أى مكان ، هناك الرياح ولكن ليست مثل هذا البلد ، رياحهم ليس فيها إلا الرمال ، كل من يعرف كيف تكون رياح الصحراء ، لا يرجو أن تصل إليه فى أى مكان ، فهناك إذا هبت ونظرت إليها حسبتها عاصفة ، لقد أخبرنى صديق عربى أنه أحيانا إذا هبت هذه الرياح على قافلة جعلت الناس فى حالة من الاضطراب حتى يضلوا الطريق ، وينتشروا فى الصحراء ،

ومهما كانت سعة الطريق فى الصحراء فعندما تـــهب الريـــاح تختفى معالم المكان تماما ، سبحان الله .

عندما دخلنا هذا المكان تملكتنى الشفقة على هؤلاء العبيـــد ، كنت كلما نظرت إليهم رأيتهم يسيرون فـــى الرمـــال يقتلعـــون خطاهم وقد حنوا ظهورهم ، لا أشق على الإنسان الذى تعـــود على السير فى أرض صلبة من أن يسير فى كثبان الرمال .

هكذا واصلنا السير فى الرمال يوما بعد يوم ، ولا أذهب بـك بعيدا فى الحديث فمنذ أن تحركنا من المكان الذى وردنا المـــاء فيه لم نجد ماء مرة أخرى إلا بعد أن قضينا ثلاثة أيـــام ، ثـم وجدنا قرية صغيرة يسكنها بعض الطوارق بالقرب من بعـــض الآبار الصغيرة فى الرمال ، فى هذه القرية رأيت أمرا عجيبـــا كل سكان هذه القرية صغارا وكبارا يلفون عمامة سوداء طولـها حوالى ثلاثة أذرعة حول رؤوسهم ، وأكثر من تـراه ملثمـا لا يرتدى قلنسوة ، وإذا تلثموا يشدون اللثام حتى يغطوا وجوهـــهم به، أما النساء فتغطى كل منهن وجهها بقطعة من القماش ، مثل هؤلاء الناس سمعت عن شجاعتهم كثيرا ، وقد رأيـــت بنفســى الدليل على ذلك عندما سمعت كلامهم فكل ما تسمع من كلامـــهم كأنه شجار .

وعندما وصلنا إلى هذه المدينة التى تحدثنا عنها ، توقفنا عند بعض الآبار واغترفنا الماء واغتسلنا ، وبعد قليل رأيـــت أهـــل المدينة نساء ورجالا يقبلون علينا وقد وضع كل تاجر فى القافلة

متاعه وأخرج عمامات سوداء ، وأقمشة كالتى تصنع فى مدينة كانو ، ثم رأيت المكان كله فى هرج ومرج يتبادلون التجارة ، واستمر تبادل السلع حتى مالت الشمس ، وبعد العصر أخذ كل تاجر سلعته وربطها، وعند المغرب دق ناقوس الرحيل فرحلنا .

وتوغلنا فى السير داخل هذه الصحراء ، ولم نخرج منها إلا بعد شهرين وثمانية أيام ، وذات يوم بعد أن سرنا سيرا طويلا ، قربنا من بلدة فى مصر غربى نهر النيل ، يقال لها بركوفة، لقد كانت مدينة " عبد الكريم " حيث سنمكث عدة سنوات ، وعندما أوشكنا على الوصول قال لى عبد الكريم إنها بلدتهم ، وأن منزله قريب على مدى البصر ، وبعد أن توغلنا قليلا دخلنا مدينة لم أر مثلها منذ ولدتنى أمى، ولما تجاوزنا ثلاثة منازل دخلنا منزل عبد الكريم ، ونزلنا حيث خدمه ، ومضى باقى أفراد القافلة إلى منازلهم .

وفى هذا الوقت سارع العبيد وأحضروا لسيدى الطعام والشراب ، ولكنهم لم يستطيعوا تناول لقمة واحدة لشدة تعبهم ، أما أنا فقد أخذنى عبد الكريم إلى زوجته بمجرد وصولنا وتركنى عندها ثم خرج ، وبعد أن استراح هؤلاء العبيد تماما ، وهدأت نفوسهم ، انهالوا على هذا الطعام كالجراد الذى هبط على مزرعة للدخن كادت تنضج ، ومكث عبد الكريم مع هؤلاء العبيد حتى انتهوا من تناول الطعام تماما ، ثم دخل المنزل فوجدنى جالسا مع زوجته نتحدث بلغة الهوسا التى تعرفها ، لأنه

كان يأخذها معه عندما بدأ يتاجر مع بلاد الهوسا ، وقد أقاما معا فى مدينة كانو حوالى ثلاث سنوات ، دخل عبد الكريم المنزل وقص لزوجته قصتى كاملة ، وأخبرها بكل ما ينوى عمله معى، ففرحت لذلك فرحا شديدا .

بعد أن قضيت سبعة أيام تعودت على زوجة عبد الكريم تماما ، وذات يوم أخبرنى أنه ينوى الذهاب إلى شاطئ البحر ليبيع عبيده .

وقبل أن يرحل طلب من زوجته أن تأخذنى إلى أحد المعلمين من جيرانه ليعلمنى القراءة، ونادانى وأخبرنى بذلك ، ثم سافر إلى الإسكندرية بثمانين عبدا ، ولكن مات منهم خمسة وعشرون فى الطريق ، وعندما حان مغرب اليوم الذى سافر فيه ، ذهبت مع زوجته زينب إلى الشيخ مسعود الذى سأتعلم القراءة لديه ، وأخبرته بكل ما قال زوجها ، ثم عدنا معا إلى المنزل، وقالت إننى لن أبدأ القراءة إلا فى الغد إن شاء الله وكنا أحياء .

وفى صباح اليوم التالى قدمت إلى قميصا جديدا وسروالا وشيئا من الطعام ، وبعد أن تناولت طعام الإفطار طلبت منى أن أتوجه إلى الكتاب فخرجت متجها إلى منزل الشيخ مسعود، وبدأت أتعلم القراءة ، ومنذ ذلك اليوم لم يكن لدى الرغبة فى البقاء فى المنزل إلا قليلا من الوقت بقدر تناول الطعام ، ولم ينقض وقت قليل حتى صارت القراءة بالنسبة لى أمرا سهلا، فقد كنت أستوعب كل ما أتعلمه بسرعة شديدة ، ولم يمض شهر

واحد حتى بدأت القراءة فى اللوح ، وقبل أن يعود عبد الكريم من الإسكندرية كنت قد حفظت من الفاتحة حتى سبح .

وفى اليوم السابع من الشهر ، وكان قد بقى على يوم عاشوراء ثلاثة أيام ، عاد عبد الكريم ، فأخبرته زينب بأخبارى، ففرح فرحا شديدا ، وأمر أن يذبحوا له خروفا ليتصدق به ، ومنذ ذلك اليوم كان يلبى كل طلباتى؛ فلم يترك نوعا من الثياب إلا اشتراه لى .

ولما حال الحول عزم عبد الكريم على العودة إلى مدينة كانو، وقال لى سنذهب معا على العهد الذى اتفقنا عليه ، عندما سمعت ذلك تعجلت الوقت الذى سأرى فيه وطنى ، وبعد أن أعددنا كل شىء جاءته أخبار ما حدث فى بلاد السودان ، وهو أن محمد أحمد توجه إلى مصر وقال إنه المهدى ، وتبعه كل أهل السودان ، فأرسلت إليه حملة حربية من مصر .

عندما سمح عبد الكريم ذلك قال الأفضل أن ننتظر لنرى ما سيحدث ، الآن بلاد السودان هى الطريق الذى سنسلكه ، وكان الجميع حينئذ يظنون أن الأمر لن يطول، وسينتهى قريبا ونسافر، وأثناء ذلك وصلتنا الأخبار بأن الحرب انتهت وأن جماعة المهدى انتصرت ، وصارت كل البلد فى هرج ومرج ، ومرة أخرى أرسلت حملة عسكرية من مصر ، ولكن الأمور كانت قد تأزمت ، فلما علمنا بذلك أدركنا أنه لا توجد فرصة للرحيل ولا مفر من البقاء.

وكما هو حال الطفل دائماً ، بمرور الأيام بدأت أنسى بلدى وأهلى حتى أمي وواصلت التعليم حتى حفظت القرآن فى عامين، وقد أتممت حفظ القرآن يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر المحرم ، وفى هذا اليوم أقيم احتفال ربما لم أر مثله حتى اليوم ، ففى الصباح الباكر ذبح من أجلى ثلاث بقرات وجملان، وحوالى تسعة خراف غير الديوك الرومية ، وكان الطعام الذى صنع فى منزلنا وأهدى إلينا لا حدود له .

دخل عبد الكريم حجرته وخرج بنوع من الثياب العربية ؛ لامعة مثل الفضة ، وسروال تونسى مشغول حتى موضع الحزام ، وعباءة من الحرير ، وطربوش له ذر من الحرير الأبيض ، وعمامة صفراء ، وأخذ كل هذه الثياب وقدمها إلى لأرتديها ، فلما ارتديتها طلب منى أن أمضى أمامه إلى المدرسة حيث يجتمع صفوة العلماء انتظارا لأقرأ لهم قليلا من القرآن وليستمعوا إلى ويدعون لى .

سرت أمامه حتى وصلنا إلى المدرسة ، وجلسنا وأخذ كل منهم ينظر إلى فى دهشة ، ثم جاء الشيخ مسعود ببعض الوريقات من المصحف وقدمها إلى لأقرأها أمام الحاضرين ، وهم فى صمت شديد ، مرهفين السمع أثناء قراءتى .

قرأت هذه الوريقات جيدا ، دون أدنى خطأ ، وعندما انتهيت أخذ الجميع يقولون الحمد لله ، ويرددون لى الدعاء ثم وزع الطعام على الحاضرين .

وبعد أن حفظت القرآن بأيام قليلة ، أحضر سيدى عبد الكريم بعض الكتب العلمية وقدمها إلى مـــع بعــض كتــب الأدعيــة والأحاديث ، فأخذتها وذهبت إلى الشيخ مسعود ، وعندما قدمتها إليه أخذها ووضعها على فراشه ، وأخذ كتابـــا منـــها " اســمه العشماوى " وأعطاه لى قائلا سنبدأ به لأنه الكتاب الأول الـــذى يعلم الإنسان مسائل الدين جيدا .

بدأت بهذا الكتاب وحفظته بسرعة ، وبعـــد ســنوات قليلــة صرت الرجل الثانى فى العلم بعد الشيخ مســعود فــى مدينــة بركوفة ، ومنذ هذا التاريخ أخذ الناس ينادوننى بالشيخ عمـــر ، وأخذ الناس يتوافدون من بلاد كثيرة فى مصر لزيارتى وهم فى دهشة من أمرى ، فأنا رجل غريب ومع ذلك وهبنـــى الله مـــن البصيرة والفهم الكثير ، وفى هذه الأثناء توفى الشيخ مســعود ، وبلا أدنى تردد وضعت فى مركز الإمامة بعده ، وصرت معلما لكل تلاميذه .

أمي تبحث عني :

منذ أن علمت أمي أنني سرقت لم يهدأ لها بال ولم تستمتع بأى شيء من الحياة ، وكانت كلما خلت إلى نفسها حدثتها بأنها ستذهب إلى كل بلدة يحتمل أن أكون فيها ، ومنذ أن افترقنا لم تأكل طعاما ويستقر فى جوفها ، لقد صارت ذابلة عجفاء مثل الشبح قد تغيرت هيأتها ، حاول ماكو كثيرا أن ينسينيها ، ولكنه لم يجد سبيلا إلى ذلك حتى بئس .

وذات يوم بعد أن فارقتها بعام تقريبا ، طلبت من ماكو أن يسمح لها أن تتوجه حيثما أكون فى هذه الدنيا تبحث عنى ، فرفض فى بادئ الأمر ثم وافق بعد إصرارها ، وأحضر بعض المال والثياب وقدمها إليها ، فقامت وذهبت إلى مدينة كانو فلما وصلت إلى المدينة سألت عن منزل جميزو ، ونزلت فيه ، وسألته عن مكانى فأخبرها ، ولم يخف عنها شيئا ، أخبرها اسم البلد الذى ذهبت إليه ، واسم المدينة وكذلك أسم سيدى ، فلما سمعت هذه الأخبار هدأت نفسها وحمدت الله ، وسألته عما تفعل لتصل إلى .

فقال لها جميزو " إنك جئت فى الوقـــت المناســب فبعــض القوافل ستسافر إلى هناك فى خلال ثلاثة أيام ، وتوجد قافلتان ، إحداهما ستتجه إلى مرزوق ، والأخرى إلى حيث يقيم ابنك .

وبعد أن قال لها ذلك بيومين خرجت وذهبت إلـــى الســوق وسألت عن القافلة التى سترحل غدا ، فدلوها على القافلة التـــى ستذهب إلى مرزوق ... وكان فى هذه القافلة تاجر من مدينـــة كانو مسافر إلى هناك اسمه أدو ، فذهبت إليه وركعت بين يديه، وحدثته فى أمرها فأخبرها أن الرحيل غدا وسألها عما إذا كانت ستلحق بالركب فأجابته قائلة " نعم أننى أريد أن أذهب لأبحـــث عن ابنى الذى يقيم فى مدينة بركوفة فى مصر " .

عندما سمع أدو هذا الكلام أضمر فى نفسه أن يخـــدع أمـــى ويذهب بها ويجعلها كزوجته، ويضمها إلى جواريه ونســـائه ، وقال لها " حسنا عودى إلى منزلك وأحضري متـــاعك ، لقــد أسعدك الله بأن جعلك فى هذه الرحلة ، عليك أن تذهبى وتعودى للإقامة معنا حتى يكتب الله لنا سلامة الوصول إلى هناك لأننـــا سنتوجه إلى المدينة التى تقصدينها " .

عندما سمعت والدتى هذا الكلام عادت إلى منزلها وأخـــذت متاعها البسيط ووضعته بين يديه ، فقد صارت الأمانـــة التـــى أودعها الله لديه ، لقد سلمته هذا المتاع فى المغــرب ، وكـــانت الرحلة فى صباح اليوم التالى .

وطال بهم السير ، يقضون اليوم فى مدينة ، وفى الغد يرحلون إلى أخرى ، واستمروا على هذا الحال حتى وصلوا إلى مدينة جات ، وفى هذه المدينة عزموا على البقاء أياما للتجارة ، وحتى هذه اللحظة لم تكن والدتى تعرف ما ينوى أدو أن يفعل معها . وكان الناس الذين يرافقونها يظنون أنها زوجته لأنهم كانوا يرونه يغار عليها فى الطريق.

وذات يوم قبل الرحيل ذهب أدو إلى السوق يشترى بعض الزاد فقابلت والدتى امرأة من كانو جارية لرجل عربى ، فجلست تتحدث معها وسألتها عن سبب تركها لمدينة كانو فأخبرتها ، فدقت المرأة صدرها وقالت لها إن هذا الرجل خدعك لقد تركتم الطريق المتجه إلى مصر منذ خروجكم من المدينة .

فسكتت أمى ولم تعرف بماذا ترد ، وبعد قليل قالت لمحدثتها، وماذا أفعل الآن ؟ و لقد بعد بنا الطريق ولا سبيل للعودة ، نفد المال الذى خرجت به من المدينة ، قالت المرأة " لو سمعتى نصيحتى لا تظهرى له أنك أدركت حيلته ، حتى يأذن الله وتصلوا إلى مرزوق ، وعندئذ قاضيه واشتكيه " .

يصلون إلى مرزوق :

عاد أدو من السوق حوالى العصر ، وعندما حان وقت المغرب بدأوا فى الرحيل ، وواصلوا السير أياما طوال،حتى شاء الله أن يصلوا إلى " مرزوق " وتوجه كل عربى كان معهم إلى منزله ، وقد اكتشفت أمى أن لأدوا مسكنا فى هذه المدينة ، فأخذ والدتى ومتاعها ونزلا فيه ، وبعد أن مضى يومان قال لأمى " لا تظنى أننى لن أذهب بك إلى بركوفة ، أريد أن أصفى بعض الحسابات ثم نذهب معا ونعود إلى كانو معا " .

وأخذ يتكلم كثيرا ، ولم تقل له أمى شيئا ، حتى انتهى من كلامه وسكت ، فتركته وحده ، وعندما رأت أن الجميع استعد للعودة قالت له " سأشكوك إلى القاضى"، فقال لها "اذهبى للقاضى لنرى هل يستطيع أن يأخذك منى ؟ "

وخرج أدو لشأنه ولم يتوقف إلا فى بيت القاضى، وقال له " لقد جئت بجارية لى من بلاد الهوسا ، وقد أصبتها لوثة من الجنون وعندما عزمت على الرحيل رفضت أن ترحل معى ، وقالت إنها ستشكونى إلى القاضى".

قال القاضى " حسنا "، فلتأت.

ولما عاد أدو إلى المنزل ، ذهبت إلى القـــاضى لتشـكوه ، فسألها عما جاء بها ، فقالت "أشكو رجلا يسمى أدو ، ونحن فى مدينة كانو طلب منى أن أتبعه ليوصلنى إلى ابنى ، وقد طـــالت بنا الرحلة ولا يبدو أنه سيفى بوعده ، ولا أعرف أحدا فى هــذه المدينة ليدلنى على الطريق".

فسألها القاضى " فى أى بلدة ابنك ؟ "

قالت " فى بلدة بركوفة فى مصر " .

عندما سمع القاضى هذا الكلام ، ظن أنها ليست عاقلة ، فقال لها " إذا كان الأمر كذلك ، فهو أمر يسير ، امكثى لدى حتـــــى أجد مسافرا ".

وفى المساء بعث القاضى من يستدعى أدو ، فلمـــا حضـــر أعطاه القاضى بعض المال ، وقال له " عد إلى بيتـــك انتـــهى الأمر ، مع السلامة " ، ظلت والدتى فى منزل القاضى ، حتـــى رآها رجل من طرابلس اسمه أحمد فقال للقاضى إنه يرغب فـــى تحريرها ، وتساوما ودفع للقاضى فدوها ، فناداها القاضى وقال لها "ها قد وجدت الرجل الذى سيذهب بك إلى بركوفة سـأضمك إليه ليوصلك إلى ابنك " ، ففرحت فرحا شديدا وشكرته .

وفى اليوم التالى ، بدأوا رحلة السفر ، وبعد مسيرة طويلـــة وصلوا إلى طرابلس مغربا ، ولم يتوقف الرجل فى أى مكان إلا

فى منزله ، وعندما طلع النهار نادى كبيرة جواريه وقال لها "ها أخت لك ، أحضرتها لك ، اعملوا كل شيء معا " .

فلما سمعت أمي ذلك ، قالت " لا يـــا سـيدى ، إن قــاضى مرزوق ، الحقنى بكم لتوصلنى إلى المكان الذى فيه ابنى ، ثــم تقول إننى جاريتك " ؟

قال " أبدا ليس الأمر كذلك ، لقد اشتريتك مــن يــد قــاضى مرزوق " .

فقالت " أهكذا ؟ "

وعادت تقول " أنا التى أصابتنى مصائب الدنيــا ، لعـل الله يلطف بى " .

وعاشت حياتها ، ولم تبد ما أصابها من آلام ، حتــى بـدأت وكأنها تعودت على الآلام ، وذات يوم بعثها سيدها إلى الســوق ومرت بمنزل القاضى فرفعت إليه شـكواها ، فـأمر القــاضى بإحضار أحمد ، وعندما جاء كررت الكلام ، فقال " هذا كـذب ، لقد أشتريتها من يد قاضى مرزوق " .

قال القاضى " وهو كذلك ، عودى إلى منزله ، وامكثى فيه ، وسأبعث برسالة إلى قاضى مرزوق ، ليقول ما لديه ، وإذا جـاء الرد سأبعث إليك " .

وبعد أن انصرفت بعث برسالة إلى قاضى مرزوق، وبعــد فترة جاء رد الرسالة ، فأمر القاضى أن يحضر ، فقــال لــها

القاضى : ، " لقد وصلنى الرد من قاضى مرزوق ، وقال إنـــك تكذبين ، إنه باعك له وعليك أن تذهبى معه ، وتقيميـــن لديـــه وتخدمينه " .

فقالت للقاضى " حسبى الله فيما بيننا " ، واستأذن أحمد وقـــام بجاريته .

وعندما عاد إلى المنزل ، قال لها " طالما أن حالك هذا معـــى فلن أتركك طليقة ، سأقيدك حتى ينصلح حالك"، وأمر أن تقيـد ، وأخذ يسند إليها كل الأعمال المنزلية الصعبة ، ولا يطعمـــها إلا من حين لآخر ، وتغيرت هيئتها لشدة ما أصابـــها مـــن حـــزن وبؤس ، فإذا فرغت من عملها انزوت وأخذت تبكى .

ولما رآها على هذا الحال قال فى نفسه " لقد ازداد أمر هـــذه الجارية سوءا ، وليس لها علاج إلا الضرب "، وأخذ يضربـــها كل يوم ومع ذلك لم يتغير حالها ، وظل يعذبها لمدة عام .

أما هى فلم يضايقها كل هذا العذاب الذى تتلقاه، وكان كل ما يشغل بالها هو عدم الوصول إلى أبنها ، حتى ذبلت وعجـــزت عن العمل ، فما زادها سيدها إلا عذابا .

وعجز سيدها عما يفعل معها ، فقال " إذا استمر الحال هكـذا مع هذه الجارية الملعونة، سأميتها وأخسر مالى، فتركها ومـــع ذلك لم تهدأ نفسها ، وظلت فى ذبول مستمر .

رؤيا مخيفـــــة :

وبينما كنت فى غمرة سعادتى فـــى بركوفـــة ، ولا شـــىء يضايقنى ، وقد نسيت كل شيء فى بلاد الهوســـــا ، ذات يـــوم استيقظت من نومى بعد العشاء فتوضأت وأخذت أقـــرأ القـــرآن كعادتى اليومية ، فأخذتنى سنة' من النوم ، ولم أســـتغرق فـــى النوم طويلا ، فرأيت فى منامى ، أننى على جبل عال ، علـــى مدخل كهف كبير ، وفى هذا الكهف لبؤة وابنتها ، وأننى كنـــت مع بعض صيادى الأسود ،وعندما التفت بعد برهة لم أر أحـــدا على الجبل غيرى واللبؤة وابنتها ، وفجأة خرجت اللبـــؤة مـــن الكهف وتوجهت إلى الغابة تبحث عن صيد لها ، وبعد أن ذهبت عادت بعد قليل ودخلت الكهف ، ثم خرجت مسرعة وهى تهذى وتزأر لأنها فقدت صغيرتـــها وأخـــذت تـــدور حـــول الكـــهف وتبكى.ولم تجدها ، ثم رأيت أشياء مبعثرة ، وعندمـــا أوشـــكت على الاستيقاظ رأيت أمى على مدخل الكهف تنادينى باســـمى ، رأيت ذلك فى المنام فشعرت بالخوف وقمت من النوم مندهشـــا ومرتبكا فى تفكيرى ، وظللت أتذكر هذه الرؤيا فـــى نفســـى ، ومكثت فترة لا أخبر أحدا بها ، إلا أننى عجزت عـــن الصـــبر على سرها فذهبت وقصصتها على سيدى عبد الكريم ، وقلت له "اليوم نفسى فى قلق ، وما يشعر به قلبى هو أن والدتى تبحـــث

عنى ، وأرى أن كل روحى متعلقة ببلدى ولكن لا أعرف أبـــدا السبيل إلى رؤيتها " .

قال عبد الكريم " وأنا أيضا أفكر كيف نجد السبيل للعودة إلى بلاد الهوسا ، لأن هذا الأمر الذى استصغرناه قد عظـــم ، فقـــد ضاعت كل بلاد السودان ... واستولى رجـــال المـــهدى علـــى البلاد، ولا أرى أن مصر ستعيد سيطرتها عليـــه ، وهـــا كـــل البضاعة التى أعددتها للبيع مزجاة ، ولكن سمعت بالأمس مـــن أخ ذهب للتجارة فى طرابلس أن القوافل تتبع طريقا آخر إلـــى بلاد الهوسا ، الأفضل أن نسلك طريق طرابلس ، لذلك ما أفكـــر فيه أن نذهب إلى البحر ، ومن هنـــاك نســلك الطريـــق إلـــى طرابلس، وبذلك نستطيع أن نجد القافلة المتجهـــة إلـــى بـــلاد الهوسا، وبإذن الله سوف أذهب بك ، وسأوصلك إلى البلدة التـــى تقيم فيها والدتك ، ولكن لدى شرط واحد لابد أن نتفق عليه وهو أن نعود معا إذا ذهبنا وإذا كنت تنوى أن تخدعنى كمـــا يفعـــل أبناء السوء ولا تعود معى فقل لى لأعرف ، وكن واثقـــا فـــى نفسك أنك إذا قلت لى : إننى إذا ذهبت لن أعود ، هو كذلـــك ، فلن ألح عليك لأنك تعرف أننى جعلتك كإبنى وأنت الذى تستريح عينى إذا نظرت إليه ".

عجزت عن الرد وأصغيت فقط حتى انتهى عبد الكريم مـــن كلامه ، فقلت له " أنت تعرف أنه ليس لى أب فى هـــذه الدنيـــا كلها إلا أنت ، بين يديك نشأت ، وأنت الذى رفعتنى بين الناس،

فكيف أرى السبيل إلى خداعك، وهل تعتقد أن الشخص الذى أسدى إلى إحسانا أرده له شرا ، لست من يفعل ذلك ، وإذا فعلت ذلك فإن الله سيحاسبنى " .

وجلست أتحدث مع عبد الكريم حتى اقترب الظهر، فطلب منى أن أعود إلى المنزل لأن التلاميذ أخذوا يتجمعون ، فلما وصلت وجدت كثيرا من التلاميذ قد تجمعوا أسفل شجرة أمام المنزل ، وقد فتح كل منهم كتابه وأخذ يقرأ فيه ، فدخلت المنزل واغتسلت ثم خرجت لإلقاء الدرس عليهم .

بعد إلقاء الدرس قام كل منهم وتوضأ وتقدمتهم فى الصلاة ، وعندما انتهينا من الصلاة، أخبرتهم أننى سأسافر خلال هذا الشهر مع عبد الكريم لزيارة بلدى إن شاء الله ، فلما قلت ذلك لم تبد الفرحة على وجوههم ، فسألتهم عن السبب ، فقالوا إنهم يخشون ألا أعود إذا سافرت ، فقلت لهم لن يحدث هذا مطلقا .

وفى اليوم التاسع من شهر الصيام ، انتهينا من الاستعداد وبدأنا الرحلة ، فأخذنا المركب حتى وصلنا إلى مدينة القاهرة ، ومنها إلى مدينة الإسكندرية ، حيث أخذنا باخرة كبيرة ووصلنا إلى طرابلس بعد أيام قليلة .

وعندما نزلنا من الباخرة سأل عبد الكريم رجلا عن شخص تعود أن يتعامل مع بلاد الهوسا فى التجارة. فقيل له فى هذه المدينة لا يوجد رجل مشهور بذلك إلا أحمد ، وذهب بنا إلى منزله ، فرحب بنا التاجر وأنزلنا عنده وأكرمنا كثيرا.

وذات يـــوم بعد أن استرحنا ، جاء عبــد الكريــم وأخــذ يتحدث مع التاجر ويسأله عن أخبار الطريق ، فأخبره أحمد بكل ما يعرف ، فقال له عبد الكريم ، إن شاء الله سنسافر غدا ؛ فقال له أحمد " عندى جارية من بلاد الهوسا اشتريتها العام المــاضى من مرزوق ، ولكن حالها يسوء يوما بعد يوم فمنذ أن اشــتريتها لا تفيدنى فى شىء ، ولا تزداد إلا فسادا ، فهى دائمة التفكير فى بلدها ، وإذا لم تفارقنى الآن سأخسر مالى ، وطالمــا أن هــذه تجارتك وأنت تعرف لغتها ، ســأدعوها ربمــا تفــهم كلامــها وتريحنى منها " .

قال عبد الكريم " وأين هى ؟ "

فدخل أحمد وناداها فخرجت ، فقال لها عبــد الكريــم " مــا اسمك ؟ "

فلما سمعت أنه يكلمها بلسانها ركعت أمامه وأخــذت تبكــى فسألها عما أصابها ، ومن أية مدينة هى ؟ قالت " أنا امرأة مــن فاتيكا ، وزوجى هناك تركته فى إحدى المدن اسمها مقرفى".

قال " ماذا حدث حتى جئت إلى هنا ؟ "

فأخذت تقص عليه خبرها ، وكيف خرجت من المدينة تبحث عن ابنها ، وكيف خدعت وبيعت ، حتى جاءت إلى هذه المدينة، ولما انتهت من كلامها قال لها :

" والآن ماذا تريدين ؟ "

قالت " لا أريد شيئا إلا ما خرجت من منزلى من أجله ، وهو أن أجد أبنى ، ثم أموت" :

فلما سمع ذلك تعجب لسوء حالها ، وقال لها: " هل تعرفيـــن اسم المدينة التى بها أبنك ؟".

قالت " نعم ، لأنهم قالوا لى إن رجلا ذهب به إلى بلدتهم فـى مصر ، واسم المدينة بركوفة " .

قال لها " بركوفة ! وما اسم سيده ؟"

قالت " اسمه عبد الكريم " .

قال " عبد الكريم ، وما اسم الولد ؟ "

قالت " عمر

فلما سمع ذلك قال " الله أكبر ، يفعل الله ما يشاء، أبشــرى ، لقد نظر الله لك بعين رحمته ، اليوم انتهت مشكلتك " .

ثم التفت إلى أحمد وقال له " كم أدفع لك لتحريرها ؟ "

قال " أى شىء تعطنى موافق " .

فدخل وأحضــــــر المال وقدمه إليه ، ثم نادانى، وقال لـــها " ها هو من تبحثين عنه ، وأنا عبد الكريم ".

أمى ترانى :

ثم نظرت إلى وقالت " أنت عمر " ،وانفجرت فى البكاء ، أما أنا فقد وقفت مذهولا ، ثم شعرت بجسمى يقشعر ، وسألت عبد الكريم " من هذه ؟! ولماذا تبكى"!!

فردت والدتى قائلة " أنا أمك ، أبحث عنك منذ سنوات حتى جمعنا الله اليوم معا " ثم هبت قائمة واحتضنتنى ، أما أنا فقد عجزت عن الكلام .

ثم قال عبد الكريم لنذهب إلى مسكننا ، وعندما ذهبنا عاد لها هدوءها ، وأخذت تقص علينا أخبارها ، وكل ما أصابها وبدورى قصصت عليها أخبارى ، وبعد ذلك قلت " إن شاء الله أذهب بك إلى البلد " قالت " لا أظن ذلك ، فقد ذبلت ، وأعلم أننى لن أعود ، وطالما رأيتك فهذا يكفينى ، أما أنت فأسأل الله أن يعيدك بالسلامة ، وترى باقى أهلك " .

فقلت " لا تقولى ذلك ، ربنا يسهل " .

لقد خارت قواها ، بسبب المصاعب التى تحملتها وفرحة اللقاء التى فاقت الحد ، لذلك لم تقم مرة أخرى ، لقد شاء الله أن نلتقى مرة أخرى ، وماتت بعد أيام قليلة ، فدفناها ، وبعد سبعة أيام واصلنا السير ، وكنت عبارة عن جسد يتحرك ، أما عقلى

فقد كان مشغولا بالتفكير فيما حدث لى ، ومرت الأيام ، ولم يحدث لنا شيء فى الطريق حتى وصلنا إلى مرزوق ، ولما نزلنا فى مرزوق ، لم نجد قوافل مسافرة فمكثنا أشهر حتى وجدنا القافلة المسافرة.

مواصلة الرحلة :

عندما قمنا من مرزوق واصلنا السير حوالى ثلاثة أشـــهر ، حتى شاء الله أن نصل إلى قرية صغيرة اسمها محتد ، وتفرقنا ، لنسأل عن أخبار الطريق الذى سنسلكه ، سألنا كل إنسان فعلمنـا أن الطريق اختفى ، ولا شىء فى الطريق سوى الحـرب بيـن القبائل ، فلما سمعنا ذلك اجتمع كبار رجال الرحلة ليتشـــاوروا فيما سيفعلون، ولكنهم اختلفوا فى الـــرأى ، فبعضـــهم رأى أن نعود، والبعض الآخر رأى أن نواصل السير ، ومن خلال هـذه المشاورات رأيت كيف يعض الناس المال ؛ فكلـــهم يحسـبون الربح الذى سيجنونه فقط ، ولمـــا تغلـب رأى الذيـن رأوا أن نستمر، وافق الجميع ، فاستعدوا للرحيل فى الليل .

ولما انتهينا من تناول الطعام ، دق جرس الرحيـل ، فقمنـا وغيرنا الطريق خشية المتحاربين ، وانحرفنا داخل الصحـراء ، وكان هذا الانحراف أكبر خسارة لنا ، فمنذ أن رحلنا من محتـد ونحن نسير فى الليل ولم نقابل أحدا ، ولم نسمع أيـة حركـة ، حتى طلع النهار ، واقتربنا من بعض الكثبـان الرمليـة التـى جمعتها الرياح ، ولما وصلنا إلى هذا المكان طلعـت الشـمس فطلب منا قائد القافلة أن نرتاح ، حتى تنقشع الشمس ويلطـف الجو ، ثم نرحل ، فنزلنا وأنزل كل منا متاعه من فوق ظـهر

جمله ، واسترحنا بعد أن نال كل منا ما يشاء من طعام وشراب ، مكثنا فى هذا المكان ، وذهب هواة التجوال يتجولون ، ونام الراغبون فى النوم ، وأخذ البعض يقرأ القرآن ، والبعض الآخر يتحدث فى شئون الحياة الدنيا ، كل منا يفعل ما يريد حتى مالت الشمس تماما.

وبينما كان الجميع مشغول بأمره ، تغير الجو تماما، ثم سمعنا صراخا من جهة رفاقنا الذين ذهبوا يتجولون ، ورأيناهم من بعيد يجرون مثل الخراف المذعورة ، فنظرنا جهة المشرق فرأينا على البعد شيئا أسود داكن كالعاصفة، وأخذ يرتفع من الأرض إلى السماء ، واتجه إلينا، ولم أكن أعرف ما هذا الأمر، ولكن رأيت أفراد القافلة قد أخذوا يجمعون متاعهم ويصيحون، أما أنا فقد وقفت مذهولا أراقبهم ولم أدرك ما يحدث ، وبعد ذلك رفعت رأسى فرايت هذا الشيء أمامنا كالعاصفة ، ولم يكن للأسف عاصفة فقد كان هواء محملا بالغبار ، ولم يكن بداخل هذا الغبار إلا الرمال ، فلما وصل إلينا هاج الناس ولم أستطع أن أرى شيئا أو أعرف مكان رفاقى ، فتضايقت وعجزت عن إدراك ما نحن فيه .

نجوت وحدى من العاصفة :

ولا أطيل عليك ، لم تهدأ الرياح إلا بعد وقت طويل ، وعندما استطاعت عينى رؤية الأفق ، لم أر أحدا سواى أو أثرا لجبل الرمال الذى نزلنا أسفله ، فاستولى على الرعب وحدثتنى نفسى بأننى هالك لا محالة ، ثم تذكرت سيدى والجماعة التى كنت معها ، وأخذ قلبى يحدثنى أن الرمال دفنتهم جميعا ، ومع ذلك أخذت أطوف حول المكان وأنادى عبد الكريم ، ولكن لم أسمع حركة واحدة حتى تعبت ، فجلست وانفجرت فى البكاء ، وأقبل على الليل وأنا على هذا الحال ، فنمت فى فضاء الله ومع ذلك لم تغمض لى عين .

وعندما طلع النهار ، قمت وطفت حول المكان مرة أخرى لعلى أجد شخصا على قيد الحياة ، فلم أر أثرا لبشر ، فأخذت أتجول دون أن أعرف لى مقصدا ، ومضت ثلاثة أيام على هذا الحال ، حتى نفد الماء الذى أدخره فى قربتى ، واشتد على الظمأ ، وارتفعت درجة حرارة الشمس ولا مخبأ لى منها ، وعجزت عن الوقوف أو السير ، ورقدت على الأرض أنتظر الموت.

وبعد عصر اليوم الرابع أثناء رقادى ، سمعت صوتا كصوت الجمل ، فدق قلبى ، ورفعت رأسى ، ونظرت إلى الأفق فرأيت جملا من بعيد محملا بالمتاع يقبل على، فقلت "حقيقة إن الله قادر على كل شىء " وأخذت أراقبه حتى وصل إلى ، ووقف فنظرت إليه فإذا به جملى ، فلما ركع أمامى زحفت بجسمى إليه وأخذت قربة الماء ، وشربت ، ولما هدأت نفسى تناولت قليلا من الطعام وأكلت وحمدت الله ، ونمت بجوار الجمل .

وعندما طلع النهار وشعرت بالقوة ، جمعت المتاع وركبت الجمل وقام الجمل وأنا أفكر فى الطريق الذى سأسلكه رأيت الجمل يتبع طريقا من نفسه فلما رأيت ذلك لم أقم بأية حركة وتركته يسير ، حتى أخذت أرى بعض شجر النخيل من بعيد ، وعندما وصلنا إليها رأيت مدينة كبيرة ، وأخذ الجمل يسير حتى وصل بى إلى حافة بئر ووقف ، فنزلت من فوق ظهره اغترفت بعض الماء وقدمته إليه ، وتوجهت إلى إحدى الأشجار وجلست تحتها بالقرب من إحدى القوافل ، ووجدتهم يتحدثون فأصغيت إليهم فسمعتهم يقولون فى مثل هذا اليوم ، وفى مثل هذا الوقت ، إن شاء الله سنكون فى مدينة كوكا فى بلاد برنو ، ففرحت فى نفسى لأننى وجدت المسافرين إلى بلدنا .

ونحن جالسين أسفل هذه الشجرة نتحدث سمعنا صراخا من المدينة ، ثم رأينا الناس يخرجون مسرعين ، ولم يمض وقت قصير حتى رأينا المدينة تنفجر ، ورأينا النار من بعيد تشتعل

فيها ، ونحن جالسين لا أعرف ما يحدث ، ولكننا شعرنا بالخطر ، فقمنا جميعا وتهيأنا للرحيل وركبنا الإبل انتظرنا فوق ظهورها .

ولم ننتظر طويلا بعد الاستعداد حتى رأينا فرقة من الناس بالبنادق ، فتفرقنا ، واتخذ كل منا الطريق الذى يظن أنه سينجيه، وواصلنا الهرب ، وبادر أكثرنا بالجرى وقصدوا المكان الذى خرجوا منه فى الصحراء ، أما أنا فقد دفعت الجمل للجرى تجاه الفرقة المسلحة ، ومررت بهم مسرعا ، وواصلت الجرى حتى وصلت إلى مدينة كبيرة مملوءة بأشجار الكوكا ، وأمام أحد المنازل أنخت الجمل بعد أن كادت روحى تفارق جسدى.

خرج صاحب المنزل وقال لى " من أين جئت ؟ "

قلت له " من إحدى المدن بعض المحاربين طاردونا"

فقال " لعل هؤلاء الناس من رجال رابح الذين ذهبوا خلف الفرنسيين ، قبضوا عليه وقتلوه ".

كيف وصلت إلى روتا :

ولم أستطع السفر من هذه المدينة ، لأن جملى كان مريضا ، وبعد ستة أيام قضيتها فيها مات ، وبعد موته بيومين توجـــهت إلى بلدى سيرا على الأقدام ، ومرت الأيام حتى أنزلنى الله فـــى روتا مدينتكم هذه ، وهنا علمت أن ماكو قد مات، ولم يبق لـــى أقارب أذهب لرؤيتهم ، فمكثت هنا ألقى العلم ، هذا هو ســـبب حضورى إلى بلدكم .

" الحمد لله ، اللهم أنت المحمود ، أسألك أن تغفر لنـــا كـل ذنوبنا وما سنفعل من ذنوب ، اللهم أذهب عنى الحزن وحســـد الأعداء ، ونجنا من شر الدنيا والآخرة ... آمين ".

المغـــــامـــر

Gandoki

تأليف : الحاج محمدو بللو

مقـــدمــة :

لا شيء جعلنى أكتب هذا الكتاب إلا أن يجـــد النـــاس مـــا يستمتعون بقراءته . ففى كـــل أنحـــاء الدنيـــا ، حيـــث يوجـــد المتعلمون لا تنعـــدم القصـــص المضحكـــة والممتعـــة التـــى يكتبها الأدباء بلغتهم ، وها هى لغة الهوسا مـــن لغـــات الدنيـــا الكبرى وكثير من متكلميـــها بـــدأوا الآن يتعلمـــون القـــراءة ، ولكن ليس لدينا إلا الحكايات الشعبية المرويـــة ، لذلـــك رأينـــا من الأفضل أن نقترح على العلمـــاء محاولـــة كتابـــة قصـــص الهوسا بأنفسهم لفائدة الناس ، وفى الحـــال اســـتجابوا ، ومـــن يقرأ هذه القصة ســـيرى أن الهوســـا لـــم تحـــرم مـــن كتابـــة أصحاب اللفظ الجميل والقصـــص الممتـــع .

وهذا هو الكتـــاب الأول الـــذى وصـــل إلينـــا ، وأعددنـــاه وأمرنا بطبعه ، ونعد الآن غيره وســـيطبع بـــإذن الله.

وقد وضـــع الأســـتاذ بللـــو هـــذه القصـــة عـــن المغـــامر والحروب التى خاضها ، وما كتبه عن حـــرب كونتـــا جـــورا لا شك فيه ، فقد كان ممن نجوا منـــها ورآهـــا بعينـــه ، وقـــد عمد إلى خلط الحقيقة بالخيـــال .

ولد الأستاذ بللو فى كاجر مداكـــن تيجنـــا ، ولكـــن والـــده من سكوتو ، وقد دخل الشـــيخ عثمـــان ســـكوتو مـــع جـــده ،

ولما استولى الإنجليز على " بيدا " فى سنة ١٩٠١ ميلادية، كان بللو فى هذا الوقت مدركا للأمور ؛ فقد كان عمره عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة ، وقد عين والده قاضى كاجرا ، وقد تعلم العربية على يده ، ولما أنشأ الإنجليز مدرسة فى كانو بعث به إليها ، ولما تخرج منها اشتغل بالتدريس .

ونرجو أن يقتفى الآخرون أثره حتى تعم الكتب النافعة والممتعة أنحاء البلاد .

مكتب الترجمة ، زاريا

مايو سنة ١٩٣٤

لقد خص الله جنطوكى القـــائد العسـكرى بطـول العمـر وخوض غمار الحروب واقتحام الأخطار ، لذلــك تجـده فـى كل أماكن اللهو المــــرح ، وهــو لا ينتظـر الدعــوة لنجـدة المستغيث ، فحينما تسمع الهرج والمـــرج تجـده بيـــن النـــاس لا شىء إلا ليتفرج ويقص ما رأى ، ولذلك يقـول النـاس لـه " يا أبا جربا لا تتدخل فيمـــا لا يعنيـك "، ولـم يكـن حـب الكذب من عادته ، فلا يقول إلا مـــا يـراه بعينــه أو يحســن سماعه ؛ لذلك لجأ إلـــى العلمـــاء ليمـدوه بالتمـائم المختلفـة للنجاة من المكـــروه .

وقُضيت حاجته بحصوله علــــى هــذه التمــائم ، لأن كــل من حصل عليها ، ينجو من كل المصائب ، حتـــى لــو دقـت عظامه فى الهاون ينجو بـــإذن الله .

وذات يوم جمع الأطفــــال حولـــه ، وأخـــذ يقــص عليـــهم أخبار الحروب التى خاضها جميعـــاً، أخـبرهم أنــه حـــارب مع الشيخ عثمان بن فوديــو فـــى مدينـــة الكلـــوا Alkalawa والوســـا Alwasa وتسنتســـوا Tsuntsuwa وغيرهـــا مـــن

المدن ، وكان من ضمن من ذهبوا مع أمـــير المؤمنيـن بللــو إلى قبيلة جوارى Gwari فى عهد الشــــيخ عثمــان ، وكـــان مشتركاً فى كل الحروب التى خاضها الفلاتـــا حتـــى اســتولى على إمارات الهوســا ، وكـــان أحـد العيـون فـى الحـرب الأهلية فى مدينة كانو ، والتــــى أشـعلها المعلـم خليـل فــى بوتشــى .

وعندما خــرج عمــر نجوامتسـا Nagwamatse بجيشــه لمحاربة قبــائل بســاوى Basawa وكامكـــاو Kamukawa ودكرضــــــــم كـــــــراوى Dakarkarawa وجـــــــواروى Gwarawa كان جنطوكي ضمـــن جنــوده ، وعندمـــا عــاد إبراهيم أمير كونتاجورا إلى مدينة جوارى فـــى عـــهد الأمــير برو كان ضمن جنوده ، وهـــو الـــذى طــارد أمــير مرطــى Maradi التى استنجد بها الجــوارى، وعندمـــا رأوا ألا مفــر استسلموا ، وتصادف فى هذا الوقت ظهور رابـــح فـــى بـــلاد الكانورى حيث أثار الفتنة ؛ فلمـــا وصلتــه الأخبــار أســرع إلى هنــاك .

قال الأطفال " عجبا أيها القائد العســــكرى ، ولـــم تمــت ؟ ولم تصبــك أيـــة مصيبـــة فـــى كـــل هـــذه المعـــارك التـــى خضتــها؟".

فهب واقفاً فى زهــو وأخــذ يقــول " أننـــى البــذرة التـــى تمكث فى التربة حتى العام التـــالى ! فليعلــم الأطفـــال إننـــى

المغامر ، كيف يصيبنى الهلاك بعد أن نجـــوت منـــه ؟ وهـــا أنا أحمل التميمة التى تنقذنى من كـــل الأخطـــار ، لقـــد كنـــت أستعد لمحاربة الجن فما بالكم ببنـــى آدم ؟ إن كـــل العفـــاريت المردة فى هذه الدنيا قـــد انتصـــرت عليـــهم ، إننـــى الحديـــد الذى يفل الحديد ، إننى أبو جربـــا ! أنـــا المـــارد العمـــلاق ، الذى أفزع الناس وهو وليـــد " .

وهناك ما يفوق هذه المعـــارك جميعـــاً ، وهـــى الحـــروب التى خضناها مع الأوربييـــن منـــذ هبوطـــهم علـــى الســـاحل حتى جاءوا إلى الغابات فى بلاد اليوربا وبيـــدا ، وأنـــا الـــذى استدرجتهم إلى كونتا جورا، بمدافعـــــهم الرشاشـــة والســـريعة الطلقات وبنادقـــهم المختلفـــة، ولمـــا رأيـــت الهزيمـــة حلـــت برجالنا تركتهم وذهبـــت إلـــى بـــلاد الـــهند حيـــث خضـــت المعارك فى صفوف الجـــن " .

وعندما سمع الأطفال ذلـــك ألحـــوا عليـــه ، حتـــى يقـــص عليهم الحروب التـــى خاضـــها ضـــد الإنجلـــيز ، والمعـــارك التى قادها فى صفوف الجن ، فقد كـــانت أمنيـــة أى طفـــل أن يسمع أخبار السنين الماضيـــة .

قال " حقاً ، ولكن هذه الأخبـــار ســـبق أن قرأتموهـــا فـــى كتب التـــاريخ " .

قالوا " ومع ذلك ليست كما ترويـــها لنـــا ، لأنـــك شـــاهدت هذه الحروب بنفسك ، وعرفت كل صغـــيرة وكبـــيرة فيـــها ،

تعرف بدايتها وتعرف نهايتها ، وأنت تعرف مـــا يــأتى فـــى الكتب من أخبار ، وتعرف الأخبار التـــى نحـــب أن نســمعها، وليضحك الكبار أيضاً وتملأ النشوة قلوبــــهم ، ومـــهما قـــص الناس هذه الأخبار فلن يقصوها مثلك ، ولــــن يقصـــوا علينـــا كل شيء كما نريـــــد ، ونحـــن لا نريـــد أخبـــاراً تاريخيـــة ، ولكن نريد ما يضحكنـــا " .

قال " وهو كذلك لقد أعطيتـــم القـــوس للصيـــاد المـــاهر ، وسألتم من يجيد الرد الشافى ، فليصـغ كل منكـــم إلـــىّ ليســـمع ما يشتهى من الأخبـــار " .

الأخبار التى رواها جنطوكى القائد العسكرى:

نبدأ باسم الله ، ونصلى على أفضـــل الخلـق ، ونســأل الله أن يقبض روحنا على الديــن الإسـلامى والإيمـان، آميــن ؛ برحمته التى وسعت كــل إنســان ، وليــس بفضـل عملنــا ، ويجلعنا فى حماية نبيه يوم القيامـــة ، ببركـــة شـــيخنا أحمــد التيجانى " رضى الله عنه ، آمين " ويعفـــو عمـــا فعلنـــا مـــن آثام ، وما ســـنفعل ، بدرجـــة أصحـــاب الدرجـــات ، آميـــن، تسمعون منذ نشأتكم أنه يوجد بعــض النـــاس يخرجـــون مـــن الماء ، يكتبون بلعاب فمهم ، وإذا تكلمـــوا يتصـــاعد الدخـــان من فمـــهم ، لا يـــأكلون إلا البيـــض ، لـــهم أربعـــة عيـــون، سيأتون للسيطرة على هذه الدنيـــا كلـــها ، وقـــد صـــار هـــذا الكلام كقصة شبيهة بمـــا يذكـــره الســـمار بـــالليل . ومـــرت الأيام حتى تجاوزتم الســـابعة وأصبـــح هـــذا الأمـــر حقيقـــة. التجار القادمون مـــن بـــلاد الغابـــات يخبروننـــا أن الإنجلـــيز يحاربون الوثنيين فـــى بـــلاد اليوروبـــا ، ولا يســـتطيع أحـــد الخروج من هذه البلاد أو الدخـــول إليـــها .

فلمـــا ســـمعنا ذلـــك أخذنـــا نتـــهيأ فـــى شـــمال نيجيريـــا لملاقاتهم، فأعددنا الســـموم للحـــراب ، والأســـلحة والـــدروع

وحوامل الذخيرة ، والتمائم التى تعلق فـــى الــذراع ، وســألنا الله أن يأتى بهم إلينا لأننا شعرنا أن لدينـــا البنـــادق والحـــراب والسهام الملوثة بالسم الدفين الـــذى يقضـــى علـــى ذريتـــهم . والفرسان الذين لو أضرمت النيران وطلـــب منـــهم خوضـــها ما تخلفوا للفتك بالعدو ، واتباع أوامر قادتـــهم ، إلـــى جـــانب فرساننا المشهورين مثل مـــالم حســـن وابنـــه، جمفـــى Jimfi في كوناجورا ، ومداكن تيجنـــا فـــى كـــاجرا ، وبونـــا الـــذى ينظر لعدوه نظرة احتقـــار فـــى بـــاقو Bako وقـــور هســـو Kaura Hasau فـــى مرطـــى ، وطنويـــرى فـــى كتســـينا ، وحرمى فى كانو ، وأحمـــدو فـــى دمجـــرم ، وكنشـــلا فـــى برنو، وتجوى دوتسى فى ززو ، وميتـــوررارى فـــى ســـكوتو ، وبرو فى مدينة جوارى ، ومججى ابـــن ياموســـفى كفـــى ، وسما فى أرجنجو ، وطنياى فى ننجى ، اتحـــدوا جميعـــا مـــع مـــاكو Makau رئيـــس قبيلـــة نوفـــى . وهـــم كثـــيرون لا يخشون أحداً، إذا حمى الوطيـــس ، انظـــر مثـــلاً ابـــن أمـــير روما ابن طنويرى الذى ضرب بالسهم فـــى عينـــه ، فوقـــف أبوه وطلـــب أن ينـــتزع منـــه الســـهم ، وإذا دمعـــت عينـــه سيقطع رأسه ، فليس ابنه ، وقد حدث فعلاً ولـــم يغمـــض لـــه جفن ، وكذلك مداكى كنباقو أيضاً فى كـــاجرا ، الـــذى طعـــن بالسهم فى قدمه ، وحـــاولوا انـــتزاع الســـهم فلـــم يســـتطيعوا فلواه وانتزعه ثم وضع رجله فى الركاب ونـــزل مـــن فـــوق

ظهر الحصـــــان وهـــو يـــردد المثـــل الهوســـوى " الرجـــال يتشابهون فى الملامح ويختلفون فـــى الطبـــاع " .

لقد سمعنا أن الإنجليز ظلوا يحاربون الوثنييـــن فـــى بـــلاد اليوروبا سنين طوال ، يعانون من القتال مـــع نســائهم فقـــط ، فلما سمعنا هذه الأخبار قوت عزيمتنـــا ، وتحفزنـــا لملاقاتـــهم إذا دفعهم الله إلينا ، حتى مل أطفالنـــا والمداحـــون انتظـــارهم، فنظموا فيهم شعراً يقولون " لقد تأخر النصـــارى ولـــم يـــأتوا، أين هم النصارى ، وأيـــن جنودهـــم ؟ " وأخـــذوا يرقصـــون رقصة الشباب ويضربون الأرض بالعصـــا لشـــدة ســـرورهم وانتظار وصولهم . وللأسف لـــم يعرفـــوا أن وصولـــهم أمـــر وهزيمتهم أمر آخر ، لأنى شاهدت حروبـــهم مـــع بعضـــهم ، وأعرف كيف يحـــاربون ، ولا أدرى مـــا يخفـــون ، ولـــم أر إلا الهجرة والنزوح بسبب الخوف والجـــوع ، الـــهجرة التـــى لا رجعة بعدها ، والفرار فى ظلام الليل كما قلـــت لـــهم " مـــا شأن جنطوجى لو طحنت عظـــامى فـــى الـــهاون ، ســـأنجو منهم بـــإذن الله .

وبعد قليل ونحن فى كونتا جـــورا ، ســـمعنا أن الأوربييـــن استولوا على بيدا بالحرب ، وكان أميرها أبـــو بكـــر ، الـــذى كان الناس يمدحونه بقولـــهم " أبـــو بكـــر قـــاتل الأوربييـــن " كان مـــن أبنـــاء مســـبا Masaba ،وله شـــهرة واســـعة فـــى

مجال الحرب والكرم ، حتى صار ما يمدح به أمراء الهوسا.

عندما نزل الأوربيون بيدا وجدوا كثيراً من المحاربين ببنادقهم الكثيرة، ولم يجدوا ماكو الذى ذهب مع بعض ، رجاله الشجعان إلى إحدى البلاد المجاورة ، فلما سمعت ذلك قلت لن أدع هذه الفرصة تفوتنى ، فحملت أدوات القتال ثم توجهت إلى هناك ، وتركت نسائى وابنى جربا جاجرى وفرستى الشهباء وباقى متاعى فى المنزل ، واتخذت طريقى ولم أتوقف إلا فى بيدا، وقبل أن نصل إلى ليبين Lepene قابلنا شقيق الأمير الأصغر فى سكبى Sakpe وواصلنا معا ، ومكثنا ثلاثة أيام نقاتلهم ، ولما أدركنا أن جنودنا على وشك الهزيمة ، عدنا وأخبرنا الأمير ، ولكنى قلت فى نفسى " هذا أمر خطير " .

ثم أعد التوفاويون العدة لقتالهم ، وتخلف الأمير أبو بكر فى قصره فترة يدعو لهم بالنصر، فلما انتهى أعد أدوات القتال وحمل التمائم ، وخرج وامتطى ظهر حصانه وكأنه الأسد لما وهبه الله من هيبة وجمال .

وجاء أحد خدم الأمير بحصانه يعدو ، وركع أمام الأمير وحيّاه قائلاً أطال الله حياتك، لقد هزم رجالنا، إذا لم تخرج إليهم حالاً ستدور الدائرة عليهم ، إنى تركتهم وحواجبهم ترتعد، وعروق جباههم منتفخة من شدة

الغضب والحمـــاس ، فقصــد ميــدان القتــال ، ونــزل فــى العراء، وجلس وأخــذ ينتظــر علــى أحــر مــن الجمــر أن يستفزه الأعداء، حتى أخذت الطلقـــات مــن بنــادق العــــدو تنهمر فوق رأسه كالمطر ، فلم يلهه كل ذلـــك عــن تحريــك حبات مسبحته بأنامله ذاكـــرًا الله ، حتـــى إذا تكـــاثر الرمـــاد والأتربة على ثيابه مد يديه ونفضـــــها مــن فــوق قميصـــه ، دون أن يصيبـــه أذى .

وبعد ذلك أمر جنـــوده أن يركعــوا ويطلقــوا النــار مــن بنادقهم ، حتى عظم الغبـــار وارتفـــع إلـــى الســـماء ، وهـــاج الناس ومـــاجو ، واستشـــهد كثـــير مـــن الجنـــود فـــى هـــذه المعركة، وقتل فيها سابو بن مالك وبشارو بـــن علـــى جنـــدى وكثير غيرهمـــا .

ولمـــا حمـــى الوطيـــس قـــال أبـــدا مـــا ســـينجا Ubda Masinja للأمـــير إذا لـــم تنســحب مـــن المعركـــة ســـيفنى رجـــالك .

ولما قام لم يدخل المدينة بل طـــاف حولـــها وتوجـــه إلـــى ليمو Lemu ، استسلمت المدينة ، ونجا كـــل إنســـان بنفســـه، ولما انقشع غبار الحرب ذهبوا إلى أبـــى بكـــر أمـــير نوفـــى يخبرونه بانتهاء القتـــال .

وعاد أبو بكر أمير نوفـــى ووقعـت اتفاقيـة ، وذات يـوم دخل أحـد الأوربييـن علـى الأمـير دون إذنـه ، فـأمرنى الأمير أن أقطع عنقه بالسيف ، فأثار هـذا الحـادث الفتنـة ، فقلت " لا أبالى، ما شـأن جنطوكـى " ، ولمـا أدرك الأمـير سوء عمله ، وأنه بمثابة نقض الاتفاق، خـرج وقصـد لافيـا ومنها إلى كفى Kafi ، وهو فى حـيرة ورعـب .

وسمع أن الأوربيين طـردوا إبراهيـم ، وأنـه الآن يقيـم فى ززو Zazzau ، ومن هناك قصد إلى زاريـا والتقـى بـه فى قاى Kaya ، وأكرمـه كواسـو Kwasau أمـير زاريـا كثيراً قبل أن يغادر المدينـة ، وعندمـا وصـل إلـى مسـكا Masaka نزل فى حـى ياكوروتـاوا Yakurutawa ، ولـم يتوجه إلى ميدان القتـال .

وبعد أن غادر الأمير أبو بكـر بيـدا عيّـن محمـد مـاكو أميرًا لنوفى ووقع الصلح مع الأوربييـن ، فقـد جـاءوا بـه من إحدى البلاد المجاورة حيث كان يقـود الحـرب ، وعـاد الناس إلى ما كانوا فيـه ، وأخـذ كـل منـهم ينعـم بالحيـاة الهادئة ، لن يستطيعوا القبض عليه ، وهكذا انتـهى الأمـر.

بعد ذلك غادر الأوربيـون بيـدا قـاصدين كونتـا جـورا Kwantagora لقد صارت المنقطة ملجـأ للمجرميـن الذيـن جاء بهم طيشهم إلى بلادنا ، ولقـد سـررت بتحركـهم إلـى مدينتنا ، فتنكرت وتبعت جنودهم ومعى خـادمى إنـدا غانـا

الذى التحق بخدمتى فى بيدا ، وواصلنا السير حتى وشيشى Wushishi ، وأكرم محمد قاضى وشيشى وفادة الأوربيين (لأن أمير وشيشى إبراهيم بن موديبو كان فى كونتا جورا) وقد توجه كبار رجال المدينة إلى مججى دودو Magaji Dodo بن تنيطو ونصحوه بألا يقدم للأوربيين شربة ماء ، ولكن القاضى كان يؤثر عدم إثارة المشاكل .

وكان رأى القاضى أن العدو الذى لا نقدر على مواجهته يجب مهادنته ، فقلت له إننى أشعر بشعورك، ولكن لابد أن نقاتلهم .

ولما طلع النهار طلبوا رجالاً يحملون لهم متاعهم ، فأثار هذا حفيظة سكان وشيشى ، وفى المساء تسللت إلى منزل القاضى ، وناديت عليه فخرج ، وهو لا يرتدى إلا الحِرام (لشدة الحرارة فى غرب أفريقيا يخلع الرجل ملابسه أمامنا ويلف جسمه بملاءة كالحِرام) فأمسكه إندا غانا وقطعنا رأسه ، وتوجهت إلى الأمير وأخبرته بكل ما حدث وقدمت إليه رأس القاضى هدية .

قال "إننى أحبك ، أحسنت صنعا ، إن جنونك كثيراً ما يفيد " فقلت "إنه يفيدنى ويفيدك " .

وفى الصبـــاح علـــم الأوربيـــون بمـــا حـــدث للقـــاضى ، فغضبوا أشد الغضب لهذا الأمر الـــذى أســـاءهم .

ولما أقبل الليل أضاءوا مصباحاً ذا لـــون بـــاهر ، تتبعـــث من ضوئـــه ألـــوان مختلفـــة ،ولمـــا رأى الســـكان المصبـــاح أصابهم الرعب وفـــروا إلـــى أوجـــو Ygu وتيجنـــا Tegina وكاجرا باحثين عـــن الأمـــــان حـــول كونتـــا جـــورا ، وقـــد أشعلت هذه الفتنة جرمى بن جـــارا Jarmi Dan Gara حاكم أوجـــو .

وقال جربى إنه لن يتحرك إن لـــم يـــر كونتـــا جـــورا قـــد استولى عليها الأوربيون وعاش السكان فـــى رعـــب ، وبعـــد أن أحرقت المدينة ، عاد سكان أوجو فـــى الصبـــاح وأزالـــوا الأنقاض وأقاموا فى المدينة ، ولكنـــهم لـــم يفكـــوا أمتعتـــهم ، وهكذا استمر الحال فترة طويلة ، وقـــد عـــاش جيرانـــهم فـــى مدينتى تيجنا وكاجرا فى رعب شـــديد .

وأخيراً جمع أمير الســـودان رجالـــه وشـــاورهم فيمـــا إذا كان يحارب الأوربيين أم لا ، وإذا كانوا قـــد جـــاءوا للقبـــض عليه وأخذه أسيراً فها هو ذا حتى تعيش البـــلاد فـــى ســـلام لا يهلك النـــاس.

وهنا وقفت قائلاً " لن يكون هذا " ووافقنـــى طنجـــلا ديمـــا بووايـــــــى GaladimaBuwaye وأبندومـــــــا Dan

Ubandome وباقى الأمراء ؛ فقـــالوا جميعـــاً " لـــن يكـــون هذا ، أطال الله حيـــاة الأمـــير ، لابـــد أن نفعـــل كمـــا قـــال جنطوكى ، لابد أن نواصـــــل القتـــال ، إن الســـودان جميعـــاً يرهبنا ثـــم يـــأتى الأوربيـــون ويقبضـــون عليـــك ، كـــالمرأة ونحن أحفاد الشيخ عثمـــــان بـــن فوديـــو الأقربيـــن ، ويقـــول الناس عنا إننا استسلمنا من أجل الصلـــــح ولـــم نقـــاتل قتـــالاً مريراً ، ولا ندع لأبنائنا ما يفخرون به ، لـــــن نستســـلم ولـــن نترك العار لأبنائنا من بعدنا إلى الأبد .

قال الأمير " وهو كذلك ، لقد قلت هـــــذا القـــول لأبلوكـــم ، وأعرف ما تفكرون فيه وما رأيكم ، نســـأل الله أن يـــأتى بـــهم لنسومهم مر العـــذاب.

وفى اليوم الثالث بعـــــث الأوربيـــون ثلاثـــة رجـــال إلـــى الأمير ، وفى طرفة عين قطعت رأس اثنيـــــن منـــهم بســـيفى واويلو قبل أن أستمع إلى رسالتهم ، وطلبـــت مـــن الثـــالث أن يعـــود ويحمـــل الخـــير إلـــى الأوربييـــن ، وأخبرتـــه أننـــى جنطوكى والد جربا القائد العسكرى لجيـــش المســـلمين الـــذى لا يقـــهر.

وأخذ الرجال يعدون العدة للقتـــال مـــن دروع ، وخـــوذات حديديـــة وبنـــادق وســـيوف وســـهام ... ولشـــدة حماســـــى واستعداد كل من تلقاه من الرجال يخيل لـــــك أنـــهم يســـتعدون ليوم العيد ، أو حفل هام ، ولم يكن إلا شـــــوقاً للشـــهادة .

وفى يوم الخميس بعثـــوا برســـولين آخريـــن ، فقـــال لـــى الأمـــير " لا تقتلـــهما ، لا يقتـــل الرســـول ، ولكـــن دعـــــهم ليعودوا ويخبروهم أننا على اســـتعداد للقائـــهم ، وكـــان كـــل من ينظر إلى وجه الأمير يشعر أنـــه مسـتعد لقتالـــهم حتـــى المـــوت ، بـــدأ جنودنـــا يخرجـــون إلـــى بوابـــة نجوارجـــى Nagwarji منذ يوم الســـبت .

وفى يوم الأحد العاشر من شهر شـــوال ، التقـــى الفريقـــان وأخذ كل منهما يتبادل الكـــر والفر ، وكان كـــل مـــن يرانـــى فى هذه المعركة يدرك أنه لا مثيل لـــى فـــى هـــذا الزمـــان ، وكان ابنى الكبير جربا يقتفى أثـــرى حينمـــا ســـرت ، حتـــى أخذ الناس يمدحونـــه قـــائلين " جربـــا رجـــل الرجـــال ، لـــم يكتسب الشجاعة ولكن ورثـــها ، حينئـــذ طلبـــت مـــن أليـــارا Aliyara قائد المشـــاة أن يصطـــف الجنـــود فلمـــا اصطفـــوا أطلقوا بنادقهم فملأت السماء بالدخـــان ، وصمـــت الأذان مـــن شدة صوت البنادق التى انطلقت من كـــل مكـــان ، وصـــارت كعاصفة غير ممطـــرة ، فتســـللت إلـــى صفـــوف الأعـــداء ، وأخذت أحصد رقابهم وأنا أنشد أنشودتى المحببـــة"مـــن الـــذى لا يعرف المغامر والدّجربا ، أنـــا الأســـود خـــادم الأمـــير ، قل للرجال إننى جنطوكـــــى " .

وأثنـــاء هــذه المعركـــة قتــل جلاديمـــا بجيلـــى Mujaili وميجــرى جبودبـــــــى Mai Gari Gwadabe وكثـــير غيرهما، ولولا أن الله قد كتب لى الحيـــاة لقتلــت فـــى هــذه المعركة ، وكان ميجرى جودبى قد توضـــأ وصلـــى قبــل أن يخرج من منزله وســـأل أهلــه المغفــرة ، وودعـــهم قـــائلاً " أسأل الله أن يجمعنا فى دار السلام "وســـبب ذلــك أن النـــاس أشاعوا عنه منذ البداية أنه جبان ويســتعد للفــرار مــع أولاده خوفاً من لقاء العدو لأنـــهم لــم يســمعوا كلمـــة منـــه حينمـــا استشارهم الأمير فى أمر الحرب ، ولكنـــهم لــم يحســوا بمـــا يضمر فى نفســه.

ولم يـــهزم الجــاموا ســاوا إلا المدافــع الرشاشـــة التـــى أطلقتها عليهم ، وكـــان الفرســان يحـــاولون التقــدم ، ولكـــن الخيول كانت تتراجع خوفاً من أصوات المدافـــع ، التـــى لـــم تسمعها من قبل ، فلما أدركت ذلـــك غضبــت ونزلــت مــن فوق ظـــهر الحصـــان ، وأخــذت درعـــى وهجمــت عليــهم وأخذت الخســـائر تتـــهال فىهــذه المعركـــة ،حتـــى أخــذت الخيول تشب على رجليها الخلفيتين وتوقـــع فرســـانها ، اللـــهم قنا من رؤية هذه المناظر المؤلمـــة ، وســماع هــذه الأخبـــار السيئة، آميــن .

ونزل أمير السودان وجلس القرفصـــاء ، غضبــان آســفاً ، لا يحركه شيء ، وكلما هجم عليه الأعــداء نــهرهم جميعــاً ، المعتدى والمعتدى عليه فيفر الجميـــع .

وعندمــا يئـس الأمــراء مــن النصــر وبعــد أن ازدادت الخسائر فى الجنود قـــالوا للأمــير " أطـــال الله حيــاتك ، إن المعركة التى لا تستطيع كسبها الأفضل الانســـحاب منــها ".

حاولوا كثيراً إقناعـــه بالانســحاب مــن المعركـــة ولكنــه رفض ، فذهبت إليه وقلت له "أطال الله حيـــاة الأمــير " خــير من الفرار نحاول مرة أخـــرى .

قال " لن أخالفك فى هذا الأمـــر " وقبــل أن يقــوم هداهــم الله إلى حيلة ، فـــأمروا أن يغلــق قصــره ، والبــاب الــذى سيدخل منه ، لأنهم يعلمون أنـــه إذا ســبقتهم دخــل المدينــة سيتجه إلى قصره، ولن يخرج منـــه أبــدا ، وســيكون موتــه مؤكداً وحتى لا يحدث ذلك فكروا فى الحيلـــة التاليــة.

عندما ركب وقصد المدينـــة وجــد بــاب المدينـــة مغلقــاً، فقال " لا حول ولا قوة إلا بـــالله " إن الأمــراء الذيــن أمــروا بذلــك خدعونـــى ، وأدار حصانـــه وطـــاف حــول المدينــة، وفى الحال اشتعلت الحرب فى المدينـــة !! لا حــول ولا قــوة إلا بالله ، فعال لما يريد ، لقد سيطر الرعــب علـــى المعركـــة وأخذنا نقتل بعضنا البعض لشـــدة مـــا أصـــاب المكـــان مــن اضطـــراب وأخـــذ الجبـــان ينجـــو بنفســـه ، وأخـــذ الكبـــار

والصغار يفرون إلـــى الغابــات زرافــات كأنــهم الجــراد ، يعانون من الظمأ والجـــوع ومشــقات الســير فـــى الغابــة ، يسيرون حفاة فيمـــا تثــيره الخيــول مـــن غبـــار ، وحـــرارة الشمس المحرقة وما تكبدوه من خسائر أثنـــاء فرارهـــم فـــاق ما تكبدوه أثناء المعركـــة .

سرنا فى الطريق وجعلـــت زوجتـــى فـــى المقدمـــة يليـــها ابنى جربا جاجرى ؛ وفرستى الشهباء، وخـــادمى إنـــدا غانـــا، ولم أر فى هـــذا اليـــوم مـــن لـــم يتملكـــه الغضـــب إلا أحـــد المجانين الذي كان يسمى كواسو أمـــير الحـــرب ، فقـــد كـــان يجرى ويقلد الفارس فـــوق ظـــهر حصانـــه ، كـــان يتمنطـــق بخرق بالية ، ويعلق قرعة الماء وتميمة فـــى ذراعـــه ، ولـــم يأبه بما حولـــه .

وبعد ذلك اجتمع ســـكان وشيشـــى وأوجـــو وكـــاجرا مـــع الأمير فى غابة وشيبا ، لقد كان هـــذا الفـــرار أمـــراً محتمـــاً علينا ، حتى أهل البـــلاد الأصليـــين كـــانوا بيـــن الفـــارين ؛ لذلك كان وثنيو أنجوى يسخرون منـــا ويطبلـــون ويرقصـــون قائلين " يجرون بمتاعهم فراراً من النصـــارى " لقـــد أضنـــى هذا الفرار أشجع الشجعان ، وقد جريت معـــهم حتـــى تعبـــت، وعانيت من الظمأ والجوع ، حتى سقطت فـــاغرا فمـــى ..

وأثناء الليل لدغ الثعبان خادمى إندا غانـــا فوضعتـــه علـــى ظهر الفرس وســـحبها جربـــا جـــاجرى ، وكـــانت زوجتـــى

تركب خلفها طفلها الرضيـــع ، وربـــط الثلاثـــة فـــوق ظــــهر الفرس بشال العمامة خشـــية ســقوطهم أثنـــاء الـــنزول إلـــى النهر، أو أثناء النعاس فى الليــــل .

وكان جربا جاجرى يعلق فى كتفه قرعـــة المـــاء ، بينمـــا يعلق إندا غانا قرعة الحبوب التى نتخـــذ منـــها طعامـــاً فـــى مقدمة السرج ، وكان كلما أخذ بيـــده حفنتيـــن مـــن الحبـــوب ليأكلها قدم لمن خلفـــه حفنـــة واحـــدة ــ لعـــن الله الشـــخص الأنانى ، الذى لم يرحـــم المـــرأة العجـــوز ــ حتـــى لاحـــظ جربا جاجرى ذلك ، فكان إذا أحس بالظمـــأ يضايقـــهم ، قـــدم لهم الماء ليبلوا ظمأهم ، وإذا انتـــهى المـــاء قبـــل أن يجـــدوا ماء آخـــر ، أخـــذ يبحـــث لـــهم جربـــا عـــن ورق الكلجـــو فيمضغونه ، حتى يسيل لعابـــهم .

وفى الطريق رأينا امرأة تربـــط رجليـــها بـــالخيوط التـــى تربط بها شعرها حتـــى صـــارت كـــالحذاء، وأخـــرى تســـقط فاغرة فاها وهى على وشك الموت ظمأ وجوعـــاً فـــى حالـــة إغماء هى وطفلها ؛ بعض الرجال يفـــترقون عـــن عائلاتـــهم ولا يعرف كل منهم مصير الآخر ، نســـأل الله أن يقـــى كـــل مسلم من شر الفتنة والحزن فى الدنيا والآخـــرة ، آميـــن .

وبينما كنا معســـكرين فـــى الليـــل فـــارقت هـــذه المـــرأة الحياة، وأخذ الدود والصديد يخـــرج مـــن رجـــل إنـــدا غانـــا التى لدغها الثعبان بعـــد أن ازدادت ســـوءًا . وفـــى الصبـــاح

وضعت عائلتى علــى ظــهر الفــرس وربطتــهم ، وســلمت الزمام لجربا جاجرى ، وأخذ الخادم يــترنح مــن شــدة الألـم حتى كاد الجميع يسقط من فــوق ظــهر الفــرس ، وأخـذت الرائحة الكريهــة تخــرج مــن ضمــادات الجــرح المهلهلــة والملوثة بالصديد ، وفجأة نفد المـــاء فسـلمت زمــام الفــرس للخادم المريض ، وذهب جربا جاجرى إلـــى الغابــة ليبحـث عن المـاء.

لم أعد إليهم إلا فــى المســاء ، فوجدتــهم جالســين علــى شاطئ النهر يحدقون بأعينهم ، فلمـــا أدركــت اليــأس علــى وجوههم سألتهم ، فقال إندا غانا " لقـــد نزلنـــا إلــى النــهر ، ولما شددت زمام الفــرس لنصعــد إلــى المرتفعــات ســقطنا جميعاً فى الماء ، وقد شاء الله أن تقــع المــرأة العجــوز فــى ناحية وأنا فى ناحية أخرى ، فأنفجر فـــى البكــاء والنحيـب. ولم يسمع لنا صوت إلا الله لخلـــو المكــان مــن العــابرين . وحاول كل منا الصعود ، حينئذ تذكرت أننـــى رجــل، فقمـت وأمسكت الفـــرس وصعــدت بــها وربطتــها فــى شـجرة وجلست ، وجمعت العجوز متاعها وجلســت عليــه، أظلمـت الدنيا فى عيوننا وأخذ كل منا يلـــوم الآخــر ، ولــم يســتطيع أحد منا الحركة حتى جئت إلينـــا " .

ونحن على هذا الحـــال وصـــل جربــا جــاجرى حــاملاً القرعة مملوءة بالماء ؛ فغمرنا السرور وفغر كـــل منــا فمــه

وكأنه سيلتهمه ، إنه رجل يساوى عشرة رجال ، عظيم ابن عظيم ! وبعد أن شربنا الماء هدأت نفوسنا ، فحملتهم على الفرس وأمسكت الزمام وواصلنا المسير.

واصلنا السير حتى وصلنا إلى مدينة جوارى ، ولأننى قائد عسكرى ذهبت إلى قصر الأمير بنفسى وقلت له " أطال الله حياتك ، إننا فارون ، الأوربيون يتتبعوننا مع برو Barau أمير جوارى وأنت تعلم ما بيننا وبينه ، ولم يبق بيننا إلا مرغما وبالقوة ، ومعروف بين الشجعان ، وقديماً قالوا إن الضرورة هى التى تجعل الإنسان يهادن عدوه ، وهى وحدها التى جعلته يبقى بيننا ، ونخشى أن نطلق سراحه فيذهب إلى مدينة جوارى فيجمع منها الرماة، وينتقم لما فعلناه به فنقع فى حيرة من أمرنا ونكون كمن وقع بين الذئب والنمر أو بين شقى الرحى ، فيهلك بعضنا بعض .

قال الأمير " وهو كذلك يا جنطوكى وما الحيلة الآن ؟"

قلت " الأمر بيدك ، أنت تعرف ما ينبغى أن نفعله، وما على الرسول إلا البلاغ المبين، لقد تركت لك الأمر فأنت اللحم وأنت والسكين " .

قال " اذهب وأتينى به "

وفى الحـــال أخـــذت بعـــض الفرســـان ، وذهبنـــا إليـــه ، فوجدناه يصلى العصر ، فـــأمرت أن يحيطـــوا بـــه وينـــهالوا عليه ضرباً وطعناً ، ولكن لم يؤثر فيـــه شـــىء مـــن هـــذا ، فهجمت عليه وأمسكت عنقه ولويته بقـــوة شـــديدة قـــائلاً : "إذا كنت تعرف شيئاً فقد غابت عنـــك أشـــياء ، إننـــى جنطوكـــى الأسود ، خادم الأمـــير ! "

ولما عدنا وأخبرنا الأمير ثار غاضبًا لأنـــه لـــم يأمرنـــا ، وقال " لا أحد يفعل هذا إلا أنت يا جنطوكـــى هكـــذا تفكـــيرك دائمًا ، لا تفعل الأمر كما ينبغـــى" .

وقال بعض الناس ممـــن لا يدركـــون الأمـــور ، إن أهـــل جوارى بعثوا إلى أمير الســـودان بكـــل شـــىء عـــن أحـــول برو، لأنهم يريدون الخلاص منه والنجـــاة بأنفســـهم ،حتـــى لا يدخل المدينة ويثير فيها الفتنة ، ويصير مصـــدر الفتـــن لـــهم ؛ لذلك دبروا هـــذه المكيـــدة لـــه ، ولكنـــهم يخبطـــون خبـــط عشواء ولم يكن الأمر كذلـــك ، نســـأل الله أن يتوفانـــا علـــى الإيمان مسلمين لله على كل حـــال !!

وهكذا قضينا يوما فى الطريـــق وســـط الغابـــة لا نـــذوق طعامًا ، إلا عندما نحط الرحـــال ويذهـــب الفرســـان للسـلب والنهب ، كان بعضـــهم يحـــرق القريـــة وينـــهب مـــا فيـــها ويبيعون ما سلبوا من حاصلاتهم الزراعيـــة ، وكـــان البعـــض يتمكـــن مـــن الفـــرار فيذهـــب المغـــيرون إلـــى منازلـــهم

ويفتشونها، حيث يجدون بعض الدقيق وبقايا الثريد الذى صنع فى اليوم السابق ، فيحملونه إلى أهلهم ليأكلوه .

وهكذا حتى وصلنا إلى فاتيكا ونزلنا فيها ، وكانت مشتعلة بالحرب ، وكانت تحت إمرة الأمير الفولانى محمد تكنير جوارى Muhammadu Tukunyar Gwari وقد نهب جيرانهم تمامًا ، وأثرنا الاضطراب فى مدينة ززو ، مما أثار غضبة أهلها ، لأنهم لم يعرفوا ما ستسفر عنه الأمور ، وأخذ أميرها كواسو Kwasau يدفع بجنوده المزودين بالبنادق إلى فاتيكا ، وتصديك لكل من يريد بك الضر حلال فى نظر الشريعة الإسلامية ، وواجب على كل جائع أن يبحث عما يشبع به معدته هكذا حكم الله .

وأصبح الظاهر أن الحرب مع فاتيكا ، ولكن الواقع أنه كان مع أهل ززو ، ولا شك فى ذلك ، وكان لكل أمير من أمراء كونتا جورا يحلم بقصر فى ززو يعده للإقامة فيه لأى سبب من الأسباب ، فقال أهل ززو " اتركوهم مطرودين ، إنهم لم يصنعوا شيئًا طيبًا يدافعون عنه " ولا تجرى فى عروقهم دماء الشيخ عثمان ، ولم نسمع أنهم حاربوا تحت رايته فكفانا الله شرهم.

وبعد هذا القول أنزل الله البلاء فى معسكرهم ، فأصيبوا بوباء الجدرى ، وصارت القبور فى كل مكان

كأنها خطوط اليام (يدفن الموتى فى نيجيريا كما يدفنون فى المملكة العربية السعودية وتكون القبور على هيئة خطوط كالتى تعد لزراعة القطن أو اليام) ، ولولا أن الله أراد أن يبقى على بعض خلقه ما بقى أحد منهم فى المعسكر ، فقد أصيب الشباب بالجدرى ولكن الله ، نجاهم.

كنا نعيش سبعة فى كوخ واحد نعانى من البرد والجوع ولا يسأل الأخ أخاه فى أمر الله ، وكان كل من نجا من هذا الوباء يدرك أن الله هو الشافى ، وأن له وحده الحمد والشكر ، نسأل الله أن ينجينا من كل الفتن ، ويتوفانا على الإيمان ، آمين .

ولما إشتد الأمر غادرنا المدينة وتوجهنا إلى قاى ، وإذا بالحرب قد اشتعلت فيها هى الأخرى ، لقد وقعنا بين شقى الرحا ، وصرنا كمن يفر من الأرض السهلة إلى الأرض الوعرة ، فقد هاجمهم الأوربيون كذلك ، وقد خسر توكرى أمير بكن قايا خسارة كبيرة فى هذه الحرب.

وكان الناس يقولون إذ توسطت الشمس السماء ، تسمع الجن يزغردون فى المدينة ابتهاجًا بالحرب ، ولما أدرك مسك خليل ذلك عمل بالمثل القائل " انج سعد فقد هلك سعيد " أو المثل الهوسوى " إذا رأيت النار قد اشتعلت فى لحية أخيك ، فصب الماء على لحيتك " كما كان الجو

متساوا Gwamutsawa فى حيرة مـــن أمرهــم ولــم يكــن لديهم قائد يقودهم إلى الطريق القويـــم .

ونحن على هـــذا الحـــال مـــن الارتبـــاك ، إذ بـــالأوربيين يصلون ، فكانوا كالسيل الغزير الذى يحطـــم البنيـــان ، ولمـــا إشتد الأمر ، ولم يعد هناك مفر جاءوا وقبضـــوا علـــى أمـــير السودان وتركوا الناس بلا قائد يقودهـــم كـــالأفراخ الصغـــار التى فقدت أمها ، فذهبوا إلى مدينة كـــانو وكتسـينا ، وعـــاد بعضهم إلى كونتا جورا إلـــى الأبـــد ، وأثنـــاء هـــذا الشـــتات ازداد الأمر سوءًا وصـــار مثـيرو الفتنـــة كالسـمك الكبـــير الذى يلتهم الصغير يعيثون فـــى الأرض فســـاداً دون عقـــاب ، ووقع الضعيف فى حـــيرة وارتبـــاك ، فقلـــت " مـــا شـــأن جنطوكى فى ذلك ، إن كل ما يفخر به الإنســـان مـــن أصـــل ومهارة فى الحرب لا ينقصنـــــى" ، ووصـــل الأمـــر إلـــى أن يخرج الرجل بجاريته التى لا ابن لـــها، ويبيعـــها فـــى ســـوق الرقيق ويشترى بثمنها ما يقتات بــــه بـــاقى الجـــوارى ، وإذا انتهى ثمنها جاء الدور على جارية أخـــــرى ، وقانـــا الله مـــن شر هذا البـــلاء .

وحاول الأوربيون أن يجمعـــوا الفـــارين ويعيدوهـــم إلـــى موطنهم قائلين " لن تنشب الحرب بعد ذلك ، لقـــد كنـــا نريـــد القبض على الأمير فقط " ، أما مـــــن تولـــوا المنـــاصب فـــى كونتا جورا فقـــد عـــادوا إلـــى مناصبـــهم واســـتقروا فيـــها ،

وعاش البعض فى مسكا Masaka أو بكورى Bakori أو روجو Rogo أو جونجون Gwangwan أو ملمفاشى Malumfashi أو كتما Kutama أو جورزو Gwarzo وكثير منهم فى مدينة كانو وكتسينا فيما عدا مدينة ززو ، لأن الحرب كانت دائرة فيها .

وقد طلب بللو الشقيق الأصغر للأمير بعض الجنود ليتجه بهم إلى كتسينا ثم إلى كوتر كوتشى وأبرما Abrama حيث بايعوه هناك ، وعينوه أميراً ، لذلك كان يقال " بللو أمير أبرما"، ومن هناك ذهب برجاله إلى موطنه.

وفى وشيشى عين عمر بن إبراهيم أمير وشيشى أميراً، لأن والده اتبع أمير السودان عند القبض عليه فى قاى ، وكان عمر فى هذا الوقت طفلاً صغيراً ، فجاءوا به ونصبوه أميراً ، وعندما هم أمير السودان بالقيام برحلته قال أمير وشيشى إنه لن يترك الشقيق الأصغر لوالده يذهب وحده ، ولابد أن يذهبا معاً ، وليكن قدرهما واحدًا ، وحاول الأمير منعه من مرافقته ولكنه أبى ؛ فلما وصلوا إلى ززو ، جاء أميرها كواسو Kwasau واستقبل أمير السودان ، ثم عاتبه عما فعله فى إمارته ، فهب أمير السودان كالأسد ، فتدخل ميجمنا Maijimna قائلاً " ما

هكذا يفعل الكبار " فأخذوا يهدئون مـــن روع أمـــير الســـودان حتى هـدأ .

وواصل الأوربيــون الســير إلــى يولــى وأخــذوا أمــير السودان معهم ، وأثناء هذه الرحلة عانوا كثــيراً مــن غضبــه والأمور العجيبة والخارقة للعـــادة التـــى كـــان يـــأتى بـــها ؛ فكانوا إذا سجنوه فى كوخ من الصاج وأغلقــوا عليـــه البـــاب، يرونه فجأة خارج الكوخ يصلى ، والبـــاب مغلــق كمـــا كـــان يحرسه الجنود والشرطة ، وإذا ذهبـــوا إلـــى النـــهر وهمـــوا بعبوره، يرفـــض ركـــوب المركـــب ، فـــيركبون ويتركونـــه على الشاطئ فإذا وصلوا إلى الشاطىء المقـــابل وجـــدوه فـــى انتظارهم ، وإذا غضب أخـــرج لســـانه ولفـــه حـــول رأســـه كالعمامة ، أو يمد رجله فتصـــل إلـــى حـــائط الحجـــرة التـــى يجلس فيها، وإذا خفـــت ثورتـــه أعـــاد رجلـــه إلـــى حالتـــها فتصير كرجله الأخرى ، أو يســـتدعى الطيـــور مـــن الغابـــة فيمسكها ويلعب معها ، وإذا تعب من اللعـــب أطلـــق ســـراحها فتطير لشأنها ، فلما أعيتهم حيلـــه وأعمالـــه الخارقـــة كتمـــوا السر فى قلوبـــــهم وأعـــادوه إلـــى موطنـــه وولـــوه الســـلطة مرغميـن .

هكذا خص الله أمـــير الســـودان بـــالثروة والنصـــر منـــذ نشأته ؛ فهو لا يخشى ما يخشـــــاه النـــاس جميعًـــا ، ويركـــب الصعب الذى يفر منه جميع الناس ، وفـــــى الخـــير والصـــبر

لا حدود له كالأرض الطيبة ، وفى الشـجاعة كأنـه عنـترة ، منذ أن خلقنى الله لم أر أبداً أميراً متواضعـاً مثلـه ، ينتصـر دائماً على أعدائه ، إذا رأيته يركـب الحصـان قـام بألعـاب بهلوانية لا يصدقها إلا من يراها بعينه ، ويسـتوى فـى ذلـك أى حصان يركبه ، وأعجب ما فى الأمر مـا يـراه الإنسـان إذا غضب أو ضاق صـدره بعـدوه فيـأخذ درعـه ورمحـه وثيابه الحربية وخوذتـه الحديديـة ، ويـهجم عليـهم ، فـإذا رأيته يحصد الـرؤوس ظننـت أنـه ليـس إنسـاناً ،وإنمـا عفريت من الجن ، ولم يصل إلـى هـذه الدرجـة إلا ببركـة والديه وأجداده ؛ لأنه ليس بينـه وبيـن الشـيخ عثمـان بـن فوديو إلا جدين اثنين فقـط .

قلت " لقد رأيت كيف انتهت الحرب مـع هـؤلاء ، وعلـىّ أن أبحث عن حـروب الجـن حتـى يعلـم الخلـق جميعـاً أمـرى".

وبينما كنت أتجول فى مدينة كتسـينا قلـت لخـادمى إنـدا غانا " الأفضـل لـى أن أذهـب الآن إلـى سـكوتو لزيـارة أقاربى المقيمين هناك وقبر الشيخ عثمان بـن فوديـو "؛فقـال "لا ، لن أذهـب "

وبينما كنت أستعد للرحيـل سـمعت أن الحـرب اشـتعلت فى سكوتو ، فقد أصابها مـا أصـاب البـلاد الأخـرى، وأن أمير المؤمنين عزم على الذهاب إلى حـج بيـت الله الحـرام،

ولا فائدة من البقاء فى هـــذه البــلاد ، وقلــت لإنــدا غانـــا : الأفضل أن نتبع القوافل المتجهة إلى حج البيــــت،لأنـــه ليــس لنا حرفة إلا القتال ، وقد كسدت حرفتنــــا فـــى هـــذه البـــلاد ، ولكن الخادم أصر على الذهــــاب إلـــى زاريـــا حتـــى يلتحــق بجيش الأوربيين فى غانــــا .

لم يدهشنى هذا منه لأنه فارق والديـــه مـــن زمـــن طويــل وهو غلام صغير ، واعتــــاد الفواحــش والأخـــلاق الســيئة ، ولن يصلحــــه إلا الله ، وجـــذب حصيرتـــه والحوايـــة التـــى يستعملها الحمال ، وصبـــغ نفســـه بصبغـــة ســوداء فصــــار شديد السواد ، وعلق حقيبـــة لاعبـــى القمـــار فـــى وســطه ، وهو يقول " أنا حر ، أستطيع أن أذهـــب حيــث أريـــد ومتـــى أريد كما يفعل قطيع الحاكم " ، ثم التفـــت إلـــى قـــائلا " أمـــا أنت فلن تترك تهورك وجهلك ، عجوز أبلـــــه ، علـــى الرغــم من شيخوختك ما زلت تلقى بنفسك إلـــى الـــهلاك ، لا حديــث لك إلا عـــن الحـــرب كـــأنك عنـــترة ، أســـأل الله أن يـــهدى المتـــهور " .

فوضعت يدى على خدى وجلست أحـــــدق فيـــه بنظـــرى ، وأتذكر المتاعب التى اجتزناها معـــاً فـــى الطريـــق ، وكيــف ربيته ، وأدركت أن الإنسان ليـــس لـــه ولايـــة علـــى غــير أبنائه ، وكاد جربا جاجرى أن يرد عليـــه ، وتنشــب معركــة بينهما ولكننى منعته ، وهكذا فارقنا إندا غانـــــا بســـلام .

بعد ذلك أخذت أتحايل طلباً للرزق ، فاشتريت لجربا جاجرى حذاء من جلد البقر الوحشى ، وقرعة من الماء وكثيراً من الدقيق المحمر ملء الإناء وقدمته إليه ، وطلبت من أمه ، أى زوجتى أن تستعد للرحيل ، فقالت " أهكذا أظل أتنتقل من مكان لآخر ، لن أذهب معك وسأظل هنا وحدى ، سأصنع الثريد وأبيعه وأعتمد على نفسى " .

تضايقت مما قالته زوجتى ، وتحيرت فى أمرى فقال جربا جاجرى " هيا يا والدى نرحل وسنلتقى بها إذا كتب الله لنا اللقاء "، ثم التفت إلى والدته قائلاً " وإذا لم نلتق أسال الله أن تغفرى لنا " .

وشعرت بعزيمتى تقوى ، فقلت " حسناً فعلت يا جربا، إنك رجل عظيم ، وسيسمع العالم اسمينا بفضل الله".

قال يا أبتى ، لا يضر الإنسان فى هذه الحياة إلا أن يموت ولا يسمع الناس عنه شيئاً ".

قلت " حقا ما تقول ، لابد أن يسمع كل إنسان أخبارنا بإذن الله " .

أخذت السلاح وكتيب الأوراد ، وحملت سيفى بربرا ، وأخذ جربا سلاحه ومتاعنا وسيفه الطويل ، والتحقنا بإحدى الفرق العسكرية .

ومرت الأيام حتى وصلنا إلى جبل بيما Bima في إمارة جومبى Gwambe ، حيث التقينا بالأوربيين الذين هجموا علينا وفرقوا جماعتنا ، لقد رأينا الجحيم في هذا الهجوم ؛ فقد كان الرصاص يتطاير فوق رؤوسنا كالطير، ورأيت جربا الذى لا يبالى بالشدائد يصرخ من هول المعركة ؛ فأخذت سلتى وركعت على ركبتى وبدأت أمارس هوايتى قائلاً " ألم تعرفوا من أنا ؟ ألا تخافوننى ، إننى جنطوكى " ؟

فلما قلت ذلك رأيتهم يولون الأدبار قائلين " لقد سد علينا الطريق هذا الرجل المغوار ، إننا نعلم أنه لا يستطيع هذا العمل سواه " .

أحس جربا بعد ذلك أننى تعبت ، فتشجع واخترق صفوفهم بسيفه بربرا ، وأخذ يحصد رؤوسهم كما يحصد الدخن ؛ فوقفت أنظر إليه ، أنشده أنشودة النصر .

فلما أقبل الليل وليس في المعركة إلا نحن الاثنين ، صعدنا إلى جبلٍ عالٍ ، ودخلنا أحد الكهوف وجلسنا فيه على مرأى من المارين ، وأخذت أنظر إلى الخارج وأصلى على الرسول ، ولولا سلاحنا ما نجونا من شىء، ولم نعرف ما وقع لجماعتنا منذ فارقناهم .

ولما طلع النهار خرجنا نتجول على ظهر الجبل ، وتركت جربا جاجرى عند الكهف ، وذهبت أبحث عن الطعام ، ولما ذهبت جاء جماعة من الرجال كالنمل ، سود الوجه ، مدججين بالحراب ، أحاطوا به، انهالوا عليه بالحراب من كل مكان فأخذ يرد طعناتهم وهو يقول " أنا لا أعيش من أجلكم " إننى الأسود بن جنطوكى أيها الوثنيون ألا تعرفون جربا الشجاع ؟ " وبعد أن فتك بهم جميعاً عاد وجلس حيث كان ، وهو مضطرب الأنفاس من شدة الجوع والتعب .

عندما عدت إلى الكهف وجدت الجثث فوق بعضها فاشتد غضبى وقلت " سبحان الله ، هذه إرادة الله يا جربا" عدت فوجدت الولد يتنفس بصعوبة ، فقمت وغسلت وجهه ، وقدمت إليه الماء فشرب ، حتى أحسست به يتنهد، ولما فتح عينيه ورآنى حمد الله ، ففحصت جسده كله فلم أجد فيه جرحاً واحداً ، ونظرت إلى ساعده الأيمن فوجدت التميمة الواقية من الأخطار ، فقلت " أحسنت صنعا يا جربا إن من حملتك على ظهرها لم تحمل إلا بطلاً (من عادة النساء فى غرب أفريقيا أن يحملن أطفالهن على ظهورهن ، وتلف رجلية حول وسطها حتى يصل قدم الطفل إلى بطن الأم فتلف ملاءة حول وسطها فتحتويها هى وطفلها) ، ولد واحد شجاع ، يلتهم عشرة رجال فى كل صباح كما يلتهم الطعام ، خير من عشرات

الجبناء" وقدمت إليه الطعام الذى جئت به مـــن الغابـــة فأكلـــه، وأحضرت الثقاب وأشعلت النـــــار وشـــويت الدخـــن وجلســـنا نأكل ونشرب الماء ، ثم تيممنـــا وصلينـــا ، وتنـــاولت كتيـــب الأوراد ، وقرأت وردى وســـألت الله حـــاجتى ، قـــال جربـــا جاجرى : آمين ، ثم مسحنا وجـــهنا بأيدينـــا .

بعد ذلك اضجعنا لنرتاج ؛ فغلبنا النـــــوم ، فلمـــا اســـتيقظنا أحسسنا بمن يضغط علينا ، فلـــم يســـتطع أحدنـــا التنفـــس أو الكلام ، ثم طار بنا بيـــن الســـماء والأرض ، ولـــم نـــنزل إلا على جزيرة سيلان فى بلاد الـــــهند ، وإذا بنـــا أمـــام ملـــك لا مثيل له فى الجمال والملـــك ، ورأينـــا مخلوقـــات ليـــس لـــها وجوه البشر ، ثم سمعتهم يقولون ســـلاما ، جيتامـــا .

فقال " وعليكـــم " .

لقد كان هؤلاء الجنود الذيـــن حاربـــهم جربـــا جـــاجرى ، عندما ذهبوا للصيد فى الغابـــة ، بعثـــهم هـــذا الأمـــير الـــذى نقف أمامه عندما سمع عن الخسائر التى ألحقـــها بـــهم جربـــا جاجرى ، بعث جيتاما ليـــأتى بنـــا ، وإذا كـــان هـــذا الجـــن يشبههم إلا أنه هو الـــذى يـــأتى فـــى صـــورة الإنـــس ليـــلاً ويضغط على صـــدر الإنســـان حتـــى لا يســـتطيع التنفـــس ، وهكذا يفعل بالصيادين فى الماء والأطفـــال الذيـــن يســـتحمون فى البحر ، وهذا ما يفعله جيتامـــــا .

عندما أفقنا سألنا هذا الملك عن أخبارنـــا ، فأخبرنـــاه بكـل شيء منذ البداية حتى النهاية ، فلما شعر بما لنـــا عفـــا عنـــا ، وقال " هؤلاء يمكن إدخـــارهم لوقـــت الشـــدائد " فعشـــنا فـــى قصره معززيـــن مكرميـــن ، وذات يـــوم رأيـــت ابنـــة هـــذا الملك، فقلت لا أشتهى فى هـــــذه الحيـــاة إلا الـــزواج منـــها ، وكان هذا شعورنا فقالت لا تريد أحداً ســـواى ، فقـــال أبوهـــا " لا تملكين هذا كيف أزوج ابنتى مـــن إنســـى " .

وجمع رجاله واستشارهم فى هـــذا الأمـــر ، فقـــالوا "هـــذا رجل مثير للفتنة وعنده ابـــن كالشـــيطان يســـتطيع وحـــده أن يثير الفتنة فى هذه المدينـــــة ، وإذا قلـــت إنـــك لـــن تزوجـــه سيقضى علينا ، ويتزوجها بالقوة ، ويقتلـــــك ويســـتولى علـــى مملكتك ، ويعين ابنه حاكماً ويصير باقى رجـــالك عبيـــداً لـــه، وقد يأتى اليوم الذى يجمع فيه ثـــروات هـــذه المدينـــة ويعـــود بها إلى وطنـــه " .

قال " هذا الكلام لا ريب فيـــــه أيـــها الوزيـــر ، هـــذا مـــا يمكن أن يحدث ، فما العمـــــل ؟ "

" قل إنك ستزوجه ، وإنك لا تريد مـــــهرها مـــالا ، ولكـــن يأتى لك برأس درنجن همبامـــا فيذهـــب إليـــه حيـــث يقضـــى عليه ونرتاح من شره ، ولا تدع إبنـــه يذهـــب معـــه حتـــى لا يجتمعان ، ونحن على يقين أنه لـــن يقـــدر عليـــه إنســـى ولا جنى ولا يســـــتطيع مخلـــوق أن ينازلـــه العـــداء " (درجـــن

همباما لا يملأ فمه رجـــل واحـــد مـــن البشـــر ، لا يســـتطيع الحصان أن يحملــــه ، لا يحملـــه إلا ذكـــر الفيـــل، ويصنـــع رمحه من جذع النخيل ، ولـــــهذا يمدحونـــه بقولـــهم " ربكـــو زوج أمينة ، قتاله أمر مخيـــــف " .

عندما ذهب جرجـــــا جـــاجرى للصيـــد مـــع الأولاد كمـــا تعود، وكما وجدوه على ظهر جبـــل بيمـــا ، نـــاداني الأمـــير وقال لى كل ما اتفقـــوا عليـــه ؛ فقلـــت لـــه " وهـــو كذلـــك ، وسآتى برأسه بإذن الله ، ليس الجبن من شـــــيم الرجـــال ".

حينما يذهب الإنســـــان لا يعـــدم الحبيـــب والعـــدو ، وودع كل أحبابى عائلاتهم وركبـــوا خيولـــهم واتبعونـــــى ، قـــائلين " كل ما يصيب جنطوكى يصيبينـــــا معـــه " ، وواصلنـــا الســـير حتى سفح جبلٍ عالٍ ، فنزلت مع رفاقى مـــن الجـــن لنســـتريح ثم تركتهم وصعدت الجبل ، فلما وصلت قمتــــه رأيـــت كـــهفا، لم أنتظر لحظة ودخلته ، فرأيت شخصاً عجـــوزاً قضـــى فـــى الكهف مائة وخمسين عاما ، رفع هذا العجـــوز رأســـه وقـــال لى " أنت إنس أم جـــن ؟ "

قلت " إنس مسلم تماماً ، تيجـــــانى الطريقـــة ، مـــن أهـــل السودان "، وأخبرته بكل ما جاء بى إلى هـــــذا المكـــان ، ولـــم أخفِ عنه شيئاً منذ البداية حتـــى النهايـــة .

قال العجوز " ويحك أيها الرجل ، لقــد وقعــت فــى شــر أعمالك ، وأوقعت نفسك فى الـــهلاك ، هــذا الأمــر لا يقــدر عليه أحد حتى ولو كان جنطوكى القـــائد العســكرى".

عندما ســمعت ذلــك ، طأطــأت رأســى ، وقلــت " هــل شهرتى وصلت إلى كــل مكــان " ، ثــم تــرك هــذا الأمــر ليستمع إلى قصتى كلـــها ، ثــم غــيرت موضــوع الحديــث وقلت " أيها العجوز ماذا تعبــــد ؟ "

قال " الشــمس " .

قلت " ويحــك " .

فقال " ايها الصبى ألا تحــترم شــيخوختى ؟ "

" أى احترام لرجل كافر مثلــك؟ اعبــد الله الملــك ، الــذى خلق الشمس والقمر ، والنجــوم والســماوات والأرض ، هــو الملك الذى خلق كل شـــىء مــا تــرى ومــا لا تــرى ، وإذا رفضت ، سأقطع رأسك الآن ، وأعجــل بــك إلــى النــار "، فأسلم الشيخ فى الحـــال.

بدأت أحس بلذة الحيـــاة ، ولا ســيما بعــد أن أدركــت أن هذا الكـــهل يخشـــى مـــن المــوت ، وأن بعــض الرجــال لا يساوون النساء ، قال العجوز " دعنى أســـاعدك بمـــا ورثتـــه عن أجدادى الذين عاصروا النبــى إبراهيــم ".

وجاءنى بعصا غليظة ، وقدمها إليّ وقــال " لــو ضربــت بهذا الصخر لانفلق مهما كان حجمــه ، وهــاك سـيف شــافو تستطيع أن تقطع به ما أردت ، ومـــهما كــان، الجــن قويــاً يتبعك ، هاك العصا إذا هززتها ، تصــدر صوتــاً كــالرعد ، وينبعث منها ألسنة اللهب التى تقتل كــل إنســان".

أخذتها وشكرته ، وودعنا بعضنـــا وخرجــت أقــول فــى نفسى " الله قادر على كل شىء ، فعال لمــا يريــد " .

عندما نزلت ، قـــال لـــى رفــاقى " لمــاذا غبــت هكــذا ، فذكرت لهم كل شـــىء . ثــم قمنــا وتوجــهنا إلــى درنجــن همباما ، وأثناء الرحلة التقينا بفارس يلبــس لبــاس الحــرب ، لا تستطيع أن ترى من خلالها عينــــه ، تتدلـــى منــها تمــائم كبيرة الحجم ؛ فظنناه درنجن همباما فقلت لـــه " مــن أنــت ؟ إنس أم جــن ؟ "

ونشب بيننا قتال مرير ، وأخـــذ يحصـــد رفــاقى حصــدا حتى تفرقوا جميعاً مـــن حولـــى ، ولــم يبــق فــى الميــدان سواى، فنازلته منذ الصباح حتـــى الظـــهر ، حتـــى غضبــت وأمسكته من كتفه بشـــدة فصـــرخ صرخـــة شـــديدة وكشــف عينيه ففوجئت بأنه ابنى جربا جــاجرى ، عندمــا ســمع مــا أصابنا ركب حصانه وخرج ليساعدنى ، ولمـــا التقينـــا أخفـــى وجهه وتنكــر .

قلت " جربتى ، لماذا فعلت ذلـــك ؟ "

فقال " لتعرف أنك أنجبــت بطــلاً صغــيراً ، ولتــذق مــا يذوقه الرجال معنا فى ميادين القتال، ولتعــرف أننـــا نســتطيع أن نقضى علـــى أى مخلــوق ولــو كـــان درنجــن همبامـــا، نقضى عليه فى يوم واحـــد ".

" إننى أعرف أن ذلـــك الشــبل مـــن ذاك الأســد " ، منــذ البداية أدركت أن هذه الشجاعة لا تظـــهر إلا فـــى ســلالتى ، لا يستطيع أحد أن يصاب برمـــح مـــن رمـــاحى ويتحملـــه ، لذلك طلبت أن تكشف وجهك حتى لا أضـــر نفســـى " .

تبادلنا التحية ، وقصصت عليـــه كــل أخبـــارى ، وقلـــت " لماذا اتبعتنى ؟ وكيف علمت مكـــانى ؟ "

قال " جئت لنموت معًـــا "

بعد ذلك رأى همباما غبار خيولنـــا ، فـــأمر أولاده قـــائلا " اذهبوا واخطفوا لى هذا الكتكوت ، لعلى أجد ما أفطـــر بـــه".
وعند وصولهم إلـــىّ حدقــت بعينـــى فـــى كبـــيرهم ، ثــم ضربته بعصاى الغليظة التى قدمـــها إلـــىّ الشــيخ العجــوز ، فوقع مغشيا عليه ؛ فقلت لجربا جـــاجرى " انـــزل ، واربطـــه " فقيده بالسلاسل ، ثم قصدنـــا غـــيره وهكـــذا قيدنـــا أربعـــة منهم ، وهرب واحـــد ، ووصـــل إلـــى أبيـــه يلـــهث ، كـــأن

روحه ستفارق جسده ، وقص عليه كل ما حدث ، فلما سمع ذلك غضب ، واقتلع شجرة نخيل ، وتوجه للقائنا ، ولما وصل هجم على جربا جاجرى وأمسكه بيده اليسرى ألقاه على الأرض ، فدفعت الحصان والتويت به فأصاب جزع الشجرة أردافه ، فانكسر جزؤه السفلى وسقطنا فى ناحية واحدة ، فنطقت بكلمة الشهادة ، وهجمت عليه هجوم الفدائى ، وضربته بالعصا الغليظة فى ساقه ؛ فانبعث منها صوت الرعد ، واشتعلت النار فى جسده ، ووضعته مع أولاده فى سلسلة واحدة وربطتهم جميعاً ، ودعوت وبصقت على رجله فخمدت النار .

عندما أفاق جربا جاجرى ، ورأى ما فعلت قال "قائد عسكرى بارع ، الويل لمن ينازلك " .

سقناهم أمامنا حتى مدينتهم ، فعم المدينة كلها الصراخ والصياح ، لأن هذا الأمر لم يتوقعه أحد ، لذلك كان الناس يقولون "معظم النار من مستصغر الشرر "، وها أنا أصل إلى قصر همباما وأعتلى كرسيه آمر وأنهى ، وأمرت أن يأتونى بأولاده وبأمراء المدينة ، وقلت لهم " إذا أسلمتم تركتكم ، وإذا رفضتم الإسلام قتلتكم الآن فوراً، وألقيت جثثكم للكلاب " .

ردوا قائلين " سمعاً وطاعة ، أطال الله حياة الأمير، أسلمنا واتبعنا الله ورسوله ، واتبعناك يا أمير المؤمنين ".

أمرت بفك وثاقـــهم ، ودخلنـــا قصـــر همبامـــا ، فرأيـت الخزائن الكبيرة المتنوعة والثروة التى لا نهايـــة لـــها ، ولـم أر شـيئاً إلا ويوجـد فـى هـذا القصـر ، ودخلـت إحـدى الحجرات فوجدت عشـــرة رجـال سـمان مقيديـن، وعلمـت أنهم طعام همباما ، يذبح له كل يـــوم اثنـــان منـــهما ، يـأتى غيرهم قبل أن ينتـــهوا ، فمـددت يـدى وأطلقـت سـراحهم جميعاً ، ففرحوا كأن الله قد غفر لهم ذنوبـــهم ، وفـى الحـال أعلنوا إسلامهم . ونظرت فى حجرة أخـــرى ، فرأيـت فتـاة، يضيء وجهها ظلمات الحجرة، لشـدة جمالـــها ، كأنـه نـور الصبح ، يتدلى شعرها على كتفيها، عنقـــها كعنـق الغـزال ، عيناها البيضاوان كأنـــه اللبـن ، عنـد رؤيتـــها غضبـت ، وفارقنى الشعور بالرحمة ، وقلـــت "يـا همبامـا ابنـة مـن هذه؟"

قال " ابنة الشيخ طلحـــة، الـذى طـرده الأوربيـون مـن سكوتو، إنها أوربية : فتاة جاءونى بها مـن بـلاد السـودان ، بينهم وبين سكوتو مسافة لا تزيد على مســيرة شـــهر " .

" هل قربت منـــها " ؟

قام وركع قائلاً " أقسـم بـالله والديـن الـذى تعتنقـه ، لا أحبها ولا يحبها أحد من الإنـس أو الجـن ، وقـامت الفتـاة وحيتنى بنفسها وهى تبكـــى .

فقلت لها " دعى البكاء ستعودين إلـــى وطنـك بـإذن الله ، إنى أنوى العودة إلى ســكوتو ، ومــن هنــاك ســأذهب إلــى كونتا جــورا " .

عندما سمعت ذلك قالت " هم أيضاً إخواننــا علــى حســب ما سمعت ، لأن أصلنا واحـــد " .

قلت " هو كذلــك " .

بعد ذلك أمرت أن تقام الأفراح فى المدينـــة وتعــد موائــد الطعام ، فقد استقر الدين في هــذه المدينــة .

وقلت سأحمل هذه الفتاة إلى مدينتـــهم اليــوم ، بــإذن الله ، وطلبت مائة حصان يتبعونى ، فقال همباما " لنذهـــب معــا".

" قلت لا ، احرس أنت المدينـــة ، لأننــا لا نعــرف مــاذا ستخلف لنا الأيام ، وإذا رآك والد هذه الفتـــاة، ســيقتلك " .

ضحــك همبامــا وقــال " أطــال الله حيــاة الأمــير ، إذا أعطيتهم قدمى ماذا سيفعلون بــــها " .

قلت " أحرس أنت المدينـــة " .

قــال " ســمعا وطاعـــة ، أســأل الله أن يعيــدك ســالماً ، آميــن".

ثم قلت لجربا جــاجرى ، أن يذهــب بــهم إلــى آبائــهم، فقاموا جميعاً وعادوا إلى المدينة ، ونعمـــت المدينــة بالحيــاة السـعيدة .

ثم قمت وذهبت بالفتاة ومعى حصــــان ، وأثنــاء الطريــق رأيت الغبار يرتفع بكثافة حتي ملأ الفضــاء العلــوى؛ فقلــت لأحد الفرسان " اذهب وانظر مــاذا هنــاك " ؛ فــأخذ يســير على مهل حتي وصــل ، وعــاد يقــول " بعــض المحــاربين عددهــم ضعفنــا أو ثلاثــة أضعافنــا ، ذاهبــون لمحاربــة همبامـل".

قلت " أنزلوا واستعدوا ، فقد حــدث المطلــوب ".

اقــترب الرجــال ، والتقــى المتقــاتلون ، وحــدث الكــر والفر، وأخذ كل ينظر إلى أخيه ، فنزلت إلــى الميــدان أكــبر وأفخر قائلاً " أين المقــاتل ، الجبــان لا يخــرج ، لا يخــرج إلا من يثق فــى نفســه ! " " أقــول ذلــك وأضــرب الأرض بالعصا التى قدمــها إلــيّ الرجــل العجــوز ، فصــدر منــها صوت كالرعد، وأخذت أقتل كل من يخــرج ، وقبــل صــلاة الظهر قتلت تسعين رجلاً ، ودقت طبــول التســليم وانســحبوا فجمعت رجالى وأممتهم وأديــت الصــلاة .

بكت الفتاة كثيراً ظناً منها أنـــهم ســيقتلوننى ، لقــد كنــت مرهقاً وكان حصانى متعبــاً ، وأجســامنا تؤلمنــا مــن شــدة

التعب والجوع ، قلت لها " كفى عن البكاء ، ولا تخشين شيئاً ، غداً سننتصر عليهم فى الصباح بإذن الله " .

قالت " أيها القائد إذا هلكت أنت هلكنا معك ، ووقعنا فى أيدى الكفار " .

قلت " إن الله معنا ، ومن يعتمد عليه لا يخيب فى الدنيا والآخرة " .

لقد كان من أفراد العدو شخص سودانى ، فى معسكرنا، وسمع كل ما قلنا ، والآراء التى تبادلناها ، فعاد وأخبر قائدهم بما سمع ، فلما سمعونا نذكر الله ، همدت كل أجسامهم ، وقضيت الليل أتلو وردى وأسأل الله أن يعيننا على العدو ، ولما طلع الصباح جاءوا إلى ميدان القتال، فكبرت وكان الله قد استجاب لدعائى ، فأنزلوا أعلامهم ، وسألونى ماذا كنت أقرأ فى الليلة السابقة ، وماذا أعبد ، وما منعنى من النوم ليلاً غير القراءة ؛ فأخبرتهم بكل شىء وفى الحال أسلموا ؛ فأمرتهم أن يذهبوا إلى درنجن همباما حتى أعود ، فإذا رأوا أنه سيهجم عليهم ليقتلهم ، ينطقون أمامه بكلمة الشهادة ، فإذا سمعهم لن يمسهم فقالوا سمعاً وطاعة .

عندما رآهم درنجن همباما من بعيد اقتلـــــع شــجرة نخيــل الزيت وقصدهم فرفعوا صوتهم مرة واحـــدة بكلمـــة الشـــهادة، فتراجع إلى الوراء ووقـــف يخـــرج لســانه ويلعــق لعابـــه ، وسألهم سبب إسلامهم ، فقصـــوا عليـــه القصـــة كلـــها ولـــم يخفوا شيئاً عنه ، فقال " إنه جنطوكى القـــائد العســكرى والـــد جربا " وأمر أن يذهبوا جميعـــاً إلـــى قصـــره ، وبـــالغ فـــى إكرامهم ، وصاروا أخوة كأن أباهم واحــــد وأمـــهم واحـــدة ، ببركة الإســـلام .

ولما عاد جربا جاجرى إلى جيتامـــا وأخـــبره بمـــا حـــدث لهمباما ، أصابه الرعب وقـــال " إن لـــم نتحـــايل علـــى هـــذا الرجل ونقضى عليه ، سيقتلنى ويسلب الملك منــــــى بـــالقوة".

ثم قال جربا " سمعت أن لك أمـــــاً " .

قال جربا " نعم هى فى بـــلاد الســـودان " .

قال الملك " سنبعث معك عفريتـــا ليحملـــك إلـــى الســـودان الآن لتأتينا بها ، ونذهب معاً إلـــى أبيـــك " .

وظهر حنين الابن إلـــــى أمـــه ، أخـــذه العفريـــت ، وفـــى طرفة عين ، عاد بـــــها ، ووضعوهـــا أمـــام الملـــك ، ولمـــا أفاقوا قصوا عليه أخبارهم ، لقد كان الملـــك يريـــد مـــن هـــذا العفريب أن يقضى عليهما هناك ، ولكن الله لـــم يـــرد ذلـــك ، وفى الحال أمر عفريتـــاً أن يقطـــع رأس الأم .

أما جربا جاجرى فقد ورث عنى كل الشجاعة؛ فقد أشبعته طعاماً وماء وإلى جانب ذلك يحمل تميمة تصد عنه كل الأخطار ، فقد صار لهم كالعظمة فى الحلقوم ، فكلما دبروا له مكيدة للقضاء عليه، نصره الله عليهم ، وأخيراً استعمل التميمة التى تخفيه عن الأنظار وجاء إلى.

أما الشيخ طلحة فقد بحث عن ابنته فى كل مكان بعد أن خطفها الجن ، ولكنه لم يجد لها أثراً ، فغضب غضباً شديدا ، وكانت كإنسان عينه ، لا يريد أحداً أن يمسها ، وبعث بأربعة رجال ، أحدهم إلى الشرق ، والثانى إلى الغرب ، والثالث إلى الجنوب والرابع إلى الشمال ، وطلب من كل منهم ألا يعود إلا إذا رآها ، ومن يعود بدونها سيقتله .

وكيف عثر عليها همباما ؟ لقد خرجت مع جاريتها إلى حفلة عرس ، فتوقفت عند النهر لتستحم فخطفها الجن .

عندما اقتربت من المدينة رآنا جماعة من الناس ، فبعث كبيرهم من يستطلع أخبارنا ، فعاد إليه الرسول قائلاً " إنهم عائدون بجوريا ابنة الشيخ طلحة " ؛ فلما سمعوا ذلك نزلوا من فوق ظهور خيولهم وساروا حتى وصلوا إلينا ، وذلك تعظيماً واحتراماً لسيدتهم ، فتبادلنا التحية وذكرت لهم أخبارى ، وتقدم كبيرهم إلى السيد

وقص عليها الحال الذى وصـــل إليــه بعــد فقدهـــا، وقصــت عليه بدورها ما فعلت مع الجن الذى خطفـــــها ، ومـــا أبديتــه من شجاعة نـــادرة ، ووفـــائي وأمـــانتى وصـــدق إســـلامى ؛ فالتفت إلىّ هذا الخادم قائلاً " أرجوك أن تدعنـــــى أحمـــل هــذا الخبر السار إلى سيدى ، حتى أحصـــــل علـــى الأجــر الــذى أرجـوه " .

قلت " لك ما تريــد " .

ذهــب إلـــى الأمـــير وقـــال لـــه " أطـــال الله حيـــاتك ، بشراك".

فقال الأمير " خيراً سأعطيك مـــا تريـــد " .

قال الخادم " لقد عادت جوريا " ، وقـــص عليــه أخبارهـــا وكل ما حـــدث .

وفى الحال أغدق عليه بأكثر مما كـــان يتوقـــع ، وجـــاءت أمها بألف دينار وقدمتها إليه ، ثـــم ركبـــوا وقابلونـــا، وعـــم الفرح كل أنحاء المدينـــة.

قال الأمير " كل من يحبنى يثبت ذلـــك بمـــا يقدمـــه إلـــى جنطوكى من خير ، وهكذا لم تنقطع الخـــيرات التـــى أخــذت تنهال علىّ لمدة ثلاثة أيام ليلاً ونـــــهاراً.

وهكذا عشت بينهم فـــترة أســـتمتع بالحيـــاة ، وذات يـــوم ، رأيت غباراً قادماً من جهة الشـــرق ، فبعثـــت مـــن يســـتطلع

الأخبار ، فإذا بجربا جاجرى قد خرج يبحـــث عنـى، وأخـذ يحارب كل من يعتدى عليــه فـــى الطريــق وينتصـــر عليــه حتى جمع حولـــه جماعـــة كبـيرة يشـد بـــهم أزره . " ابــن جنطوكى يتحرك كـــالعفريت " أمـــر أن يـــأتونى بـــه ، ولمـــا التقيت به قص عليّ كل ما حدث بينـــه وبيـــن الجـــن ، وكـــل ما حدث لوالدتـــه .

وبعد أن أنقشع الغبار ، قالت جوريا ابنـــة الأمـــير لأبيـــها " يا أبتى إذا أردت خيراً ، زوجتنـــــى هـــذا الرجـــل ، وأبقـــه معنا فى هذه المدينة ، فإن فراقه خسارة كـــبرى لنـــا ، فـــهو محارب ماهر ، وعـــالم فـــاضل ، وتقـــى ورع ، لا ينقصـــه أى صفة من صفات الإنسان الكـــامل .

قال الأب " لك كل ما تريدين ، فهو كمـــا تقوليـــن ، ولكـــن أحد الأمراء الكبار يريدك زوجة له ، وتسـلمت المـــهر منـــه، فما العمـــل الآن ؟ "

جاءت الفتاة إلىّ ، وأخبرتنى بما فعلـــه هـــذا الأمـــير مـــع أبيها فتوجهت إلى أبيها وحدثته فى الأمـــــر ، فلمـــا أحسست أن والدها تحير فى أمـــره ، خشـيت هـــذا الأمـــير ، ولعـــدم استطاعته رد ما أخذه من مهر الفتاة قلت لـــــه " إذا كـــان مـــا يحيرك أمر المال فسأرد إليه كل ما أخذتـــــه منـــه مـــن مـــال وهدايا وصداق بإذن الله ،وإذا كنت تخشى مـــن فتنـــة تحـــدث

فى المدينة ، لقد حاربت الأوربيين والجن فما بالك بالرجل الأسود ، لو تركت له هذا الغلام الصغير ، جربا، لكفاك من كل شر فى هذه الحياة " .

قال الأمير " لم أقبض صداقها مالاً ، ولكنه رأس كورنجو " ، لقد قال الأمير ذلك لأنه يعتقد أن هذا أمر عسير على أى إنسان فى المدينة .

فقلت له ، أعطنى عدداً قليلاً من الرجال يحمون ظهرى ، وخرجت وعسكرت وكتبت إليه هذه الرسالة .

" من القائد العسكرى جنطوكى ، تحية إلى كرونجو القائد الفاسد وليس القائد الماهر ، أنصحك أن تسلم لله لتنجو من عذاب سيفى واويلو ، وعذاب الله ، ولأتركك فى أمان الله ، ودع الفتنة نائمة ،وإذا كان الغرور قد ملأ صدرك ، وخدعك الناس ، سيشرب الكلب من دمك الآن، وتندم حين لا ينفع الندم " .

وطويت الرسالة ولم يستطيع أحد حملها إليه ، فتقدم إلى جربا جاجرى الذى لا يخشى الموت ، وقال إنه سيحملها إليه بنفسه ، وأخذها وتوجه إليه ، ولما وصل إليه سمحوا له بالدخول ، فقدم إليه الرسالة ، وقرأها كرونجو وأحس بما فيها ، واحمرت عيناه من شدة الغيظ ومزق الرسالة وقال لجنوده " اضربوا هذا الرسول حتى يموت ".

عندما سمع جربا جاجرى ذلــــك ، قـام مســرعًا وركـب حصانه واستل سيفه ، ودخل منازلـــــهم ، وأخــذت رؤوســـهم تتهاوى فى جميع أنحاء المدينـــة كمـا تتــهاوى الثمـار مــن أعلى الأشجار. وشق طريقه بين رؤوســـهم بصعوبـة وعــاد وقص علىّ خـبرهم .

فقلت هذا أمر خطير ، وفى الحـــال بعثـت برسـول إلـى همباما ، ليأتى مسرعًا بكل أبنائه، فقـد حـدث مـا توقعـت ، وفى لمح البصر وصلوا جميعًــا ، فلمـا رأى رجـال طلحـة همباما وأولاده وقعــوا مغشــيًا عليــهم ، وخرجنـا وتوجــهنا إلى قصر الأمير ، فلما رأتهم الفتـــاة انقلبـت علــى وجهـها وأخذت تبكى بكاء شديداً ، ظنـاً منـها أنـهم جـاءوا ليقتلـوا حبيبها .

عندما وصلنا إلى مدينة كورنجو بدأ القتـال فـى الحـال ، اندفع همباما وخطف فارساً من الكفار ، وســلمه إلــى أبنائـه قائلاً لهم " بسرعة اشوه لى فى وسط الميدان حتـى أجـد مـا آكله ، ولكنه لم ينتظر حتى يشوى علـــى النــار ، ومـد يـده وقطع رأسه وأخذ يأكل لحم العنق كمـا يـأكل كـوز الـذرة ، ثم كسر الجمجمة واستعملها كإناء يشرب منـــه المـاء ، فلمـا رأى الأعداء ذلك ولوا الأدبار يطـــأون أقـدام بعضــهم مـن هـول الموقـف ، ولـم يجـد قـائدهم كورنجـو مفــرًا إلا الانسحاب من المعركة ، وأخـذ يعـــدوا حتـى وصـل إلـى

مدينته إنكوى وبـــايع الأمـــير ، وأعلـــن رضـــاءه بكـــل مـــا يقضى بـــه .

أما أنا فقد توليت الســلطة فـــى المدينـــة وصـــرت الآمـــر ألناهي فيها ، وطلبت أن يأتونى بكورنجـــو لأراه ، فلمـــا قـــدم إلى قال " أطال الله حياتك لقد فعلت كل مـــا طلبـــت ".

ثم قدمت المدينة بكل ما فيـــها صداقـــاً ، وأقيـــم حفـــلاً لا مثيل لـه ، ودخلــــت بزوجتــــى ، وبعـــد ذلـــك أمـــر همبامـــا وجنوده أن يتتبعوا كورنجو ويـــأتونى بـــه .

أما أمير إنكوى فقد أعـــد فرقـــة عســكرية علـــى رأســـها وزيره ، وأمرهم أن يذهبـــوا ويعـــودوا لـــه بجنطوكـــى فـــى أيديهم ليقتله بنفســـه .

فقال الأمير " ســـمعاً وطاعـــة لقـــد انتـــهت اليـــوم حيـــاة جنطوكى وكل من ينـــاصره " .

وركب وتبعه أكثر من ألـــف فـــارس ، كـــل منـــهم كأنـــه عفريت من الجن ، وتصادف أن تقـــابل الفريقـــان فـــى الليـــل على شاطئ نهر ، ونزل أتباعى على شـــاطئ ونـــزل أتبـــاع أمير إنكوى على الشاطئ الآخر ، ولـــم يعـــرف كـــل منـــهم الآخر ، وفى الليل خرج ونكـــا قـــائد جيـــش أمـــير إنكـــوى يتجول ؛ فلف حول معسكرهم ، فسمع صـــهيل الخيـــل علـــى الشاطئ المقابل ، فركـــب حتـــى وصـــل إلـــى معســكرهم ،

فرأى خيولاً لا حد لـــها ، ورأى الســيوف فــى كــل مكــان كأنها حبات الرمال ، وسمع بعضهم يتحدثـــون قــائلين" قبــل ثلاثة أيام ستدور الدائـــرة علــى جيــش المسـلمين ، ونقيــد جنطوكى " ؛ فلما سمع ذلك انسحب وطلـــب مــن جنــوده أن يستعدوا غداً لأمر هام، وأخبرهم بكل مــا ســمع ، ومــا رأى بعينه .

فقالوا " نسأل الله أن يحيينا إلى الغـــد " .

قال همباما " غداً سأشبع ، لقــد اشـتد علــى الجــوع ، قال هذا الكلام ولا يعرف ما يخفيــه القــدر .

عندما طلـــع النــهار هجــم الرجــال ، وكأنـــهم الجبــال الشوامخ تلتقـــى ، واســتعد الفريقــان وبــدأ القتــال ، وأخــذ رجال إنكوى يقعون صرعـــى واحــداً بعــد الآخــر ، حتــى مات أكثر من نصفهم ، وفر البــاقون ، وقــص الخــبر علــى الأمير ، فقال " لقد هربتم من الموت إلـــى حيــث لاقيتمــوه "، وأمر أن يستعدوا للقائهم غداً ، وهـــدد بقتــل مــن يفــر مــن رجاله .

أسر ونكن وتا وهمباما كثيراً مـــن الجنـــود ، وبعـــث إلـــىّ بمن أسلم منهم ، أما الذين أبو الإسلام فقـــد قتلـــهم ، وعندمــا عاد الرسول أخبرونى جميعاً أن هـــؤلاء الرجـــال شــجعان ، ويجــب أن يســاعدونى ، فــأمر عشــرة آلاف فــــارس أن يستعدوا لمساعدة جيش المســـلمين .

ولما رأى أمير إنكوى ذلك قال " هذا كذب إنهم لن يفعلوا شيئاً " ، وأمر ابنه جرمى أن يتوجه لقتالهم .

والتقى الفريقان ، ونشب القتال ، وسالت الدماء أنهاراً، ولما توقف القتال خرج جرمى إلى وسط ميدان المعركة ، وأخذ يتفاخر بنفسه ، بعد ذلك هجم درنجن همباما ، فأمر جرمى بضربه فسقط على الأرض كما تسقط الشجرة الضخمة وقال لخدمة " اربطوا هذا المنافق، وفى الحال وضع همباما فى القيود وأخذوا يجرونه كأنه جثة حصان، ولم يخرج جرمى من قلب المعركة حتى ضرب رجال المسلمين أربعة وعشرين رجلاً ، قيدوا جميعاً بالسلاسل وأصبح لا حول لهم ولا قوة .

بعد ذلك غضب ونكنوتا ، ودفع حصانه إلى قلب المعركة ، وأخذ يفخر بنفسه والتقى بجرمى ونشب القتال وتصاعد غبار المعركة إلى السماء حتى حجب المتقاتلين عن الأنظار ، واشتدت المعركة واستمرت حتى العصر ولم ينتصر أحدهما على الآخر ، ثم نطق ونكن بالشهادة ونظر إلى رأس جرمى وهوى عليها بالعصا الغليظة فوقع على الأرض وانفصل مخه عن الجمجمة ، ولم يترك ميدان المعركة حتى أصاب مائتين بين قتيل وأسير ، ولما رأى الكفار ذلك أخذوا يولون الأدبار فاتبعوهم ، ودارت عليهم الدائرة حتى أقبل الليل ، وبعد ذلك عادوا إلى

معسكرهم ، وحرروا من قبض عليهم قبل ذلك ، وأطلق سراح همباما وباقي الرجال .

ولما سمع أمير إنكوى هذه الأخبار ، وأن من بين القتلى ابنه الذى يحبه ، غضب الكافر، وأخذ يسب الشمس والقمر والنار ، وأمر بقتل الفارين قائلاً " لقد لقيتم الموت هنا اليوم "، وبعث إلى البلاد رسولاً يأمر الجميع بالاستعداد للقتال ، ولن يسمح لأحد بالتخلف إلا إذا كان عاجزاً عن إمساك الرمح والقوس ، ولابد من الثأر من جنطوكى مهما كلفه الأمر .

ولما رأيت الجنود قد تأخروا شعرت أن فى الأمر شيئاً، ولابد أن أذهب لنجدتهم ، فاستعددت وتركت لمججى مهمة حراسة المدينة ، وذهبت إليهم وتركت أسرتى هنالك.

أما كرونجو فقد كان يعرف شجاعتى ؛ فقد ثقب الكوخ فى الليل وهرب قبل أن ينقشع غبار المعركة ، وبعد أن جلب لهم المصائب وولى الأدبار ، فقد عرفته جبانًا ، ولم يتوقف إلا عند أمير الهند وتقدم لمبايعته ، ولجهلهم وافقوا على الاستعداد للحرب .

أما رجال ونكن وتا الذين هزموا فى المعركة فقد حملوا رأس جرمى وذهبوا بها إلى أبيه لإثارته ، فلما

رآها أمير إنكوى اشتد غضبه . وفى الصبـــاح اشـــتعلت نـــار المعركة، وكان المســــلمون قلـــة ، كالشـــعر الأبيـــض فـــى رأس الصبى ، فلمــــا رأوا ذلــك هللـــوا وقـــالوا " الله معيـــن للعباد"، وتجمعوا ودعـــوا الله فأعانـــهم الله علـــى الكـــافرين ، وهو القادر علـــى كـــل شـــىء ، واشـــتدت الحـــرب وارتفـــع الغبار إلى السماء، ولم يتوقف القتال حتـــى انعدمـــت الرؤيـــة، وإذا بى أصل إليـــهم فجـــأة أنـــذر العـــدو قـــائلاً " جنطوكـــى أشجع الرجال والد جربا ، المعركة دائـــــرة عليكـــم ، وجربـــا جـــاجرى علـــى يمينـــى ، والمداحـــون علـــــى يســــارى ، والشجعان يحيطون بى كأنهم العفـــاريت ، جلابـــو المصـــائب قادمون إليكم يثبـــون بخيولـــهم ؛ فلمـــا ســـمعنى المســـلمون فرحوا فرحاً شديداً ، وأخذوا يزغردون قـــائلين جـــاء البطـــل ... جاء البطـــل .

ولما أقبل الليل جمعـــت قـــادة المعركـــة وقســـمتهم أربعـــة أقسام ، وطلبت من قسم أن يتجه إلى المشــــرق والبـــاقى إلـــى الغرب والجنوب والشمال ، وأحاط الفرســـــان بـــالوثنيين مـــن كـــل جـــانب وهـــم لا يعلمـــون أن ســـبحان الله ــ الحـــــرب خدعـــة.

قلت " إذا سمعتمونى أنطق الشـــهادة فـــاهجموا بقـــوة فـــى وقت واحد ثم ينسحب كل إلــــى الخلـــف ويراقـــب المعركـــة، واتركوهم يقتلون أنفسهم بأنفســـــهم .

وبعد أن نام أفراد العــدو ، وســكنت حركاتــهم، هجمــوا عليهم وفعلوا كل ما أمرتهم بــه ؛ فلمــا رأى الكفــار ذلــك ، قاموا وأخذ كل منهم ســلاحه ، وأخــذوا يضربــون بعضــهم البعض ، واستمروا على هــذا الحــال ، ولمــا طلــع النــهار وجدوا أنهم قتلوا أنفسهم بأيديــهم ، ولا يوجــد بينــهم مســلم واحد، فأخذ الأمير يعض على أصابعــه حتــى قطعــها مــن شدة الغيــظ .

بعد أن انتهى المسلمون مــن الصــلاة ، خــرج الأعــداء وكونوا صفًــا وبســرعة اضطربــت المعركــة ، ولــم يكــن منظرًا جميلاً ، ولما غربت الشمس تفرقــوا ، وفــى الصبــاح التقى الفريقان ، ونصر الله المسلمين عليــهم وتفرقــوا وولــوا الأدبار فاتبعهم المسلمون وقتلوهم وأسروا مــن بقــى منــهم ، وبعد ذلك اخترت أحد الخدم ووليته السلطة فــى المدينــة .

فى هذه الليلة رأيت منامًا أزعجنــى ، لــم أر بعــده النــوم مرة أخرى ، رأيت أشــياء هبطــت مــن الســماء كــالطير، وخطفتنى مع ابنى جربا جــاجرى ، وطــارت بنــا ، ظننــت فى نفسى أنه ربما هذا الجن الذين خطفونى مــن فــوق جبــل بيما أو ملائكة جاءت تخبرنا أن أجلنا أقــترب فــأخذت أبكــى وأقول ربما لن أرى بلاد الهوسا بعد ذلــك ، ولكنــى تذكــرت أن الإنسان يموت حيــث كتــب لــه المــوت ، أســأل الله أن يتوفانى على الإيمان ، آميــن .

عندما طلع النهار أخبرت جربا جـاجرى " أيـها البطـل الذى لا يرهب شـيئًا " .

قال " لا تبالى ، إذا كان عدوًا سننتصر عليـه بـإذن الله".
قلت " حسنا ، إن شـاء الله " .

عندما حان العصر ، قلت لجربا جـاجرى " قـم لنخـرج نتنسم الهواء العليل على حافـة هـذه الغابـة ، فقـد سـئمت الإقامة فى مكان واحد ، لقد ضايقنى كلام النـاس الكثـير ".

قال " حسنا ، إننى أشعر بـالضيق ، وأريـد النزهـة فـى مكان آخـر " .

عندما خرجنا قلت لجربـا " عـد وأحضـر لنـا السـلاح، الرجل لا يسير هكذا أعـزل " .

فعاد وأحضر السهام والسيوف ، ثم واصلنـا السـير؛ فلمـا وصلنا إلى داخل الغابة ، رأينا مسـتنقعًا مغطـى بالأعشـاب الكثيفة ، فجلسنا نستريح ونتحدث فى أمـور الحيـاة ، رأينـا من بعيد غزالتين ترعيان ، فأطلقت السـهم علـى إحداهمـا ، ولما أصيبت بالسهم حملتها الغزالة الأخـرى وولـت هاربـة بها .

قال " ما حدث اليوم أمر عجيـب " .

قلت " اليوم ستقوم القيامة ، وليس هذا أمرًا عجيبًا ، يبدو أنه حدثت مصيبة ، وسيحدث ما حدث بالأمس ، وتشتعل الحرب مرة أخرى ".

لقد نزلنا فى مستنقع ملك الجن ، وأطلقت السهم على ابنه ، فحملت الأم جثة ابنها وذهبت به إلى أبيه ، وقصت عليه ما حدث فغضب وهب قائمًا ، وخلع قلنسوته ، وألقاها على الأرض ، واستدعى عفريتين قويين، وقال لهما " اذهبا إلى المستنقع ، وأتونى بكل من تريانه هناك الآن " .

ولما جاء لم يجدا سوانا ، نرقد تحت الشجرة ، وقد غلبنا النوم ؛ فحملانا ، وطارا بنا بين السماء والأرض، ونحن نائمين ، ووضعانا أمام ملك الجن ، ولم يمض الوقت الطويل حتى قطعت رأسه ، واضطربت المدينة ــ رجل واحد يساوى ألف أبو جربا جاجرى ــ وفى الحال أعلنوا إسلامهم جميعًا ، ووليت عليهم أميرًا منهم .

وأثناء إقامتى فى مدينتهم ، أنشأت مدرسة ، وأدخلت أطفالهم فيها ، وأخذت أعلمهم القراءة والكتابة، وأعظهم وأعلمهم الحديث صباحاً ومساءً وأخذنى الأمير إلى أقاصى المدينة ، فأرشدتهم إلى الإسلام حتى أسلموا جميعًا، وأما من تمرد منهم فقد سحقتهم وواصلت تنفيذ خطتى .

عندما سـمع شـقيق الأمـير أننـى أدخلـت ابـن أخيـه الأصغر فى الإسلام دفع إليـه بجنـود لا أول لـها ولا آخـر لسحق المسلمين ومرشدهم الذى منعهم مـن عبـادة القمـر ، وعسكروا عند بوابة المدينة،وبعث رسـولاً إلـى ابـن أخيـه لاستقباله،فلما وصـل لاسـتقباله ألقـى القبـض عليـه،فقـال "لمـاذا ؟ " .

قال الأخ الأكبر لماذا تركـت دينـك مـن أجـل رجـل أسود؟"

فلما سمع رجاله ذلـك عـادوا إلـى المدينـة مسـرعين ، واستعدوا للقتال ، فقلت لجربا أعـد السـلاح وضـع السـرج على ظهر الحصان ، فقد حان وقـت القتـال " .

تحير الولد من شدة الخـوف ، وقـال " كيـف سـنحارب الجن ؟ لا أرى أننا سننتصر علـى هـؤلاء " .

قلت " الله أكبر ، ولد صغير لا تعـرف شـيئًا " .

ركبت الحصان وأحاط بى كـل سـكان المدينـة ، كـأننى أميرهم ، فقلت" كل شىء بـإرادة الله " .

وأمرت عفريتين بحمـل جربـا جـاجرى إلـى المـنزل ، حيث تقيـم زوجتـى ، فذهبـا بـه ، وقـص عليـهم كيـف تركنى؛ ففرحوا كثـيرًا لأنـه عـاد إليـهم بـثروة كبـيرة ، وأخذوا يدعون الله أن يحفظنى حتى أعود لـهم سـالماً.

وصلت إلى ميدان القتال بحصانى ، أكبر وأهلل ، وفى يدى سيفى شافو ، وعصا الشيخ العجوز الغليظة معلقة فى سرج الحصان ، فلما رأى هذا الأمير ذلك طلب من الجن أن يقبضوا علىّ، فهجم على مائة عفريت مرة واحدة ، فأمسكت سيفى وقضيت عليهم جميعًا ، وأخذت رؤوسهم تتساقط على أرض المعركة كثمار شجرة جوز الهند ، فأمر ملكهم الجميع أن يدخلوا المعركة ويهجموا على فى وقت واحد .

ولما رأى المسلمون ذلك هجموا هم أيضاً مرة واحدة وفى الحال اشتد القتال ، وفاقت المعركة الوصف ، وأخذت أنشد أنشودة النصر ، وسيفى يرتوى من دمائهم، ويحصد رؤوسهم ، ولما شعروا أن الدائرة دارت عليهم ، ولوا الأدبار حتى وصلوا إلى أميرهم كبيتو فأقر هروبهم، وبعث برسائل إلى أتباعه جميعًا ليستعدوا للقتال فى خلال سبعة أيام للقضاء على جنطوكى ومن اتبعه من المسلمين.

عندما عدنا إلى المدينة قال ملك الجن " أشكرك يا جنطوكى ، والآن يجب أن أحملك إلى وطنك ؛ لأن الأمير الذى حاربته ذهب يطلب العون من الملك كبيتو ، ولا ينبغى أن تبقى هنا حتى يأتى ويقضى عليك فتتركنا نقاتله نحن " .

قلت " لن أتركك حتى أقضى على كل أعدائـــك فـــى هـــذه الأرض ، سواء كان من الإنس أو الجـــن ، بـــإذن الله " .

ووزع الملك الغنيمة التى حصلنا عليـــها ، فـــأخذ الخمـــس ووزع البـــاقى علـــى المقـــاتلين ، قلـــت " يجـــب أن نســـتعد ونذهب لملاقاته فى عقر داره قبل أن يـــأتى إلينـــا " .

قال الأمير " وهو كذلـــك ، وجمعنـــا المقـــاتلين وتوجـــهنا إليه ، وفاجأناهم فى الطريق ، وكان عددهـــم كزبـــد البحـــر ، والتقى الفريقان ، ونشـــب القتـــال، وكـــانت المعركـــة التـــى أنتظرها ووشنت جمعهم حتى تعجـــب الجميـــع .

وعندما أقبل الليل فعلت الخدعة التـــى تعـــودت عليـــها ، وأيقظت أتباعى ووزعتهم فى أمـــاكن مختلفـــة ،ولمـــا كونـــوا حلقة حول العدو قلت لهم " إذا ســـمعتمونى أنطـــق بالشـــهادة فاهجموا جميعًا فى وقت واحـــد ، وقولـــوا اســـحقوهم كفـــار فاسدين " ثم انسحبوا إلى الوراء واتركوهـــم يقتلـــون أنفســـهم بأنفسهم " ففعلوا كما أمرتـــهم .

وعندما طلع النهار أدركوا أنـــهم قتلـــوا بعضـــهم بأيديـــهم، أما الباقون فقد أمرت أن يضربوا حتى لا ينجـــو منـــهم أحـــد، وواصلنا السير حتى وصلنا إلـــى الملـــك كبيتـــو ، فلـــم نجـــد حوله إلا النساء ، دخلنا قصره فوجدنـــا الـــثروات المكدســـة ، كنوزًا من اللؤلؤ والمرجان أكواما ، وكـــانت حوائـــط القصـــر من الذهب والفضة ، وقد أثرى كـــل المســـلمين بعـــد توزيـــع

الغنائم عليهم ، ورأيت ابنة الأمير تجلس فى حجرة من الفضة ، وحولها الجوارى بالمراوح ، وإذا بصقت سارعن إليها لالتقاط البصاق قبل أن تسقط على الأرض ، ولفرط جمالها أطلقوا عليها اسم " نور " فلما رأيتها أعجبت بها وقررت زواجها .

وذات يوم طلبت من ملك الجان أن يأمر اثنين ليذهبا إلى رجالى لمعرفة أحوالهم ، لأن أعدائى كثيرون ، فأمرهم بالذهاب فوجدوهم يحاربون المسلمين . وقد أخذ جربا جاجرى يقاتلهم حتى أعياه التعب وكادوا أن ينتصروا على المسلمين ، وفجأة وصل العفريتان ، وأخذت الضربات تتوالى على الكفار دون أن يروا أحدًا ، ولم يسمعوا إلا كلمات الفخر التى يطلقونها قائلين " نحن جنود جنطوكى الفارس المغوار" ، وأخذ بريق السيوف يبدوا كالبرق ، ولكن لا يرون أحداً ، حتى تم النصر وولى الكفار الأدبار يتعثرون فى خطاهم ، فرح المسلمون وأدركوا أننى على قيد الحياة ، وعاد العفريتان وقصا على كل شىء ، فشكرتهما ، وقدمت إليهما المكافآت السخية.

أما كورنجو الذى فر إلى بلاد الهند فقد استجاب الأمير لندائه وجمع الكثير من المقاتلين وتوجه إلىّ وهو يجهل أنه متجه إلى الفناء .

بعد أن انقشع غبار المعركة قلت لملك الجن " أريد أن أعود إلى وطنى لأعيش بين أخوتى من الإنس ، ولن تنقطع الأخبار بيننا بإذن الله " .

جمع الملك ثروة كبيرة وحملها الجن ، وحملت سيفى شافو وجعلت عروستى أمامى ، وأمر الملك إعطائى حصانًا من الجن لا يسبقه حصان وألف عفريت ليخدمونى ، ولكنى رفضت وطلبت اثنين فقط وجعلت واحداً عن يمينى والآخر عن يسارى ، وودعنا بعضنا وسط البكاء والنحيب لشدة ما كان بيننا من محبة ألفت بين قلبينا .

وصل كورنجو وملك الهند وأقاموا عدة حلقات حول جيش المسلمين ، بجنود وأفيال لا تعد ولا تحصى ، فلما اقتربت منهم بعثت برسول ليأتينى برجالى ، فلم يستطع الوصول إليهم ، فعاد إلىّ وأخبرنى بذلك ؛ فلما علمت بذلك نزلت وفعلت خدعتى التى تعودت عليها فى مثل هذه المعارك ، وأمسكت زمام حصانى الجنى ، وركبته وانطلقت وسطهم كالسيف فى الفضاء ، ودخلت إلى ميدان القتال ، ولم يستطع أحد التعرف على ، وعند الظهر غطت جثث الكفار أرض المعركة ولما يعد هناك موطئ قدم ، ولم اقبل الليل تفرقوا وعدت إلى المنزل .

جاء إلى جربا جاجرى قائلاً " من أنت هـــل الـذى فعـل لنا هـذا ؟ "

فمددت يدى وكشـــفت عــن وجــهى وعينــى ، وخلعــت خوذتــى .

أدرك جربا جـــاجرى أننـــى أبـــوه ، فـــأخذ يـــهلل فرحـــا ويقول " أيها الناس لقد عاد جنطوكـــــى" .

وقد عمت الزغاريد المدينة كأنهم قـــد أخرجـــوا مـــن نـــار حامية، وأخذ كل منهم يأتينى ويركع أمامى تحيـــة لـــى ، ولـــم أترك منزلاً فى المدينة إلا وقد نال نصيبًا مـــن الـــثروة ، أمـــا العفريتان اللذان حضـــرا معـــى لـــم يراهمـــا أحـــد ســـواى ، عندما تقدما إلىّ قـــائلين " "أطـــال الله حيـــاتك غـــداً ســـنرحل لشأننا "

قلت " أشكركم ، اذهبـــوا " .

وعندما طلع النهار خرجت وســـط المدينـــة أفخـــر قـــائلا " أنا جنطوكى القائد العسكرى ، غـــدًا ســـتأكلكم الصقـــور ، لا يخرج الجبـــان " .

بعد ذلك قال " ابن ملك الــــهند لكورنجـــو " أنـــت المقـــاتل الماهر اذهب للقائه أنت ، ما حدث لنا مـــن خســـارة بـــالأمس كان من أجلـــك " .

فقال " لقد قضيت ليلة أمس وبطنـــى تؤلمنـــى " .

قال له ابن الملك " إن لم تخرج الآن فسأقتلك وتقع فيما تفر منه " .

ودفعوه بالقوة فخرج ، يتفاخر بصوت منخفض قائلاً " أنا كورنجو " .

عندما سمعت ذلك أعدت السيف في غمده ، وأخرجت عصاى الغليظة لأننى عدلت عن قتله ، وقلت " الحمد لله، لقد حدث المطلوب ، طالما أن الله قد جمعنا مع الهراب من المعارك، كلب الكلاب . " .

ثم هجمت عليه وما كدت ألمسه حتى سقط، فقلت لجربا جاجرى " قيده " فنزل وربطه تماما ، فركب ابن ملك الهند حصانًا وخرج ، فتقاتلنا معه حتى غروب الشمس ، وأخذ بعض الناس يقول " لقد تركه جنطوكى " والبعض الآخر يقول " لا إن من تستهين به ، قد تكون نهايتك على يده " ، ولكن السبب الحقيقى فى هذا التراخى أن حصانى توقف عندما شاهد كثرة الفيلة تمنعه من المسير، فغضبت ونزلت من فوقه ، وهجمت على الأعداء.

وبعد ذلك رأيت هذا الكافر وهو فوق ظهر الفيل يفتح صندوقًا ، ويخرج منه شيئًا مثل الشبكة ، ولما ألقاها التفت حولى ، فأخذنى ووضعنى فوق ظهر الفيل ، وفتح الصندوق ليلقينى بداخله ، ويذهب بى ـ هذا أمر

مؤسف – أمرت العفريتين اللذين يحرسانى ، فأوقفا الفيل دون أن يعرف السبب ، وقيدا ابن هذا الأمير ، وسلماه لى. وأمرت جربا جاجرى أن يقيده مع كورنجو ، وبعد أن غربت الشمس تفرقوا فسألنى المسلمون عن سبب طول فترة قتالى لفارس واحد فقلت لهم " لأننى أردت أن أقبض عليه وأدخله فى الإسلام لأننى أدركت أنه رجل شجاع " فقالوا " لقد أدركنا ذلك " .

أما الكفار فقد تملكتم الدهشة من أمرى لأنهم منذ أن خلقهم الله لم يروا من يفعل فى ابن الأمير ما فعلت ، ولما شاع الاضطراب بين صفوف الهنود ، أخذ بعضهم يقول إننى من الجن ، والبعض يقول إننى رجل شجاع ، وبعد ذلك صنعت حيلة وجئت بسهام غير مسممة وقلت " ارموا الكفار بها " فلما أحست الفيلة بها هاجت وألقت من فوقها، وجرت وأخذت تدوس الناس باقدامها ، فلما أدركوا أستحالة النصر ولوا الأدبار ؛ أما ابن الأمير فقد أسلم ، وطلبت منه أن يعود إلى وطنه فقال " إنه يخشى أن يقتله أبوه عندما يعلم أنه أسلم ".

أما كورنجو فقد كان المسلمون يخرجون كل يوم ويضربونه ثم يعيدونه إلى سجنه ، ولما وصل الفارون إلى الهند أخبروا ملكهم أن ابنه قد أسلم فغضب وأخذ يجمع المحاربين حتى يأتى للقضاء على جنطوكى ، وتستحق الفيلة سكان المدينة من المسلمين .

أعددت العدة للحرب وذهبت إلى بلاد الهند بجيوش لا نهاية لها ، وواصلنا السير حتى اقتربنا من المدينة ، فنزلنا ، وبعد ذلك تسللت مع جربا جاجرى وابن ملك الهند ودخلنا المدينة ليلاً ، حتى وصلنا إلى قصر الملك . فوجدناه نائمًا .

ركله ابنه برجله وقال له " قم يا كلب " فاستيقظ قائلاً " من ؟ "

قال الابن " سيدك ، جنطوكى قائد جيوش المسلمين ؛ ألا تعلم أن الإسلام قوة ؟ "

لم يفعل ذلك بأبيه احتقارًا له ، ولكن لأنه كافر ، ولأننا نريد أن يسلم ، وحتى لا نهلك رجاله تسللنا إليه فى جنح الظلام .

قلت له " أسلم تخلص نفسك من الموت " فأبى

فقلت للجن " اضربوه " فانهالوا عليه لطما ، وقيدوه وخرجوا به إلى الدهليز .

قلت للابن " اذهب إلى أبيك وحاول إقناعه ، وعرفه حقيقة الإسلام ليسلم ، لأننا لا نريد أهانته إكرامًا لك " فذهب إليه وحاول إقناعه ولكنه أصر على كفره ، فلما أدركت أن العجوز لم يكتب له الإسلام ضربته ضربة قسمته نصفين ، وطلبت أن يلقى نصفه فى حجرته ليكون عبرة لأبنائه ، والنصف الآخر فى فناء القصر ليراه

الأمراء ليعرفوا أن هذا مصير الكافرين ، ووليت الابن السلطة بعد أبيه وقلت لخدمه " كل من ترونه يعضى هذا الابن اضربوه " .

ووقف المداحون يمدحونه قائلين " خير من الضرب والسجن طاعة الأمير " ، وعندما جاء الظهر كان أتباعه قد أسروا خمسة وثمانين رجلاً ؛ فقلت للأسرى " أسلموا تأمنوا ، واتبعوا هذا الغلام " قالوا " سمعا وطاعة " .

قلت " كل يعود إلى منصبه ، واذهبوا إلى أهلكم وادعوهم إلى الإسلام بأنفسكم ، ومن يرفض ما تدعون إليه ، حللت لكم دمه " .

قالوا " سمعا وطاعة " .

وهكذا فعلت مع كل الناس ، ووليت كل أتباعى فى المدن التى أسلم أهلها ، أما كورنجو الذى رفض الإسلام فقد أمرت أن يقتل ، فأخذ الأطفال يرمونه بالسهام حتى مات ، وحملوه وألقوه فى مكان القاذورات كالكلب .

أمرت العفريتين الملازمين لى أن يذهبا ويستطلعا لى ما يدور فى موطنى فطارا فى الفضاء حيث شاهدا جيشًا يسير فى الغابة مثل الجراد لا نهاية له فهبطا وانقلبا إلى صورة آدمى وسألا عن وجهة الجيش ، قالوا إنهم جنود انكوى ذاهبون لمحاربة هذا الشيطان الآدمى الذى يسمى

جنطوكى الذى أعيا النـــاس أمـــره ؛ فـــتركوهم حتـــى نـــاموا جميعًا ، ثم ذهبا إلـــى خيمـــة قـــائد الجيـــش فوجـــداه نائمًـــا والمصباح مشتعلاً ، فحمـــلاه بالســـرير الـــذى يرقـــد فوقـــه وطارا به حتى وصلا به إلـــىّ ، ووضعـــاه أمـــامى ، وقصّـــا علىّ كل ما شـــاهداه .

قلت لهما " أيقظاه " فتمدد وأخـــرج مـــا فـــى بطنـــه مـــن غازات ، وقال " عجبا أين أنـــا ؟" فركلـــه همبامـــا بقدمـــه ، فقام يقول " عجبا ، أين أنـــا ؟ "

قال همبامـــا " أمـــام أمـــير المســـلمين جنطوكـــى ، اتبـــع الطريق السوى تنجو من الـــهلاك " .

قال " وماذ جاء بى إلى هنـــا ؟ "

قلت " الجـــن " .

فرفع رأسه ليراهما فظهرا له فـــى صورتـــهما الأصليـــة ، بأسنانهما البارزة ، وفى الحـــال اتبعنـــى دون جـــدال ، وقـــال لى كل ما لديه من أخبار وما حدث لزوجتـــى التـــى تركتـــها، وكيف قتلت ، وغير ذلك مـــن الأخبـــار وفـــى الحـــال أعلـــن إســـلامه .

وعندما طلع النهار لم يجد الجيش قائده ، فأمرت أن يعيدوه مكانه ، عند ذلك أسلم الجميع ، وبعد ذلك أمرتهم بالعودة ليحاربوا أميرهم إنكوى قبل أن أعود ، وأمددتهم بألف حصان ، وعادوا .

أما الذين هربوا فقد حملوا خبر إسلام قائدهم وأنه عائد لقتال الأمير فغضب الأمير وسب الشمس والقمر والنار والنجوم ، وجهز جيشًا وأمرّ عليه أحد خدمه .

وركب ليودعه عند ملتقى الطرق ، عندئذ رأى الغبار يرتفع إلى السماء ، فأمر أن يذهبوا ليستطلعوا الأمر ؛ فقالوا القائد الذى ذهب بجيشه لمحاربة المسلمين عاد ليحاربك ، أى بعد أن علمته الرماية عاد ليرميك " .

وقبل أن أعود وجدتهم أثاروا الفوضى فى المدينة ، وقد قبضوا على أميرهم وأخذ ابنه يتوسل لدى الأمير كبارا لإطلاق سراحه ، وخلال هذه الفوضى وصلت إلى المدينة بجيش لا نهاية له ، وانهالوا عليهم ضربًا ، وكأن السماء قد أمطرت دمًا فى كل مكان فى المدينة ، وفى الحال أسلموا وأخذوا يضربون الأمير وكأنهم يدقون الطبول ، وعندما سمعت أم نور حماتى بأننى جئت ، انفجرت فى البكاء لأنها تذكرت ابنتها التى أمر الأمير أن يذهبوا لقتلها ، وسألتها " من الذى قال اقتلوها ؟ " قالت

" فلان " فأمرت باستدعائه ، وسألوه فقال " أطال الله حياتك، لم أقلتها ، لقد أشفقت عليها ، وأطلقت سراحها فى الغابة ، وطلبت منها ألا تعود حتى لا نقتل معا. ولكن لا أعرف مصيرها الآن " .

فشكرته ، وكافأته بسخاء ، واستدعيت المنجمين وقلت لهم " هل نور ما زالت على قيد الحياة ؟ " فضربوا الرمل وقالوا " إنها حية ، ولكنها وقعت فى يد الجن ، وقد ولدت لك ابنا حيث كانت حاملاً عندما تركتها " .

أما ابن الأمير إنكوى ، الذى ذهب إلى الأمير كبارا فقد قال له أننى تزوجت نور ، وكان هو أيضا يحبها ، وكان تحت هذا الأمير كثير من الجن ــ وإذا استجاب الله الدعاء حدث المطلوب بسهولة ــ فأمر أحد الجن أن يأتى له بجنطوكى .

وكان مساعداى قد طافا الدنيا يستطلعان لى أخبارها ، فلما وصل الرسول وقف على النافذة كالطائر ، وكان اجتماع الحاشية قد انفض ، ودخلت المنزل لأنام ، ودخل العفريت على ، وهو يحمل شيئاً فقدت الوعى عندما شممته ، ولما حملنى لم يضعنى إلا أمام أميرهم ، وقص على كل ما فعل ، فقال الأمير " لا توقظه وأحمله إلى النهر وألقه فيه حتى يموت ، ويسود السلام بين الناس " ،

وذهب وألقانى فى الماء وكأننى جثة حصـــان نفــق ، ولكــن الله قادر على كل شئ فعال لمــا يريــد " .

عندما استيقظت شربت كثيرًا من المـــاء ، وحملنـــى مــاء البحر وأخذ يلقى بى هنا وهناك ، ولا أشعر بـــأى شـــيء فقــد كنت فاقد الوعى ، حتى حملنى الماء إلـــى البحـــر المحيــط ، وهو البحر الذى يحيط بالدنيا ، وألقـــت بـــى الأمـــواج علـــى جزيرة ، فأخذت أخرج ما فى بطنـــى مـــن أعلـــى وأســـفل ، حتى كادت أمعائى تخرج مـــن بطنـــى ، ولمـــا انتـــهى أثــر المخدر أفقت بســـلام .

وأنا على هـــذا الحـــال وإذا بمركـــب يبعثــه الله بـــالقرب منى، فرأونى وأنا ألوح لهم بيدى ، فجـــاءوا إلـــىّ وحملونـــى، وسألونى " ماذا جاء بك إلى هنــــا ؟ "

قلت " أعطونى طعامًا أولاً أملأ بطنـــى الخاويـــة ، قدمـــوا إلي الطعام فأكلت وشبعت وهـــدأت نفســـى .

قالوا " اقصص علينا خـــبرك " .

فقلت لهم " لا تسألوا عن أخبارى ، أخـــبرونى أنتـــم مـــاذا تعبـدون ؟ "

قالوا " نعبد الأصنـــام " .

قلت " لعنكم الله ، أنتـــم وأصنـــامكم ، رجـــال فاســـدون ، اعبـــدوا الله الـــذى خلـــق الســـماوات والأرض ، وخلقكـــم ، وخلق كل ما نرى ، وما لا نـــرى " .

قالوا " عجبـــا ، لقـــد نجينـــاك الآن وأنـــت موشـــك علـــى الهلاك ، وبدلاً من أن تقدم إلينا الشـــكر تســـبنا ؟ "

قلت " نعم ، لعنكم الله ، أنتم لم تنقذونـــى ، ولكـــن الله هـــو الذى أنقذنى ، ولا أبالى بجمـــاعتكم الصغـــيرة ".

عندما سمعوا ذلك انهالوا علىّ ضربا ، ولـــم أكـــن أرتـــدى إلا ساتر العورة ، فضربتهم بجمع يدى ، وفـــى الحـــال قتلـــت أربعين رجلاً منهم ، فـــتراجعوا إلـــى الـــوراء وبـــدا عليـــهم الوجوم ، وأخذوا يحدقـــون بعيونـــهم ولا يتحركـــون ، وتقـــدم شاب منهم وقال " هل نحن نســـاء حتـــى يتغلـــب علينـــا هـــذا الرجل ؟ " فلما سمعوا هـــذا الكـــلام زاد حماســـهم وهجمـــوا علي مرة أخرى فأخذت أضرب فيهم حتـــى أعيـــانى التعـــب، حينئذ أسرونى ، وقيدونى ، وقالوا " لا ينبغـــى أن نقتلـــه بـــل نحمله إلى أميرنا ليراه " ، وأخذونى وإلقونـــى فـــى المركـــب كما تلقى بالة القطـــن .

وكان لدى أميرهم صنم ، يسكنه أحـــد الجـــن ، وكـــل مـــا يريد معرفته يسأل الصنم فيجيبه الجنى ، فســـأل عـــن أخبـــار الدنيا ، فقص عليه كل أخبارهـــا ، وعنـــد وصولـــهم أمرهـــم الأمير بقتلى ، ولكـــن الأمـــير رأى أن يـــتركنى إلـــى الغـــد

ويحرقنى فى ميدان عام حتى يرانـــى النـــاس جميعًـــا ، وفـــى الليل أشعلوا نيرانًا كثيرة ، وحملونـــى إلـــى المعبـــد وأغلقـــوه حتى الصباح ، رأيتنى فى هذا اليـــوم وحيـــدًا مـــع الصنـــم ، فقضيت الليل أذكر الله وأصلى علـــى الرســـول ، فلمـــا ســـمع الجنى الذى يسكن الصنم ذكـــر الله رق قلبـــه ، فخـــرج إلـــىّ قائلاً " أيها الشاب ألا تهدينى إلى الإســـلام ؟ " فأســـلم وكـــان ابن أحد الجن اسمه زلزلو بـــن مزلزلـــو .

وقبل أن يطلع النهار كان قد خلصنى مـــن الأســـر وطـــار بى وقصد مدينة أبيه ، وقبل أن نصل إلى المدينـــة كـــان أحـــد الجن قد أخبر أباه أن ابنه أســـلم ، فغضـــب غضبـــاً شـــديداً ، فلما وصلنا إليه أمر بحبس ابنـــه ، وأمرهـــم أن يذهبـــوا بـــى إلى النهر ويلقونى فيه ، وكـــانت بـــرودة هـــذا النـــهر تفـــوق برودة الثلج ، وقبل أن يصل الخادم إلى هـــذا النـــهر بســـاعة واحدة ، أراد الله أن يتعب مـــن حملنـــى فـــأنزلنى ليســـتريح ، فغلبه النوم ، فخلصـــت نفســـى وبحثـــت عـــن حجـــر كبـــير وضربته به علـــى رأســـه فانكســـرت ومـــات فـــى الحـــال ؛ فدخلت الغابة وأخذت آكل من ثمـــار أشـــجارها .

وفى الصبـــاح أمـــر الأمـــير بإحضـــارى مـــن المعبـــد ، فبحثوا عنى فلـــم يجدونـــى ولـــم يجـــدوا الصنـــم، فأصابـــهم الحزن والدهشة ، وأمـــر أن يســـتدعى الوزيـــر الـــذى أشـــار عليه بإبقائى حتى الصباح لأحرق ، وقال لـــه " لقـــد منعتنـــى

أمس من قتل هذا الضيف ، وها هو قد هـــرب وأخـــذ الصنـــم معه ، دون أن يفتح بابـــا أو نـــافذة " ، ثـــم أمســـك السـيف وقطع به رأس الوزيـــر .

ولما رأى أبناء الوزيـــر ذلـــك قتلـــوا الأمـــير ، ونشـــبت الحرب بين رجال الأمير وأتبـــاع الوزيـــر، وأخـــذوا يقتلـــون بعضهم رجالاً ونساء عـــدا رجليـــن اســـتطاعا الفـــرار إلـــى المدينة ، هذا ما أراد الله أن يقـــع بينـــهم .

وهناك حكمـــة لا نعلمـــها فـــى كـــل مـــا يفعلـــه ســـبحانه وتعالى، نسأل الله أن يتوفانا على الإيمـــان ، آميـــن .

بعد أن قتلت العفريت ظللت أتجـــول ســـبع ســـنوات فـــى الغابة ، عارى الجســـم ، وذات يـــوم رأيـــت عفريتيـــن كـــل منهما يخطف رجلاً ، ووصلا إلىّ ، نظرا إلـــىّ وظنـــا أننـــى من الجن ، فشعرى يصـــل إلـــى كتفـــى ، عريـــان لا يســـتر عورتى شىء ، وكنـــت أصلـــى هكـــذا ، فســـألانى مـــن أى قبائل الجـــن ؟

قلت " أنا رجل من الإنس " وقصصت عليـــهم قصتـــى .

قال أحدهما " انتظرنى هنا ، بعد غد آتيـــك وأحملـــك إلـــى وطنك ، بعد أن نحمل إلى أميرنا هذيـــن العجليـــن " .

قلت " أين همـــا ؟"

قالا " هـذان الرجـلان ، حتـى يجـد أميرنـا طعامـه "؛ فتعجبت من هذا الكـلام .

وبعد يومين رأيت العفريت يعود ومعه ثـوب قدمـه إلـى لأرتديه ، وحملنى وطار بى، وارتفـع إلـى السـماء حتـى سمعت تسبيح الملائكة ، فأخذت أسـبح مثلـهم ، وأخـذ هـذا العفريت يهبط بى حتى ألقانى فـى البحـر ، وسـقط ميتـا ، وظللت أسبح ثلاثة أيام ، حتى وجـدت نفسـى بـالقرب مـن جزيرة طويلة فخرجت ومشـيت فيـها ، وأخـذت آكـل مـن ثمار أشـجارها .

رأيت طريقـاً صغـيراً ، فواصلـت السـير فيـه حتـى وصلت إلى إحدى المدن ، فوجدت سـيدة تحكمـها ، وكـانت تشبه فى عاداتها أمينة ابنة أمـير ززو ، فكـانوا يـأتون لـها برجل كل ليلة ينام معها ، وفى صبـاح اليـوم التـالى تقتلـه، وفجأة وصلت إلـى هـذه المدينـة ، فـأحبتنى حبـاً جمـاً ، وعندما أقبل الليل ، حاولت أن أنام معـها ولكنـى رفضـت ، وقلت الموت عندى أفضل من انحـراف خلقـى ، فـأحضرت ماء وبصقت فيه ومسـحت جسـمى بـه ، فصـرت قـرداً ، ومكثت قرداً لمدة عام كامل والحبل مربـوط فـى خـاصرتى، يلعبون بى ويرمون لى الفول السـودانى فـآكل .

وذات يوم قالت لى هذه الأمـيرة " هـل تفعـل كـل مـا أطلبه منـك ؟ "

فرددت عليها بهز رأسى بأننى سأفعل كل ما تأمرنى به ، وفى الليل طلبت ماء وبصقت فيه ، ومسحت جسمى به ، فعدت إنساناً سويا .

قالت" أوفى بالوعد " .

قلت " سأفعل " .

ثم قمت وأمسكت عنقها ولويته ، فماتت فى الحال من شدة الضربة ، وقمت مسرعاً وتوجهت إلى خزانتها؛ فوجدت سيفاً حاداً ، فأخذت ألهو به وتناولت قطعة من القماش ومسحته بها فرحا بحصولى على السلاح الذى أقاتل به .

وفى الصباح بحث عنها أتباعها فى كل مكان فلم يجدوها ، فجلسوا فى حيرة يفكرون فيما سيفعلون .

أما زلزلو ابن ملك الجن ، فلم يطلق سراحه إلا بعد عام كامل ، ولما أطلق سراحه قتل أباه ، واستولى على السلطة بالقوة ، وأسلم على يديه كل سكان المدينة ، أما زوجتى التى أمر أمير إنكوى بقتلها ، والتى أطلق سراحها فى الغابة ؛ فقد هامت على وجهها فى الغابة تتنقل من مكان إلى مكان حتى وصلت بفضل الله إلى مدينة طيبة ، ليس فيها إلا النساء ، ويسكنها الجنيات فرحين بها ، قصت عليهن كل ما حدث لها ، فقلن لها :

لا تحزنى ، كلى واشربى، والبســـى مـــا تريديــن ، فســرت بذلك .

وأثناء ذلك أنجبـــت ولـــداً ، فقـــام الجـــن بخدمتـــها أثنـــاء الولادة ، لقد كان هؤلاء الجن خدم الملـــك ، يـــأتى لزيارتـــهن كل شهر ، كما أخبرنـــــها وذات يـــوم جـــاء إليـــهن الملـــك ، فذهب الجميع لتحيته ، وذهبت معــــــهن بابنـــها الـــذى حملتـــه على ظـــهرها .

قال ملك الجن " من هذه ؟ " فأخبرته بقصتـــــها كلـــها .

قال " يا فتاة ما اســـمك ؟ "

قالت " نـــور " .

قال " سأسمى هذا الطفل ، واصبرى حتـــى يكـــبر ابنـــك ، وسآخذه فى جيش الجن ، ونذهب لقتل أبيـــك ونوليـــه الســـلطة بأية وســـيلة " .

قالت " وهو كذلك " وشـــكرته وانصرفـــت .

ولما كبر الابن ، أخذ يخرج مع الجن لصيـــد الأســـود، ثـــم أخذ يتبعهم حيثما ذهبوا ، وأصبح هو الوحيـــد الـــذى يســـتطيع قتل الأسد بالسيف ، وأخذ يخرج معـــهم لســـلب الســـكان فـــى المدن ، وأصبح هو الشيطان الذى يرهبـــه النـــاس .

ولما بلغ عمره الخامسة عشـــر ، ســـأل أمـــه قـــائلا " يـــا أمى، أين أبـــى ؟ "

فانفجرت فى البكاء ، وقصت عليـــه كـــل مـــا لديـــها مـــن أخبار .

قال الابن " أصبرى ، إن شاء الله ، ســـآتيك بـــرأس أمـــير إنكوى ، من له ابن مثلى لا ينبغـــــى أن يبكـــى شـــيئا ، ولـــد واحد مثلى خير من عشرات من الرجال لا خـــــير فيـــهم ".

ثم أعد مائتين من الجن ، وقصـــــد إنكـــوى ، فقابلـــه كـــل سكان المدينة ، فقتلـــهم جميعـــاً ومضـــى لشـــأنه ، وقبـــل أن يصل إلى إنكوى وصل عددهم خمســـة آلاف ، والجميـــع مـــن إنس وجن يؤيدونه ، فلمـــــا وصلـــوا المدينـــة أقـــاموا دائـــرة حولها، ولم يقولوا شيئاً حتى مل الجميع هـــذا الموقـــف ، ولـــم يعرفوا السبب ، لقد بعـــث إلـــى والدتـــه لتـــأتى وتـــرى مـــا سيفعل ابنـــها .

بعد أن وجدت جثة الأميرة التى أخـــــبرتكم أننـــى قتلتـــها ، استعد الجميع للقتـــال ، فحملـــت ســـلاحى وعـــدت لممارســـة هوايتى الحربية ، وفى هذه الليلة رأى صديقـــى زلزلـــو ابـــن ملك الجن مناما فـــى الليـــل ، رآنـــى فـــى مدينـــة الأمـــيرة، ويحيط بى الكفار ليقتلونـــى ، وليـــس لـــى معيـــن ســـوى الله ورسوله، فلما استيقظ فى نفـــس الليلـــة ، أمـــر بـــدق طبـــول

الحرب ، واستعد الرجال للحرب وركـــب الفرســـان خيولـــهم، والتف حوله ألف مـــن الجـــن يتعجبـــون مـــن خروجـــه فـــى الليل، ولم يعرف أحد وجهته ، وقصد المدينـــــة ليســـاعدنى .

ولما وصل شعر أن الرؤيا تحققت ، فقـــد أحـــاطونى مـــن كل جانب وأخذوا يطعنوننى من اليمين ومـــن الشـــمال ، وأنـــا أقول " إننى رجل واحد يغلب ألف ، أنـــا أبـــو جربـــا ! أيـــها الكفار ألا تعرفون جنطوكـــــى ؟ " وأخـــذت رؤوســـهم تســـقط كما تسقط العاصفـــة أوراق الشـــجر ، وهجـــم الجـــن عليـــهم وفى الحال قضوا عليهم جميعًـــا .

وعندما انقشع غبار المعركـــة ، رأيـــت زلزلـــو ، فتبادلنـــا التحية ، فقال " رأيت فى المنـــام أمـــس أن الكفـــار يحيطـــون بك ؛ لذلك جئتك فى الحال " فشكرته ، وذكر لـــى مـــا فعلـــوه بأبيه مزلزلو ، وجمعنا ثـــروة كبـــيرة وعدنـــا إلـــى زلـــزو ، وبحثت عن شخص أمين ووليته الســـلطة فـــى المدينـــة بـــدلاً من الأميرة التى قتلتها بعد أن أســـلم الجميـــع .

وبعد ستة أشـــهر عزمـــت علـــى العـــودة إلـــى وطنـــى ، وحمل أربعة آلاف من الجن ما قدمه إلى زلزلـــو مـــن هديـــا، وحملنى زلزلو بنفسه ، ولم يتوقفوا إلا فـــوق ســـطح مـــنزلى صباحًـــا ، فـــنزلت وأيقظـــت أولادى ، وقلـــت لـــهم " أنـــا زوجكن جنطوكى " ، وكلما جـــاءت واحـــدة مـــن زوجـــاتى عانقتنى لشدة سرورها ، وبعد ذلـــك خرجـــت إلـــى المدينـــة ،

فعمها السرور ، وأخذ سكانها يهتفون جميعًا ، لقد عاد جنطوكى ، لقد عاد جنطوكى ، جاء الأمراء جميعًا لتحيتى، وعانقت جربا جاجرى ، وقبلت رأسه وأخذنا نبكى من شدة السرور والحنين .

حينئذ قلت لهم " هذه الجيوش التى تحيط بالمدينة من أين جاءت ؟ "

قالوا " لا نعرف ، لقد جاءوا وعسكروا ، ولم نقل لهم شيئاً ، ولم يقولوا لنا شيئاً " .

قلت " غدا ابعثوا إليهم برسالة ، ومهما يكن الأمر فليأتوا ، على الرحب والسعة " .

لقد كان قائد الجيش الذى أحاط بالمدينة هو ابنى الذى قصصت عليكم خبره ، لقد وصل مع والدته فى هذه الليلة، التى ينتظرون وصولها ، وها أنا أيضاً قد عدت ، لقد فارقتها منذ كانت حاملاً فى هذا القائد ، الله قادر على كل شىء . عندما طلع النهار ، استعد هو وجنوده ، وما معه من الجن وكل من إصطحبه ، وبدأوا القتال ، خرج ابنى وأخذ يتفاخر قائلاً " لا يخرج إلا أمراؤكم " (لأنه لا يعرف أن والده استولى على المدينة وقتل جده ، والد أمه).

خرجت ، وبدأ القتال ، وتكسرت الرماح، فبدأت حرب السيوف ، حتى تلثمت ، وتعبت الخيول ، فنزلنا إلى الأرض ودارت المعركة بالأيدى منذ الصباح حتى الظهر، قال الناس " لم يتلق جنطوكى بفارس مغوار مثل هذا " وأمسك الابن أباه ، ورفعنى إلى أعلى ووضعنى فوق كتفه ، وكاد يلقينى على الأرض ، فعركت أذنه ، وكدت أقطعها ، فشعر الغلام كأن السماء قد وقعت على رأسه ، فصرخ قائلاً " تبت ، الأمان " ؛ فأمرت بوضعه فى الأغلال ، فهجم رجاله مرة واحدة ، وكذلك فعل أتباعى ، وبسرعة نشبت معركة حامية ، وصار صليل السيوف كالرعد يصم الآذان ، وفى الحال قضى على جيش الغلام ، وبعد ذلك جلست على الكرسى ، وطلبت أن يأتونى بهذا الغلام الذى قاد المعركة ؛ فلما جاءوا به قلت له " من أين جئت ؟ وما اسم أبيك ؟

قال " جنطوكى قائد جيوش المسلمين " .

قلت " جنطوكى أبو جربا، وكيف عرفت ؟ قال هكذا قالت لى أمى " فأخذ كل رجل فى الحاشية ينظر إلى أخيه" .

قلت " فكو وثاقه " ففعلوا .

قلت " أنى أعرف ذلك ، رجل ابـــن رجـــل ، إننـــى أعلـــم أنه لا يوجد سواى فى هذه الدنيا ينجب ولـــداً شـــجاعاً مثلـــك، من هى أمـــك ؟ "

قال " نور " فأمرت أن يأتونى بـــها ، فلمـــا رأتنى عـــانقتنى من شدة الســـرور، ودخلـــت إلـــى المـــنزل مـــع زوجـــاتى، وودعت زلزو ، وعاد ، وأخذ كل منـــا يقـــص علـــى الآخـــر كل يوم ما وقع له من أحـــداث .

بعد ذلك طلبت من جربا جاجرى الاســـتعداد لنعـــود إلـــى بلاد السودان لنقتـــل الأشـــرار والأوربييـــن الذيـــن ســـيطروا عليها ؛ لقد حاربنا الجن حتى أصلحنـــا أمرهـــم ، فمـــا بـــالك بـــالإنس ، إن إصلاحـــهم أيســـر علينـــا ؛ بعـــد أن وزعـــت رجالى وحددت لكل منهم المكان الـــذى يقيـــم فيـــه ، اتخذنـــا طريقنا ودخلنا مرة أخرى ، ولكن لم ندخـــل محـــاربين، لقـــد جئنا لنرى حالهم ومـــدى قدرتـــهم ، ووصلـــت الـــى الشـــيخ طلحة ، حماى ، وقضيت عنـــده يوميـــن ، ورأيـــت أخوتـــى الترنكاوى الذين فروا مـــن ســـكوتو ، ورأيـــت الذيـــن ألقـــوا الســـلاح ، واحـــترفوا الزراعـــة ، وذهبـــت إلـــى مصـــر ، ورأيتهم يعرفون كل شىء ، فقلت لـــهم " تحيتـــى لكـــم أيـــها المصريون من الصغير إلى الكبـــير " .

حينما تجولت فى البلاد رأيـــت الســـيطرة علـــى الســـكان بصورة لم أر مثلها من قبل ، رأيـــت العـــدل قـــد قـــام بيـــن

الناس ، فقلت لجربا جاجرى هـــذا لا يحــدث إلا بـــإرادة الله، والأفضل أن نقوم بتعليم الناس القراءة والكتابـــة حتـــى نجـد ما يعيننا على أداء فريضة الحج ، لعل الله يخفـــف عنـــا مـــا اقترفناه من ذنـــوب " .

فهب واقفاً وقال " لا ، لن يحدث هـــذا ، لـــن نحـــترف إلا القتـــال " .

فناديته وهمست فى أذنـــه قـــائلاً " أتعـــرف فـــائدة العلـــم؟ أتعرف أن كل ما ذهب سيعود ؟ ولولا جـــهلك لأدركـــت مـــا أعنى ، إذا رأيت الأمراء قد أقاموا العـــدل ، وتركـــو الظلـــم ، يصير قتالهم أمراً عسيراً " ، عند ذلك وافق علـــى رأيـــى .

فقلت له " الأفضل أن أبعثك إلى مدينـــة كتسـينا ، لأننـــى أسمع أنها مجمع للعلماء الأفاضل وطـــلاب العلـــم " .

قال " سمعا وطاعـــة " .

بعد ذلـــك ذهبـــت إلـــى مدينـــة كتسـينا ، أخـــذت أبيـــع وأشترى، وقد ألفت تلاميذ المدرسة التـــى التحـــق بـــها جربـــا جاجرى ، وبينما هم جالسون أمام حـــانوتى يشـــمون الـــهواء، سمعت يوماً أحدهـــم يقـــول " يـــوم الأحـــد ، عشـــرين مـــن شهر أكتوبر ، إن شاء الله فـــى هـــذه الوقـــت ســنذهب إلـــى مدينة زاريـــا " .

فسألته السبب فقال " سنذهب إلـــى زاريـــا لـــنرى ســـمارو والمحطة ومعسكر الجنـــود " .

لعلك تعرف أن من شب على شيء شاب عليه فقلت " سأذهب معكم ، لا ينبغى أن ننتظر حتى نسمع الأخبار ، لابد أن نرى بأعيننا ، فالرؤية خير من السماع".

ومرت الأيام حتى جاء اليوم ، فاستأذنت من أسرتى ، ونبهت على جربا جاجرى ، بأن يهتم بعمله ، واتخذنا طريقنا حتى وصلنا إلى مدينة كانو ، حيث رأينا طائرة ينظر إليها أهل المدينة صغاراً وكباراً فى دهشة واستغراب ، ولكن هذا لم يدهشنى لأننى رأيتها فى مصر، وها هم فى كانو مثل الجراد ، ولما غادرنا كانو ووصلنا إلى زاريا، توجهنا إلى المحطة فى حى سمارو ، لم أر مثل هذا فى وطنى ولكنى رأيته فى الشرق ، ولم يدهشنى شيء كما أدهشنى ما رأيته فى معسكر الجنود ، وقد رأيت الرجال قد حملوا السلاح يروحون ويجيئون حاملين السنكى والبندقية فى وسط الميدان . فشعرت بجسدى يقشعر ، وبدأت جذوره تتحرك ، ورأيت ما لم أره وسمعت ما لم أسمعه ، فقلت " ويحى الأمس غير اليوم ".

ذهبنا أولاً إلى من يطلقون المدافع ، ورأينا كيف توضع فيها الطلقات وكيف يوزع عليهم العمل على المدفع ، وكيف يصدر إليهم الأمر بإطلاق النار ، وفى كل مدفع مرآة يرون فيها الهدف الذى يطلقون عليه النيران ، الذى تقربه إليهم هذه المرآه حتى يخيل للإنسان أنه يستطيع أن يمد يده ويلمسه ،فإذا وضعوا القذيفة ،

وصوبوا المدفع على الـــهدف تمامـــاً جـــاءوا بالرصـــاص ، ووضعوه فى ثقب فى المدفع فيخرج مـــن فوهتـــه ، ويحـــدث ما يحدث من دمـــار .

وذهبت مع التلاميذ ، ونظرت فى هـــذه المـــرآة ، فرأيـــت مدينة ززو ، كـــأننى أسـتطيع أن أمسـكها بيـدى ، فقلـت " نعم، إن هؤلاء الرجال لهم شـــأن عظيـم "، ورأيـت ضمـن هؤلاء الرجال " إندا غانا " عرفته من مشـيته والوشـم الـذى رسم على شفتيه ، فقلت فى نفسى " هل هـــذا إنـدا غانـا ؟ " وانصرفت بفكرى عن هذا الأمـــر .

بعد ذلـــك رأيـت الجنـود فـــى كـل مكـان ، يحملـون اللاسلكى فى أيديهم يتحدثون مع بعضـــهم ، ودخلنـا حجـرة كبيرة فلم نجـد فيـها إلا المدافـع يصلحونـها ، فقلـت فـى نفسى: " أهكذا تغيرت الحياة !! أم أننى فى حلـــم غريـب؟".

وواصلت السير مع التلاميذ فرأيـت العجـب ، فقـد كـان الجنود يستقبلون الأوامر باللاسـلكى ، ويسـتعملون الأعـلام، فيحرك أحد الجنود العلم فى يده ، فـيرد عليـه جنـدى آخـر من بعيد ، فيحرك العلـم الـذى يمسـكه بطريقـة خاصـة ، ويستعملون المرايـا كذلـك التـى ثبتـت علـى بعـد ميـل، فيتحدث الإنسان من خلالها إلى الجندى القريـــب منـــه فيمـده بالمساعدة ، وواصلنا السير حتى وصلنا إلـــى مـن يضعـون الذخيرة فى بنادق طويلـــة ، إذا أطلقـت يخـرج الرصـاص

ويصعد إلى أعلى، ويطلقونـــها علـــى الطـــائرات المعاديـــة ، ويستطيعون رفع رؤوسهم إلى أعلــــى مــــن خـــلال الخنـــادق التى حفروها ، وقد أطلقت أمامنا القذائف فلـــم نرهـــا عندمـــا ارتفعت فى الفضاء ، ولم نعرف أيـــن ســـقطت .

وعندما عدنا ذهبت إلى الجنـــدى الغـــانى ، وحييتـــه فقـــال لى : سيدى ، ألست جنطوكــــى ؟

قلت " نعم أنا جنطوكـــــى " .

فقال " ألم تعرفنــــى ؟ "

قلت " أنت إندا غانـــــا " .

قال " نعم ، أطال الله حيـــاتك " .

وبدأ يقص علىّ أخباره منذ أن افترقنـــا ، وكيـــف حصـــل على هذا المنصب الكبير فـــى جيـــش غانـــا ، وســـألنى عـــن سيدته ، فقلت له " لقد ماتت هنــــاك فـــى بـــلاد الجـــن "، ثـــم سألنى عن جربا جـــاجرى .

فقلت له " لقد التحق بالمدرسة ، وصـــــار معلمـــا " .

فقال لى " وما أخبار حربـــك ، وانتصـــاراتك ؟ "

قلت " اترك الحديث فى هذا الأمر يا بنـــــى ، الجـــهل هـــو الى جعلنا نحاربـــهم " .

الماء الشافى

Ruwan Bagaya

تأليف : الحاج أبو بكر إمام

كان يعيش فى عهد الشيخ ابن زيــازينو رجــل مجنــون ، كان يسمى كوجى **Koje** أمير القصــة ، وســمى بــهذا الأســم لأن جنونه لم يكن يدفعه إلى سب أحـــد ، أو ضــرب أحــد ، ولم يكن يريد شيئاً سوى ســماع القصــص ، فــأخذ يطــوف فى البلاد ، يقص على الأغنيــاء والأمــراء قصصــه ، وهــم فى مقابل ذلك يقدمون لـه الطعام ، فإذا قــص لــك قصــة لــم تسمعها من قبل ، وأعطيته مالا ، يأخذ جــزءً ا ممــا أعطيتــه ويرده إليك، على أن تقص له قصة لـــم يســمعها ...

وهكذا يطوف فى البلاد ، حتـــى شــاء الله أن يــنزل فــى بلدة اسمها كونتا جـــورا **Kwantagora** ، وهــى بلــدة كبــيرة فى بلاد السودان ــ غـــرب إفريقيــا ــ فذهــب إلــى أمــير المدينة ونزل عنده ، وبعــد أن أنــزل متاعــه ، خــرج إلــى باب النصر ، وبدأ يمـــارس هوايتــه فــى طلــب القصــص والاستماع إليها ، وظــل حوالــى ثلاثــة أيــام يقــص علــى الأمير قصصه ، ويســتمع إلــى مــا يقصــه عليــه رجــال الحاشية ، مقابل ما يقص علـــى أمــيرهم .

وبينما هو يتجول فى المدينة ، وصل إلــــى مبنـــى ضخــم به حجرات كثـــيرة ، ووجــد خدمـــا يجلســـون علـــى بابـــه، فسألهم " بيت من هـــذا ؟ "

فقالوا " من فـــى هـــذه الدنيـــا كلـــها لـــم يعـــرف الحـــاج إمـــلم!!؟؟ "

قال أمير القصة " هل ســــيخرج الآن ؟ "

قالوا " وماذا سيخرجه الآن ، طالما أن الظــــهر لـــم يحـــن حينه ؟ "

حان وقت الظهر ، فسمع وقع الأقدام تف تـــف تـــف فقـــام كل الجالسين فـــى الممـــر ، فلمـــا ظـــهر رب البيـــت خـــروا جميعا راكعين ، تحية له ، فلمـــا جلـــس نظـــر إلـــى كوجـــى Koje وقال : من هـــذا ؟

قال كوجى : أنا أمير القصة ، جئـــت هـــذه المدينـــة منـــذ عشرة أيـــلم .

وقص لـــه كـــل شـــىء عـــن هوايتـــه لســـماع القصـــص الغريبة، وكيف يدفع له ... وما يدفـــع لـــه ، ثـــم ســـأل هـــل يشـــترى ؟

قال رب البيت : لا بـــأس ، قــل وسأسـتمع إليــك ، لقــد نلت اليوم ما تتمنـــى .

فابتسم كوجى وقال : وهو كذلك كل منا نال مـــا تمنـــى .

ثم بدأ أمير القصة يقص أخبـــاره ، ولــم يتوقــف ، ولمـــا قص حوالى ثلاثين قصة قال لرب البيت : ادفـــع ثمــن هــذه القصص حتى أحس بالقوة التى تدفعنـــى للاسـتمرار .

قال رب البيــت : زد .

فأخذ يقص حتى تعب ، ولمـــا انتــهى مــن الحديــث قــال رب البيــت :

كل قصصك لا تستغرق وقتـــاً أكــثر ممــا بيــن الصبــح والمغرب ، ومع ذلك يسمونك أمير القصـــة ؟ ثــم قــال لــه : عد غداً أنت وأصحابك جميعا ، وسأقص عليـــك أخبــار كــل ما عملته فى هذه الدنيا ، حتى شـــاء الله أن أجمــع كــل هــذه الثروة التى تراها ، وســـأحاول أن أختصــر هــذه القصــص حتى أقصها عليك فى عشرة أيـــام .

فودعه كوجى أمير القصة وانصـــرف.

وعندما طلع صباح اليوم التالى ، حضـر وجلـس ليسـتمع إلى رب البيت ، وبعد أن ظـهرت الشـمس بقليـل خـرج ، فصبح عليه الرجال الذين ينتظرونه فى مدخـل القصـر ، ثـم جلس على كرسيه واضجع ونظر إلـى كوجـى وقـال لـه : كم أذنا لـك ؟

قال : اثنـان

فقال رب البيت : ضف إليها الثالثة حتى تحسـن السـمع.

قال كوجى : وهو كذلك ، شـكراً .

الباب الأول

الحاج يخرج للبحث عن الماء الشافى :

قال رب البيت : أولا ، اسمى الحاج إمـــام ، كـان والـــدى عالمـًـا كبيرًا من علماء أمير الســـودان ، اســـمه نـــا ـ بكـــن ـ كوجى NA BAKIN KOGI وقد تقدم به الســـن حتـــى بلـــغ الكبر ، ولم يرزق بمولود ، حتى ولو ميتا ، ممـــا ســـبب لــه حزنًـــا شديدًا ، فهو يملك الكثير من الكتـــب الضخمـــة ، ولـــم يجد لها وارثـــا ، ولكن له زوجـــة ، لـــها ابـــن مـــن رجـــل آخر، كان شيطاناً ، يقال له ســـقيمو SAKIMU ، مـــهما يقـــدم له أبى من خير ، لا تقابله الأم أو الابـــن بالشـــكر .

وذات يوم ـــ وهو على هذا الحال ـــ كـــبر الولـــد وصـــار شجاعًـــا ، وأصبح فارسًـــا ، وبعد أن بلـــغ الخامســـة عشـــر من عمره ، وأحس بقوة الشباب ، أخـــذ يخـــرج إلـــى القـــرى المجاورة ، ويقطع الطريق ، وينـــهب النـــاس ، وقـــد حـــاول أبى كثيرًا ، أن يمنعه فرفض ، فـــأمر بحبســـه .

وبعد أن قضى ثلاثة أيـــام فـــى الحبـــس ، أمـــر بـــإطلاق سراحه ، فعاد إلـــى البيـــت غضبـــان ، ويحـــس بـــالضيق ،

ولكنه لم يظهر شيئاً ، ولما أقبل الليل ، أخـذ سـيفه ، وتسـلل إلى حجرة نوم أبى ، وقطع رأسه ، وأخذ الجثـة وكفنـها.

وعندما طلع النهار ، خرج إلى الأمير وقـال لـه إن أبـاه قد مات فى الليل ، بعـد أن أحـس بمغـص شـديد، فـاجتمع الناس ، وشيعوه إلى مثواه ، ثم تفرقـوا ، واجتمـع النسـوة ، وأخذن يبكين كالعادة ، ثم سـكتن .

وبعد مرور أيام على مـوت أبـى ، رأى سـقيمو رؤيـة، رأى أبى واقفاً ، ورأى شيئاً صغـيراً كـانواة التمـر يخـرج من ذكره ، ثم أخذ ينمو حتى صـار كالأسـد ، وعندمـا بلـغ ذلك انقض على سقيمو وقتلـه .

هذه الرؤية أقضت مضجعه ، فلما طلـع الصبـاح ، جمـع علماء التنجيم ليضربوا له الرمـل.

أخذ العلماء يخطون على الرمل خطوطـا ، ثـم يمحونـها، عدة مرات ، وأخيراً قال كبيرهم: ستلد إحـدى نسـاء الشـيخ الذى توفى فى هذا البيت ولدا سيقتلك ؛ فقـال سـقيمو : مـع أننى لا أعرف فى هذا الفـن ، إلا أنـه كـذب ، فـرب هـذا البيت لم يسبق له الإنجاب، اغربوا عـن وجـهى ، كهنـة لا فائدة منـهم .

فنفض كل منهم يده من الرمال ، وانصرف فـى خجـل.

وفى منتصف الليل استيقظ سقيمو من نومه ، وأخذ يفكر ويدبر ، وتذكر ما قاله المنجمون ويقول : كما يجب أن نخاف الله ، يجب أن نخاف قول المنجمين كذلك ، الأفضل أن أهلك هؤلاء النسوة الأربع كلهن ، قبل أن يوفين العدة ، كيلا تصير أقوال أصحاب اللحاة الطويلة حقيقية .

لذلك فكر فى الحصول على سم ليدسه لهن ، واحدة بعد الأخرى، حتى يمتن ، فيقال إن الحزن على فراق زوجهن قتلهن ، ولكن والدتى كانت قد تركت المدينة قبل ذلك ، فمنذ وفاة والدى ، أخذها أبواها لتعيش معهما فى القرية التى يعيشان فيها .

ولكن سقيمو لم يتركها ، فأرسل خادماً من خدمه الأشرار إلى هذه القرية ، وشرح له ما سيفعله حتى يسرقها ، ويخترق بها الغابة ليقتلها، فلما أقبل الليل وضع الخادم السرج على الحصان ، وذهب وسرقها ، بعد أن ربط فمها وذهب بها خارج المدينة ، حيث أخفى حصانه، وضعها مقيدة على الحصان ، واخترق الغابة بها بسرعة شديدة ، حتى اقترب الصباح ، فوقف واستل سيفه ، ليقتلها فوطئ ذيل حية ضخمة ، فلدغته ، فسقط فى الحال ميتاً ، واخترق الحصان الغابة جريا .

تحيرت والدتى ، ولم تعرف شـــرقاً ولا غربـــاً ، وخـــافت أن تسأل عن الطريق إلــــى المدينـــة ، ومــرت أيــام عليـــها وهى تسير على غير هدى ، حتى وصلت إلــى هنــا، إلــى " كونتا جوار "، وأراد الله أن تبلــغ فــى هــذا الوقــت الشـــهر الثانى من حملـــها ، ومــرت الأيــام ، وكــبر الجنيـــن ، ثــم ولدتنى هنا، فى بيت أمــام المدينـــة ، فســميت باســم الحـــاج إمام ، لأن إمام المدينة لم يكن له ولد أو حفيـــد ، لذلــك قـــال إنه وجد ابنا وسمانى إمام ، أى الإمام الثانى مــــن بعـــده .

وكانت أمى تسمى " ياقوتـــة " ، عندمـــا بلغــت الأربعيـــن يوما من الولادة ، عقد لها على إمام المدينـــة ، وهكـــذا حتـــى بلغت الثانية عشرة من عمرى ، وقـــد حــاول الإمـــام كثـــيراً أن يعلمنى القراءة ، ولكنه فشـــل فـــى ذلـــك، وهــا أنـــا قـــد كبرت، ولا أعرف حتى الألف ، ومـــع ذلـــك جعلنـــى كابنــه تماماً ، ولم ينظر إلى نظرة غضب واحـــدة ، ولا ضربنـــى.

وذات يوم ، بعد أن انتهيت من صــــلاة الجمعـــة ، رأيـــت الإمام ــ أبى ــ يعود إلى البيت، وعيناه يســـيل منـــهما دمـــع غزير ، فقابلته باكياً وقلت له : بابـــا عافيـــة .. فقـــال : أيـــن هى العافية ؟ !! لقد أحرجنى الأمير اليوم أمــــام النــــاس .

ولما سألته عن سبب ذلك قال : لأنــــه كــان يجلــس بيـــن رجال الحاشية اليوم فقال إن ابنـــــه ياريمـــا **Yarima** مريـــض ولا يستطيع الحركة ، فقلت له : سمعت أنه يقـــــال لـــو وجـــد

الماء الشافى ، فى أية مدينة لارتاح كل سكان هذه المدينة من وباء هذا الزمان ؛ لأنى قلت هذا الكلام البسيط ، غضب الأمير ، وادعى أننى أسخر منه .

عندما سمعت أبى يقول ذلك غضبت ، فعدت إلى البيت وأخذت عصاتى الصغيرة ، وذهبت إلى حجرة أبى، وطلبت المغفرة منه ، وقلت له سأتجول فى الدنيا ، وخرجت من المدينة من الباب الشرقى ، تفاؤلاً فقط ، وليس لمعرفتى للجهة التى سأقصدها ، وأخذت طريق تمبوكتو، سرت كثيراً ، وبعد أن سرت سبعين يوماً ، رأيت على البعد صخرة فى وسط غابة لا حياة فيها ، فقلت فى نفسى : لأذهب إلى هذه الصخرة ، ربما أجد ماء أسد به رمقى .

قصدت الصخرة مباشرة ، وعندما وصلت إليها ، رأيت كهفاً كبيراً ، فتوقعت أننى سأجد فيه ماء ، فأطللت برأسى فيه ، ثم توغلت بداخله وسمعت من يقول لى : أنت إنسى أم جنى ؟ !!

عندما سمعت ذلك ، أسقط فى يدى ، وخفت وأخذ كبدى يرتعش ، ثم تشجعت وقلت : إنسى ... فرأيت شيخاً كبيراً يقبل علىّ ، وهو يمسك مسبحة فى يده، وسألنى عن قصتى ، فقلت له كل شيء من البداية حتى النهاية .

ولما عرف أن فى نيتى الوصـــول إلـــى المـــاء الشـــافى ، صرخ صرخة شديدة ، وقــــال :" يـــا والـــدى أنـــت إنـــس أم جن؟ ما دفعنى إلـــى أن أســـأله هـــذا الســـؤال إننـــى رأيتـــه يحشرج حشرجة وصلـــت إلـــى صـــدره ، فأجـــابنى قـــائلاً : إننى إنسى ... أخوك ، قضيـــت هنـــا ســـبعين عامـــاً ، فـــى العبادة ، لم أر مخلوقا قط ســـواك اليـــوم .

وبدأ يقص علـــىّ قصتـــه ، وقصـــة مدينتـــه ، وأقاربـــه ، فأحسست كأنه أبى الأخ الأكبر للإمـــام ، الـــذى طالمـــا قـــص علىّ الإمام قصته ، وقال إنه هام علـــى وجهـــه فـــى الدنيـــا ، ولم يعرف أين هو الآن ، ولما انتـــهى مـــن كلامـــه عرفتـــه بنفسى ، فأخذنا نتعانق ونبكى فرحـــاً ، وســـألنى عـــن أخبـــار المدينة فقلت له كل شـــىء .

قضيـــت يوميـــن عنـــده لأســـتريح ، وآكـــل مـــن ثمـــار الأشجار ، لأنها طعامه الوحيد ، وبعد أن تآلفنـــا طلبـــت منـــه أن يضرب لى الرمـــل ، ليحدثنـــى عـــن أخبـــارى وأخبـــار نيتى، فضربه وقال لى : إن الماء الشافى موجـــود فـــى هـــذه الدنيا ولكنه تحت سيطرة الجـــن ، وليـــس علـــى ظـــهر هـــذه الأرض التى تطأها قدمـــاك الآن .

وعندما انتهى من قص خبره قلـــت لـــه لا بـــأس ، طالمـــا أنها موجودة فى هذه الدنيا ، سأبحث عنـــها إلـــى آخـــر يـــوم

من حياتى ، مع أن الإمام زوج والدتى ، ولكننـــى لــن أســمح لأحد أن يهينـــه .

بعد أن قضيت سبعين يوماً فـــى الرحلـــة ، وصلــت إلـــى مدينة تمبوكتو ، فأعددت نفسى كمـــا يعــد التجــار أنفســهم ، وذهبت إلى الأمير ، وقلت له إننـــى تـــاجر ، وتجـــارتى فـــى أعقابى ، ستصل بعد ثلاثة أيام ــ ما دفعنـــــى إلـــى أن أقـــول له ذلك إننى تركت ماشية أحد التجار خلفى فـــى الطريـــق .

لعلك تعرف رحيــــل الرجــل المفلــس ، لا ينـــام إلا فـــى استراحة التجار فى الطريق لذلـــك تركـــهم .

وتعودت أن أشـــترى مـــاء كــل يــوم ، وشــربه بثلاثـــة قروش ، وأخرج إلى باب البيت الذى أنـــزل فيـــه ، وأصبـــها فى كل مكان ، لأنه كان لدى صديق غنـــى ، يـــأتى لزيـــارتى كل يوم فى المغرب ، فإذا جلس لتحيتـــى أقـــول لـــه : كـــش الأولاد وسخوا الأرض بالشربة ، فـــإذا التفــت ليجلــس فـــى الغرب قلت له ، وهنا أيضاً ، وإذا التفـــت جنوبـــاً أو شـــمالاً، أقول له وهنا أيضاً ، كل المكان وسخوه ، حتـــى يظـــن أننـــى غنى ، أطعم كل فقراء المدينة ، منذ أن جئـــت ، فـــى الوقـــت الذى أعيش فيه على الكفـــاف .

وبقّدرة الله ، بدأ الجميع يعتقـــدون ذلـــك، حتـــى اســـتطعت أن أقترض منه حوالى خمسين جنيـــها ، وكـــل يـــوم أتحـــايل عليه قائلاً ، عندما تصل ماشـــيتى ، لـــن أبيـــع لأحـــد ســـواه

فقط ، وسيمسك أى ثور ، ويخفض فى ثمنـــه كيفمـــا يشـــاء ، لأنها كلها ملكـــى .

ومضى ثلاثة أيـــام ، ولـــم تصـــل ماشـــيتى ، وذات يـــوم رأى بعض التجار ، فقال لى :لنسألهم عن أخبـــــار ماشـــيتك؛

فأجبته : يجب أن نسألهم .

فقابلتهم وسألتهم : هل تركتم ماشية كثـــيرة وراءكـــم ؟

فأجابوا : نعم ستصل غـــداً .

أى الماشية التى تركتها ورائى ، قـــد رأوهـــا.

وعندما أحسست أنه إذا وصلـــوا غـــداً سيكتشـــف كذبـــى ، ذهبت إلى بيت هذا التاجر وقلت له : أريـــــد خمســـين جنيـــهاً أخرى ، قبـــــل أن تصـــل الماشـــية فـــى الصبـــاح وتبـــاع ، فأعطانى فى الحال ، وبذلك اقترضت منه مائـــــة جنيـــه .

وبعد أن خرجت من عنده ، اخترقت الغابـــــة ، بـــدلاً مـــن اتباع الطريق العام ، وبعد أن سرت واحـــداً وأربعيـــن يومـــاً، وصلت إلى مدينـــة يقـــال لـــها " ســـابورى **Saburi** " وهـــى مدينة كبيرة ، ولكن كل ســـــكانها جـــهلاء تمامـــاً ، لا يوجـــد فيهم من يعرف حتى الألف إلا أنـــا فقـــط ، وأنـــا أيضـــاً ، لا أعرف شيئاً مـــن القـــرآن ، إلا آيـــة واحـــدة ، كنـــت أســـمع المعلـــم يقرؤهـــا دائمـــاً ، إذ صلـــــى الـــــتراويح وهـــى " مدهامتـــان " :

عندما وصلت أخــذت مســبحة طويلـــة ، وقصـــدت بيــت الأمير ، وقلت له إننى عـــالم .

فقال : من أيـــن ؟

قلت : من البلاد العربيـــة .

عندما سمع الأمير ذلك سر بقدومى ، وقــــال : إلــى أيــن ذاهب ؟

قلت : سأبقى هنا ، لقد كنت أرى دائماً فـــى منـــامى هـــذه المدينة ويطلب منى أن آتى لأعلمكم الصـــلاة لتدخلـــوا الجنـــة كلكم بسبب عدلك يا أمـــير.

لما سمع الأمير ذلك ، جمع كبــــار رجـــال المدينـــة كلـــهم وأخـبرهم .

جمعت ستة لأعلمهم الصلاة ، ولم أعرف مـــا أقـــول لـــهم، مكثت كل يوم أعلمهم هـــذه الآيـــة "مدهامتـــان " وجـــاء كـــل أبناء المدينة ، لأعلمهم القراءة ، وبعد أيام قلائـــل حفـــظ كـــل واحد منهم "مدهامتان " ومـــن حفظـــها جيـــدا أخـــذ يرددهـــا بطرق مختلفة ، فمرة يرفع صوتـــه ، أو يخفضــــه، أو يخـــرج صوتا مختلفا حتى يحفظها تمامــــا .

بعد أن مكثت حوالى سبعة أشـــهر ، حضـــر إلـــى المدينـــة ذات يوم أحد العلماء فأخبره الأمـــير قصتـــى وشـــهرتى فـــى المدينة كلها ، ولعلك تعرف أن العلمـــاء يعيبـــون زملاءهـــم ،

فجاء وتبادلنا التحية ، فى هذا الوقت جمعت مالاً كثيراً ، لأننى كنت صاحب الأمر والنهى فى المدينة، حتى جعلونى كالصنم الذى يعبد .

وعندما وصل هذا العالم وتبادلنا التحية قلت :

ما اسمك ؟

قال : اسمى المعلم زرقية بن محمد ، وأنت ما اسمك؟

قلت : المعلم الحاج إمام ، معلم المعلمين .

عندما طلع النهار ذهبنا للصلاة ، فأحس أننى لا أعرف شيئا ، فأخذ يهاجمنى لدى الأمير ، وطلب أن يمتحننا معاً ، ليرى من منا الأعلم ، فقال الأمير : لا ، المعلم الحاج إمام لا يغلبه أحد فى هذه الدنيا كلها ، ولكن المعلم زرقية بن محمد أصر على طلبه ليحرجنى ، ليسخر الناس منى .

وذات يوم نادانى الأمير وأخبرنى بما قال هذا المعلم له ، فلما سمعت ذلك قلت فى نفسى " اليوم انكشفت كذبة الرجل " .

قال الأمير : لم أسمعك تقول شيئاً ؟

فقلت : لابـد أن يكـون ذلـك ، فـالعلم القليـل مضلـل، وطلبت من الأمـير أن يعلـن علـى النـاس الحضـور فـى صباح الغد ، كباراً وصغاراً ، لمشـاهدة المناقشـة .

فلما سمع الأمير ذلك رفع يده تحية لى وقـال " عـالم ابـن عالم " .

وفى الصباح تجمع الناس فبعث الأمـير إلـىّ ، فحضـرت وجلست وسط الناس ، وبينما أن جـالس رأيـت ثلاثـة أولاد يحملون كتاباً كبيراً ، فقلت " من أيـن جئتـم ؟ قـالوا : مـن منزل المعلم زرقية بن محمـد " .

وبعد قليل حضر المعلم زرقيـة ، فـأعطى فـروة وجلـس عليها ، وحوله كثير من الناس ، بعد أن تبادلنـا التحيـة قلـت " هذه الكتب جمعتـها ؟ " .

فقال : عندى التوراة ، والزبـور ، والإنجيـل ، والقـرآن، والسمرقندى الأول والثانى ، وكتب أخـرى لا أذكـر اسـمها، ولم يسبق لى أن سمعته ، فقلت له : اف كل هـذه الكتـب لـم تحفظها ... ثم تقول إنك تريـد مجـادلتى ؟؟ !!

فنظر إلىّ مبتسماً ، فقلت لبعض الأطفـال " انقلوهـا فـى ذلك الركن ، سنرى نحن وأنـت، مـا فـائدة معرفـة الكتـب فقط ، كقراءة الببغاء ؛ فنقلـها الأولاد .

بعد أن هدأ النـــاس وســكتوا ، كنســت الأرض ، وكــأنى سأضرب الرمل ، ورسمت علامـــة هكــذا) ونظــرت الــى المعلم زرقية وقلت : ما هـــذه ؟

قال : نــون .

قلت : ويحــك ، لا .

قــال : راء .

قلت : هكذا الراء فى بلدكـــم ؟

قــال: لام .

قلت : أى معلم جاهل علمك ذلـــك ؟

ظل يخمن حتى ذكر حــروف القــرآن التـــى تشــبه هــذه العلامة كلها ، فقلت كذاب ، فقال إنه عجـــز عـــن معرفتـــها، فقلت للناس : قربوا ، انظروا ، ونظـــر النـــاس وقلــت هــذه ليست راء ، وليست لام ، وليســـت نـــون ، إنـــها هـــلال أول الشهر ؛ فنظر الجهلاء إلى رسمى وقـــالوا : هـــو كذلــك يـــا معلم المعلمين، هذا هـــلال .

فنظرت إلى المعلم زرقية وقلــت لـــلأولاد " التفـــوا حولـــه وارجموه بالحجارة ... فالتف الأولاد حولـــه وأخــذوا يقولـــون " ايهو ــ ايهو ... فخرج من المدينـــة هاربـــاً ، ولـــم يتذكـــر شيئاً حتى كتبــه تركـــها، وتبعـــه الأولاد يرمونـــه بالحجـــارة حتى نجا منهم بصعوبة ، وهكذا تخلصت من هـــذا المعلـــم .

الباب الثانى

الحاج مع المعلم زرقية فى السجن :

بعد أن قضيت اياماً قلائل ، وصلت إلى مدينة تسمى ياميل Yamel ، وعندما اقتربت من المدينة سمعت دقات طبول كثيرة ، وأصوات صفارات مختلفة ، وأفرحاً كثيرة، وأثناء سيرى رأيت ولداً يجرى متجهاً إلى مكان الاحتفال ، فناديته قائلا : أنت يا غلام ماذا حدث فى المدينة اليوم ؟

قال الولد : جاءوا اليوم بزوجة الأمير المفضلة .

قلت : من أين ؟

قال الولد : أبنه أمير قرية النعم ، لقد زوجوها الأمير.

عندما دخلت المدينة لم أجلس إلا عند باب القصر، الذى أقيم فيه الفرح ، ثم دخلت الفرح مدعياً أننى أعرف كل شيء ، وأظهرت السرور على وجهى وكأنها ليلة حنة أخى الأصغر ، وفى الحال اشتهرت لدى الهتيفة ، ولما سألونى عن اسمى قلت : الحاج إمام يحى الناس فى الفرح بشلنين ... ، شلنين ، أما أنا فأحيى بجنيه ... جنيه،

هذا السرور الذى أظهرته جعل الأمير يرحب بى ، وتصادقت مع ابن الأمير حتى أصبح لا يفرق بيننا سوى الليل فقط .

وأصبحت حيثما أذهب ألقى التحية من رجال القصر والأغنياء والعلماء وكل رجال المدينة ، وهكذا صرت فى المدينة ، لذلك أخذ يقصدنى كل من أراد أن أتوسط له طلباً للسلطة.

وبمرور الأيام انتقلت إلى المدينة ساسا **Sasa** ، وما كدت أدخل المدينة حتى وفقنى الله ، فنزلت فى بيت أحد الأثرياء الشوام ، وتصنعت عدم المبالاة كأننى رجل من الأولياء ، فلما رأى الرجل ذلك بدأ يصاحبنى ، وبعد أيام قليلة جعلنى خادماً له ، وسلم إلىّ كل أموره ، فغرقت فى الثروة ، لا أعمل أبيض ولا أسود ، سوى أكل الطعام وغسل اليدين .

رويدا رويدا بدأت أدخل فى مشكلة المكسب والخسارة، فأقيم الحفلات الموسيقية ، وأخذ الطبالون يقولون لى : يا حاج لا تفسد حجتك ، وأنا أقول لهم " لقد جئت وسأعود كما جئت " وابتدعت بدعة بالمدينة.

فحينما تسير تجد الناس قادمين للاحتفالات التى أقيمها، لقد كنت أفعل فى المدينة ما أشاء ، حتى سمع الشامى

ذلك ، فبدأ يعمـــل الحيـــل ليقبـــض علـــىّ ويســجننى ، فـــإذا نصب لى فخاً من هنا تخلصت مـــن هنـــا .

وعندما رأى ذلك ، بعـــث ذات يـــوم مـــن يخـــبرنى أنـــه مات، فجـــاءوا وقـــالوا لـــى ، وألحـــوا علـــىّ لأذهـــب لأرى بنفسى ، لأنه ليس له سواى ، فلا ابن ولا حفيـــد لـــه .

وكنت أعرف حال الشامى ومكره ، ولـــولا إلحـــاح النـــاس ما ذهبت إليه، قالوا لى إنه فى هذه الحجرة، لـــم يدفـــن حتـــى الآن ، حتى أحضـــر لأننـــى كابنـــه ، ونظـــرت مـــن نـــافذة الحجرة ، فرأيته نائما فاتحا فمـــــه ، منتظـــرا دخولـــى عليـــه الحجرة ليقبض علـــى .

عندما نظرت إليه جيدا شـــككت فـــى موتـــه ، فقلـــت " الله أكبر " ولكن لا أظن أنه مـــات" .

فقال الرسول الذى استدعانى " ســـبحان الله ... لمـــاذا ؟ "

قلـــت : لأننـــى ســـمعت أن الشـــوام لا يموتـــون وفمـــهم مفتوح، لابد أن يقفلوه ، وهـــــا هـــو الشـــامى يمـــوت وفمـــه مفتوح .

عندما سمع الشامى كلامى أغلق فمـــه لكـــى أصـــدق أنـــه مات ، وكأننى عبيط ؛ عجيبة : هل الميـــــت يتحـــرك ويقفـــل فمه ؟ عندما رأيت ذلك خرجت هاربـــــا.

أحسست أن الإقامة في هذه المدينة أصبحت غير مناسبة لي فخرجت منها وسرت في الغابة ، فرأيت قرويا يسير ومعه مائة جنيه إلا شلنا وخمسة قروش ، ولما سألته عن مصدر هذا المال ، قص علي كيف حصل عليه، وكيف أنفق شلنا وخمسة قروش ، وفي الطريق أراد أن يقف ويقضي حاجته ، فأعطاني المال لأحفظه له، أي أنه صار رفيق الرحلة.

وعندما انتهى ، قال لي هات المال لنفترق ، فقلت له دون حياء ولا خوف أعطيك ماذا ؟ !! هذا مالي ... واشتد الجدال حتى كبرت المشكلة فذهبنا إلى بيت القاضي ـ الذي أعرف من قبل ذلك أنه يحصل على رشوة ـ وعندما سألني فأجبته كأنني صادق تماما ، ثم سأل الفلاح ، ولكن الدهشة منعته من قول ما يستند إليه القاضي في حكمه .

فقال له القاضي : هل لديك شهود ؟

قال الفلاح : لا .. الله ورسوله .

ثم التفت إلي وسألني : وأنت هل لديك شهود،يا شاب ؟

قلت : نعم .. غفر الله لك يا معلم .. لدي كثيرون .

فقال : من ومن لديك ؟

قلت : المعلم طلحة وأخوه شاهدان ، المعلم سليمان وأخوه الأصغر ، المعلم هاشم وأخوه شاهدان ، وها هو أصغرهم المعلم مختار يشهد ، وبعض الناس حوالى مائة قادمون فى منتصف الليل كلهم سيشهدون .

عندما سمع القاضى ذلك فهم كلامى ، فالمعلم طلحة وأخوه معناهما شلنان ونصف والمعلم مختار معناه ثلاثة قروش ، ومائة رجل قادمون فى منتصف الليل معناه مائة شلن ، أى أنه فى منتصف الليل سأحضر له ، مائة وستة شلنات إلا ثلاثة قروش ، إذا حكم لى ـ هذا الزمن لا يصدق فيه إلا الأثرياء ـ وفى الحال حكم لى المرتشى ، فحبس الفلاح ثلاثة أشهر ، بحجة أنه سرقنى ، وفى الليل أحضرت له كل هذه النقود وعدت لما أنا فيه .

وذات يوم ذهبت خارج المدينة للنزهة ، فوجدت عقدا من المرجان ، ولم أعرف أنه عقد ابنة الأمير ، الذى سرق منها ، فأخذته إلى السوق لأبيعه ، وعندما رآنى الناس قبضوا على ، وقادونى إلى دار القاضى ، وقالوا إننى سرقته ، فحكم على بعشرين جلدة ، وحبست ثلاثة أشهر ، وفى السجن التقيت بالفلاح الذى سلبت نقوده ، وجعلت القاضى يحبسه أول أمس ، وعندما التقينا عن قرب قال لى : الله أكبر ما حدث لى حدث لك .

لقد جمعـــوا أقدامنــا معــا وربطوهــا ، ورأيــت ســجينا فنظرت إليه من أســفل إلــى أعلــى فوجدتــه يشــبه المعلــم زرقية بن محمـــد ، الــذى جعلتــهم يرجمونـــه فــى مدينــة سابورى مدينة الجهلاء ، فذكرته بحادثة هــذا اليــوم ، فقــال: ويحك ... إننى كنت أشك فى معرفتــك " ، وقــص كــل منــا للآخر كيف افترق وما حدث لــــه .

بعد ثلاثة أشـــهر أطلــق ســراحنا ، فاســترحنا يوميــن ، وتهيأنا للسفر معا إلى.مدينة رس **Ris**؛ فقــد أصبــح رفيقــى ، وبينما نحن نسير فى الغابــة قابلنــا جمــلا شــاردا ، فتتبعنــا فاتحا فمه ، فجرينا إلى شجرة ، وتســلقناها ، فوقــف الجمــل تحت الشجرة ينتظر نزولنا ليــهجم علينــا ، ولــم نســتطع أن نفعل شيئا منذ الصباح حتى الظهر ، حتــى شــعرنا بــالجوع، وقرب العصر رأيت بعض الفلاتا ذاهبيـــن للعبــة " الشــارو" فلما رأيتهم من بعيـــد ســببتهم ، ولعلــك تعــرف أن الفلاتــا يغضبون بسرعة، فقصدونا جريا من بعيـــد ، ليعرفــوا ســبب ذلك ، فلما رفع الجمل عينه ورآهــم جــرى وراءهــم ، ولــم يعد إلينا ، ففر كل منهم واختفى فــى الغابــة.

نزلنا من فوق الشجرة ، وواصلنـــا الســير حتــى وصلنــا مدينة " رس " ، وأخذ المعلـــم زرقيـــة يتلفــت حولــه حتــى تفرقنا ؛ فواصلـــت الســير حتــى لقيــت مركبــا فركبتــه ، وقصدت مدينة القاما **Alkama** لأبحـــث عمــا تركــت بلــدى

من أجله أى الماء الشـــافى ، ونزلنــا فــى جزيــرة لنرتــاح قليلا، فـــأخذت أتمشـــى حتـــى أبحــرت المركبــة وتركتنـــى وحدى ؛ بعد أن أبحرت المركب أخذت أبحـــث عــن مركــب آخر، حتى أصل إلى شاطئ البحر ، فرأيــت رجــلا جالســا ، فلما اقتربت منه وجــدت أنـــه المعلــم زرقيــة بــن محمــد ، فناديته قائلا : زرقية بن محمـــد.

فرد قائلا : الهمة يا ابن الشـــيخ .

فتصافحنا وقال : والله منذ أن جئت عرفتـــك وقــص كــل منا أخباره على الآخر منذ أن افترقنـــا .

بعد التقائنا واصلنا السير حتى وصلنـــا إلــى مدينــة مــا، فذهبنا إلى قصر الأمير فأمر أن يهيأ لنا منزلا فنزلنـــا فيــه .

وذات يوم انتظرت حتى يخـــرج الأمــير مــن المســجد ، وأخذت أضرب المعلم زرقيـــة ، ولــم يســتطع أن يتخلــص منى ، فقال الأمير : أنت .. ماذا حدث اليـــوم حتـــى تضــرب أخاك ؟ خـــيرا .

فقلت : أين هو الخير طالما أنه يســـبك ؟ أنـــا لا أســتطيع أن أترك أى إنسان ليسب أميرا مثلـــك ، فســر الأمــير مــن كلامى ، وأمـــر أن يطــرد المعلــم زرقيــة مــن المدينــة ، ويرجم بالحجارة ، وهكذا افترقنـــا .

ولما رأيت أن الأمير قد أمر بعقاب أخـــي هكــذا ، بــدأت أحس بالشفقة عليه ، ولكن رأيــت بعــد ذلــك كيــف يحصــد الإنسان ما يزرع ، إن خيرا فخيرا ، وإن شـــرا فشــرا.

الباب الثالث

استقرار الحاج فى طندجو وخبره مع الجثة :

بدأت أبحث عن الماء الشافى ، ولكن لم أجد واحدا سمع خبره ولو مرة واحدة ، فلما رأيت ذلك استأذنت من الأمير، فأعطانى هدية ، وعزمت على الرحيل إلى مدينة أخرى تسمى طندجو .

هناك وجدت فتاة، بنت أحد العلماء ، واسمها "جميلة " ولعلك عرفتنى الآن أتدخل فى كل أمر ، فبدأت أسعى لخطبتها ، وتبادلت معها هدايا الخطبة ، وحتى هذه اللحظة ، لم تكن الفتاة قد حددت من تريده زوجا لها ، فأنفقنا أموالا كثيرة بلا حدود ، وذات يوم ذهبت إلى أبيها وقلت له : يجب أن تختار هذه الفتاة من يصلح زوجا لها، ليرتاح كل إنسان .

عندما قال لها ذلك قالت له : بعد ثلاثة أيام ، اذهب يا أبى ، وقل لكل واحد ممن يريدون الزواج منى : إنه قد أصابنى مغص شديد ليلة أمس قضى على ، لنرى ما سيقوله كل واحد منهم .

قال الأب : لا بــأس .

بعد ثلاثة أيام ، ذهب إلى بيــت أحدهــم وقــال حالــه يــا فلان لقد توفيت جميلة أمس أصابــــها مغــص شــديد أسـلمها للموت .

فلما سمع الرجل ذلك قال : تستحقون ذلك لقـــد قيـل لكــم زوجوها ، فمنعكم حب المال حتى مـــاتت ، ولا يوجـد مــن يذكرهـا .

سمع أبوها ذلـــك فــارتدى حــذاءه ، وخــرج مســرعا ، يمسح دموعا كاذبة ، متصنعا البكـــاء، وقصـــد مـــنزل رجــل آخر ، وقال له ذلك ، فلما سمع ذلك قـــال لـــه الآخـــر : هــذا هو جزاء الطمع ، اذهبوا وادفنوهـــا .

خرج أبوها وقصد منزلي ، عندما ســـمعت هــذا الكــلام ، شككت فيه ، مع علمي أن قدرة الله تفعل أكـــثر مـــن ذلـــك ، وفي الحال انفجرت في البكــــاء الكــاذب ، وعندمـــا وصلــت إلى منزلها ، وجدتها ممـــدة علـــى الســـرير ، فاحتضنتـــها ، وأخذت أهلل بالصلاة ، فلما سمعت ذلـــك ، فتحــت عينيـــها ، وطلبت من أبيها أن يعقد لي عليـــها ، فقـــد وجـــدت الـــزوج المنشود وفي الحال عقد لي عليـــها ، وحـــدد يـــوم الزفـــاف ، وأقيمت الأفراح وانتهى كل شــــيء .

ولما رأى الناس الذين انتصرت عليهم ذلك ، بدأوا يحقدون على حقدا شديدا ، فكانو كلما رأوني أخذوا في ذمي ، ونظرا لأنني كنت غريبا عن المدينة ، كان على أن أسكت ، إلا أن حقدهم اشتد ، فبدأوا يدبرون لي المكائد، ويرسمون الخطط لخطف زوجتي ، فصنعوا لي دواء للعمى ، وقد أسقط في يدى ، وعجزت عن كل شيء حتى العثور على الطعام ، وعندما رأيت الأمر بلغ هذا الحد ، اتجهت إلى حرفة صيد الأسماك ، لأنها حرفتي منذ الطفولة ؛اخترت لي خادما اسمه أرمي ، فكان يسحبني كل يوم بعد أن أصابني العمى ، ويذهب بي إلى شاطئ البحر، وينزلني في القارب ، فألقي بالشبكة في الماء ، وأبدأ في الصيد ، ولعلك تعرف حال من أصابه العمى حديثا ، لا يسلم بالعمى بسهولة ، فكنت كلما ذهبت إلى الصيد مع هذا الغلام ، إذا وصلنا إلى الشاطئ يقول لي : يا حاج وصلنا .

ولكي لا يقال إنني أعمى ، أدعي أنني أرى قليلا ، مع العلم أنني لا أبصر شيئا ، فإذا قال الخادم : وصلنا ، أنهره قائلا : هل تظنني أعمى ؟ أنا كذلك أعلم أننا وصلنا لأنني أرى ، وإذا قال : ادخل أو انزل من المركب قلت: لقد عرفت قبلك ، وتهيأت للنزول .

وقد وهب الله هذا الولد الصبر على ، لذلك لم يغضب من هذا ، وبينما نحن معا على هذا الحال ، جاء شخص إلى وقال إنه يريد أن يخدمنى فقلت له : لا بأس ــ ومن العجيب أنه كان المعلم زرقية ولم أعرف فى حينه ــ وظلا يخدمانى معا ، وأنا لا أعرف صناعة أو حرفة غير صيد الأسماك ، كل شىء يقدمانه إلى لا أشكرهما عليه ، إذا قالا لى : تمهل أمامك حفرة ، أقول لهما : هل أنتما تبصران أكثر منى ؟

ولما تعبا من أحوالى قال زرقية لابد أن يعاقبنى ، وذات يوم طلبت منهما أن يصطحبانى إلى الصيد فى بحيرة اسمها بحيرة قارون ، وعندما وصلنا قالا لى وصلنا ؛فلما سمعت ذلك قلت لهما : " لقد عرفت أننا وصلنا ، أنتما دائما تظنان الناس عميان،إن ما أصابنى هو مرض فقط لا غير. فسكتا .

وعندما توغلنا فى البحيرة ، وانتهينا من الصيد ، اتجها بى نحو الشاطئ ، فلما وصلنا إلى وسط البحيرة ، قال المعلم زرقية : إنزل لقد وصلنا ، فقلت له : اليوم أنتما لا فائدة منكما ، تدعيان أن الناس عميان ، لقد عرفت أننا وصلنا ، ثم تدليت من المركب لأنزل على الأرض ، وبمجرد نزولى وجدت نفسى أغوص فى قاع البحيرة ، وبقدرة الله ، وصلت إلى منزل فى القاع، فوجدت

مخلوقات تشبه الإنسان ، لها رؤوس كبـــيرة ــ علمـــت بعـــد ذلك أنهم سكان البحر من الجن ـــ فرحبـــوا بـــى .

بعد أن استرحت سألونى عن أخبـــارى ، فأخبرتـــهم بكـــل شىء ، فلما ســـمعوا ذلـــك أشـــفقوا علـــى ، وأعطونـــى دواء شفى عينى ، وأمـــر الأمـــير أن يصعـــدوا بـــى إلـــى ظـــهر الأرض ودلونى على الطريـــق .

ودارت الأيام حتى وصلت مدينـــة يقـــال لـــها بـــاكو **Bako** قريبة من البحر ، وفى هذه المدينـــة ، رأيـــت رجـــلا طويـــلا جدا ، لا يوجد من يدانيه فى الطـــول ، ومعـــه ثـــور ســـمين يقول " من يأخذ ثورى ، وبعـــد ســـبعة أيـــام يـــأتى ليلمـــس رأسى ؟ " وأخذ يتجول كثيرا حتـــى تعـــب ، ولـــم يجـــد مـــن يقول له شيئا ، فظل يتجـــول حتـــى وصـــل إلـــى مـــنزلى ، وأنتم تعرفوننى أتدخل فى كـــل شـــىء ، ففكـــرت فـــى أخـــذ الثور إلى البيت وذبحـــه حتـــى آكـــل وأشـــبع ، وليكـــن مـــا يكون، من كتب له أن يعيش حتى العام القـــادم ســـيعيش .

ثم سبقنى وقال إنـــه إذا فشـــلت ســـيذبحنى ويقـــدم دمـــى قربانا لصنمه ، اسم هذا الرجل زندورو بـــن زوتـــور .

ولما أخذت الثور سألته عن ســـبب طولـــه ، الـــذى فـــاق المثال ، فقص على قصته ، وقال "إنهم يســـمونه فـــى بلدهـــم " الجبل " ؛لأن طوله سبعين ذراعـــا فقـــط ، وقـــال إنـــه مـــن قبيلة أواجاين أونقا، أى القبيلة التى عاشـــت فـــى أيـــام ســـيدنا

نوح ، عندما حـــدث الطوفـــان ، وأخبـــار أجـــداده لا تخفـــى على من يعرف قصة الطوفـــان.

عندما سمعت ذلك ، عدت إلى بيتى ، ولم أنـــم مـــن كـــثرة التفكير، وبعد أن مضى خمســـة أيـــام خطـــرت فكـــرة علـــى بالى ، وفى اليـــوم الســـابع جـــاءنى مبكـــرا فـــى الصبـــاح ، فنظرت إليه وقلت "ويحك يا طويل " . وتبعـــه النـــاس لـــيروا كيف سيلتهمنى ، وعندما جاء قال " أخـــــرج حـــان الموعـــد " فقلت له : انتظر قليلا حتى أنتهى مـــن إصـــلاح حـــائط هـــذه الحجرة ، الذى تشقق من المطـــــر " .

فقال : عجبا .. كيف تصلـــح الحـــائط ؟ !!

قلت : هذا أمر سهل فـــــى مدينتنـــا طـــل برأســـك لـــترى " فأدخل رأسه ليرى ، فقمـــــت مســـرعا ، ولمســـت رأســـه ، وقلت " آه لمستها " فرد الناس " نعم .. لمـــــس .. نعـــم لمـــس " فعاد زندورو بيته غضبان ، وهكـــــذا انتـــهت مشـــكلتى مـــع زندورو بن زوتور أكثر بنـــى آدم طـــولا.

مكثت سبعة أيام ، أسأل شـــيوخ المدينـــة وتجارهـــا عـــن الماء الشافى، فلم أجد من يدلنى عليـــــه ، فخرجـــت وقصـــدت الهند ، فلما دخلـــت رأيـــت المعلـــم زرقيـــة فناديتـــه قـــائلا : زرقية بن محمـــد.

فالتفت إلى قائلا " الهمة يا ابن الشيخ " فتبادلنا التحية ، وقصصنا على بعضنا أخبار ما حدث بعد أن افترقنا .

بعد أن مكثنا حوالى ثلاثة أيام ، قام أحد اللصوص بقتل خادم أمير المدينة ، وسحبه حتى شاطئ النهر ليرميه، وفى صباح اليوم نفسه قصد المعلم زرقية النهر ليستحم ، وبمجرد وصوله رأى القتيل ـ وما أدراك ما العبيط ـ لقد فرد البطانية ، ولف فيها الجثة ، وحملها إلى البيت ، الذى نسكن فيه .

استيقظ كل سكان المدينة من النوم ، فلما وصل إلى البيت وجدنى نائما ، فأخذ الجثة وحملها إلى حجرتى التى أنام فيها ، ووضعها فى ركن من أركانها ، كل هذا دون علمى .

بعد أن أذن للصلاة ، استيقظت وخرجت لأتوضأ ، وذهبت إلى المسجد لأصلى خلف الإمام لأنال ثواب الجماعة ، ولما انتهت الصلاة قرأت بعض الأوراد وعدت إلى البيت ، وصعدت إلى السرير لأرتاح قليلا قبل أن تظهر الشمس ، وبينما أنا على هذا الحال ، رأيت المعلم زرقية يخرج فجأة من حجرته ، فلما رأيته نزلت وبادلته التحية ، وجلسنا نتحدث فى شئون الحياة الدنيا .

بعد ذلك بقليل رأيته ينظـر تجـاه الركـن ، حيـث ترقـد الجثة ، وقال : أف ، هذا القمـاش الـذى تحفظـه ألا تخـش عليه من الجـراد ؟ "

فقلت ، أى قمـاش ؟ ليـس عنـدى قمـاش ، ثـم قمـت وذهبت الى الركن ونظرت فإذا بشىء ملفـوف ، لمـا رفعتـه وجدته ثقيلا ، ففتحته فإذا برجل ميـت ملفـوف ، عنـد ذلـك عرفت من فعل هـذا .

لما رآنى المعلم زرقية اقـترب منـى وقـال " مـا الـذى وجدته ، وتخفيه عنى ؟ ثم قام وأمسك الجثـة ، وخـرج بـها إلى وسط البيت .. ثم تراجع إلى الخلف وأخـذ يـهلل قـائلا: عجيبة .. يـا حـاج بـدأت تقتـل خـدم الأمـير ، وتسـلب أموالهم؟ أحسن شىء الآن .. أن أذهـب لأخـبر الأمـير بمـا فعلت ، لا أقبل أن ألام على أمر لـم أفعلـه .

عندما سمعت ذلك قلت اليـوم نفـدت حيلتـى ، ونظـرت إلى المعلم زرقية وقلت له : أنت غبى مـن الـذى لا يعـرف قدرة الله ، أمس أعلن الأمير أن كل مـن يجـد هـذا الخـادم يقتله ، ومن يفعل ذلك سيعطيه مائـة جنيـه .

ولما سمع المعلم زرقية ذلك قـال : لمـاذا يريـد الأمـير قتله ؟

قلت : حينما كان الأمير يتعسس بالليل ، عاد فوجده قد دخل بيته ، فلما علم الأمير بذلك ، أمر أن يقبض عليه، ويقتل ، فهرب الخادم واختفى ، أرأيت كيف جاء الله به إلى هنا؟ لأذهب به وأنال كثيرا من المال دون تعب".

فقال زرقية : أنا الذى قتلته ، وهذه الجثة سأحملها إلى الأمير .

قلت : لا أنت كذاب ، فقال : والله هذه جثته ، ولما رأيت أصراره على ذلك قلت له "احملها إليه ، إذا لم تكن ملكك حسبى الله " .

ظن المعلم زرقية أن الأمر حقيقة ، فلف حواية ، وقصد بيت الأمير فجمعت متاعى وتركت المدينة ، وهكذا افترقنا .

الباب الرابع

الحاج يدعى الجنون :

ذات يوم نزلت فى استراحة التجار فى الطريق ، فسمعت التجار يتحدثون ويقولون إنهم منذ أن خلقهم الله لم يروا أحدا بلغ ما بلغه المعلم زرقية من الغباء ، ولم يعرفوا العلاقة التى تربطنى به .

عندما سمعتهم يقولون ذلك ، قلت لهم : أين رأيتموه ؟ قالوا فى بلدة كذا ، وذكروا اسم المدينة التى خرجت منها؛ فسألتهم مرة أخرى قائلا : لماذا تقولون إنه غبى جدا ؟

فقال كبيرهم : يوم الجمعة الماضى ، ذهبنا لتحية الأمير ، وبينما نحن جالسون ، فإذا به يدخل بشىء فى بطانية ، وقدم جثة كبير خدامه وقال : ها هو من طلبت أن يقتل جئت لك بجثته .

فنظر الأمير إلى الجثة متعجبا وقال .. لماذا قتلته ؟

فقال المعلم زرقية : أنت أعلنت عصر أمس ، وقلت إنك تريد أن تقتله ، لأنه دخل بيتك عندما خرجت تتعسس فى الليل " فلما سمع الوزير كلامه قال : إنه مجنون .

فنظر المعلم زرقية إلى الوزير وقال : أنت المجنون ولست أنا ، فلما سمع الأمير ذلك قال:أين الخدم ؟ .. أضربوه حتى يموت ؛ فأخذوا يرفعونه إلى أعلى ويلقونه على الأرض ، فلما رأى الأمير أنه كاد يموت ، قال : احملوه وألقوه فى الشمس قبل أن يفيق ، وقرب العصر فاق ، فحملوه إلى مستشفى المجانين فقيدوه وصلبوه .

عندما سمعت ذلك أخذتنى الشفقة عليه ، لأنه رفيقى الذى نطوف الدنيا معا ، وسألت: ألم يقل إنه سيقتل ؟

فقالوا : لا .. لقد قال الأمير : إنه لابد مريض ، لذلك لن يقتلوه .

وبينما كنت أتجول فى السوق ، أسأل عن أخبار الماء الشافى ، رأيت فتاة ، فأعجبتنى فنويت أن أتزوجها ، وكان لها زوج لا تحبه مطلقا ، فناديتها ، واتفقنا فطلبت منى أن أزورها فى الليل ، وكانت هذه الليلة ممطرة ، وخلال هذا المطر حضر زوجها ، فأشعلت له النار ، وجلس يدفئ ظهره .

عندما وصلت تسللت إلى الحجرة وأخذت أطل عليه ، فرأيته يحك ظهره .. وكان المعلم زرقية أيضا بالمدينة ، جاء إليها بعد أن أفرجوا عنه ، وتصادف أنه كان يمر فى هذه الليلة ، فلما رآنى أطل برأسى ، تسلل إلى الحجرة ودفعنى من الخلف إلى داخل الحجرة .

عندما رآنى الزوج قال : ماذا جاء بك إلـــى هنـــا ؟ فقلــت له : والله لقد دفعونــــى . وكنــت علـــى وشــك أن أجــرى ، ولكنه أمسكني وأدخلنى فـــى اصطبـل الخيــول ، وحبســنى معها، وفى الصبـــاح قــادونى إلــى دار القــاضى ، فــأخذت أفكر فى الأمر ، وأخيرا قررت أن أدعــى الجنــون .

سأل الأمير عن سبب القبــض علــي فقـص عليـه كـل شيء ، فنظر إلي وقال : ما اسمك يــا شــاب ؟

قلت : شـرقى .

قال : فى أى يوم نحــن ؟

قلت : الجمعــة .

فسألنى مرة أخرى : فى أى شــهر نحــن ؟

قلت : شـوال .

فسمعت رجال الحاشية يقولــون : تذكــر .

فسألنى الأمير مرة أخرى : هـــل تعــرف الله ؟

قلت : ويحك ، من الــذى لا يعــرف الله ؟

قال : أين هــو ؟

فقلت فى نفسى يجب أن أتمهل كيلا يقولــــون إننــى كنــت أدعى الجنون لذلك قمت مبديا حذرى وأشــرت إلــى الســماء،

أقصد أن الله وحـــده فـــى السـماء ، وليـس لــه شـريك ، وأبقيت رأسى مرفوعة إلـــى السـماء مـدة طويلـة فـانفجر الناس فى الضحك ، وقـالوا لابـد أننـى مجنـون ، ولكننـى قاربت على الشــفاء .

فقال الأمير : لا شك أنه ليـس مجنونـا ، ولكنــه عبيــط " ثم أخرجنـى .

ولم يأت يــوم الجمعـة التـالى حتـى جعلونـى رئيسـا للمجانين ، وأصبحت أشغل مركز "الرئيـس المجنـون " وقـد نلت الحظوة ، حتى إنــه أصبـح لا يبـت فـى أمـر أو أى مشكلة بالمدينة حتى يرجع إلى فيـــها .

ونحن على هذا الحال جمعنـا الابـن الأكـبر للأمـير، أى كبير رجال القصر ، وقــال أنــه يدعونـا ، لنـنزح لعائلتـه المرحاض ، لأنه لا يســمح لأحـد بدخـول بيتـه إلا نحـن المقربين إلى أبيه فذهبنا جميعا إلـى البيـت وبدأنـا العمـل ؛ فكان لعاب كل واحد منهم يسيل من الرائحـة الكريهـة ، أمـا أنا فقد كنت أغنى ، وأثناء ذلـك كـان لعـابى يسـيل دون أن يراه أحـد .

وعندما رأى ابن الأمــير لعــاب رجــال القصـر يسـيل هكذا، غضـب وقــال لــهم : إذا كـانت رائحـة الفضـلات كريهة جدا اتركوا العمل ، لمــاذا تشـتغلون ولعـابكم يسـيل

هكذا ؟ لو كان الأمير قد أحضر لكم طعاما ، كنتم هجمتهم عليه بيد فى الفم ويد فى الإناء .

لما غضب ابن الأمير ذهب وأخبر أباه ما فعله رجال القصر ، وقال : إننى فقط الذى لا يسيل لعابه ، وبدلا من ذلك كنت أغنى .

سمع الأمير ذلك فغضب ، وأمر باستدعائهم جميعا. وأخذ يسب أمامهم واحدا واحدا، ونجوت من ذلك بصعوبة، وهذا ما جعلنى أكبر فى نظر الأمير وأبنائه.

لما رأيت أننى انتصرت على أهل المدينة ، قلت فى نفسى إن المثل يقول " الجلوس بعد الأكل مؤامرة "، لذلك قمت فى هذا اليوم وقصدت قصر الأمير ، وقلت له " أريد أن أسافر لأيام قلائل ، ولكنى سأعود بعد ثلاثة أيام"، وتركت له كل ثروتى ليحفظها لديه أمانة حتى أعود، ثم واصلت الرحلة طلبا للماء الشافى ، أى طلبا لما جعلنى أغادر بلادى.

الباب الخامس

التقاؤهما والمعلم زرقية يطرد الذباب عن فضلات الحاج:

واصلت الرحلة حتى وصلـــت إلـــى مدينـــة كبـيرة جـدا تسمى تيجى ، فرحـــب بـــى أمـــير المدينـــة ، واصطحبنـــى الناس إلى منزل فنزلت فيه ، وذات يـــوم كنـــت أجلـــس مـــع رجال القصر ، فسمعت الأمير يقول : لقـــد ضـــايقنى رئيـــس ساسة الخيل أمس ، وحـــرم علـــى النـــوم ؛ فقـــال الوزيـــر : لماذا أطال الله عمـــرك ؟

فأجابه الأمير قـــائلا : أنـــت تعـــرف أن زوجتـــه توفيـــت الشهر الماضى ، ومـــن يـــوم وفاتـــها حتـــى اليـــوم لا ينـــام مطلقا، فإذا انتصف الليل قام وأخـــذ ينشـــد بعـــض الأشـــعار كالمجنون ويقول : ليـــت المـــوت أخذنـــى وتـــرك زوجتـــى لأرتـــاح .

عندما سمعت ذلك قلت للأمير : أطـــال الله حيـــاتك ، هـــل تريد أن أعالجه ؟ قال الأمير : نعـــم أطـــال الله حيـــاتك لقـــد حاولت ذلك كثـــيرا .

فلما أقبل الليل وانصرف كل رجال الحاشية ، تسللت وتوجهت إلى دار رئيس الساسة ودخلت حجرته واختفيت تحت السرير وبعد قليل دخل بيته ، ثم توجه إلى حجرة النوم، وهو ينشد الشعر ، ويتنهد كلما تذكر زوجته حتى استولت ذكراها على روحه تماما ، وعندما سمعته قادما ، جلست ساكنا بلا حركة فدخل وصعد السرير ونام ، ولكنه لم يستطع النوم من شدة الشوق إليها ، وعند منتصف الليل سمعته يردد الأشعار التى قصها على الأمير نهارا.

سمعته يقول : ليت الموت أخذه وترك زوجته ، فظهرت فجأة له ورددت عليه بصوت مختنق قائلا : من أجل أمنيتك هذه بعثت لأقبض روحك لتلحق بها ، ثم جريت وراءه .

فلما سمع ذلك ــ وما أدراك بالجاهل ــ أخذ يجرى خارج الحجرة ظنا أن الموت بعث إليه ليقبض روحه ، ولم ير النوم فى هذا اليوم ، ولما طلع الصباح ذهب إلى الأمير وقص عليه كل ما حدث ، قائلا : لقد طاردنى الموت أمس من حجرتى ، ولم أنم مطلقا فيها ، ولولا أننى جريت خارجها لقبضت روحى .

عندما سمع الأمير ذلك انفجر فى الضحك ، ومنذ ذلك اليوم لم يذكر رئيس الساسة هذه المرأة مرة أخرى ، ولا أظهر الشوق إليها .

لأننى سببت لـــه هـــذا الخجـــل بـــدأ يكرهنـــى ، ويتصيـــد أخطائى لدى الأمير فلم تعد بيننا علاقة طيبـــة ، بذلـــك فقـــدت الحظوة فى المدينـــة ، ورأيـــت أن الأمـــير بـــدأ يحتقرنـــى ، فتظاهرت أننى سأترك المدينـــة احترامـــا لنفســـى ، ولكننـــى تذكرت أنهم يقولون إن الإنسان يجـــب أن يثـــأر لمـــا يحـــدث له من إساءة ، لذلك قلت فى نفسى : لـــن أرحـــل حتـــى أرى نهاية رئيس الساســـة .

ذات يوم دخل أحد اللصوص منزل الرجـــل الـــذى أنـــزل فى بيته ليسرقه ، فوجده مستيقظا، وكـــان رب البيـــت موفقـــا، فأوقع اللص على الأرض حتى أنشقت رأســـه ، فســـقط ميتـــا ولم يتحـــرك .

ضايق هذا رب البيت فجـــاء وأيقظنـــى وقـــال لـــى : مـــا العمل يا حاج ؟ لقد قتلت رجلا ، فسكت قليـــلا ثـــم قلـــت : لا يهمك إذا استطعت الســـكوت .

لـــم أنتظر وطلبت منه أن يحمـــل هـــذه الجثـــة وذهبنـــا بها خارج المدينة ، ألقيناها هناك وأخذنـــا يـــد فـــأس وبلطـــة وتوجهنا إلى بيـــت رئيـــس الساســـة ، فوجدنـــاه ممـــددا فـــى الفراش يغط فى نوم عميق ، فبحثت عـــن وجنتـــه وضربتـــه بالعصا الغليظة عليها ، وخرجنـــا مســـرعين ثـــم عدنـــا إلـــى البيت ونمنا ، وصاحب البيت ينتظر مـــا ســـأفعل .

استيقظت من منتصف الليل ، وخرجت أتجول في المدينة ، وأعظ الناس حتى الصباح وقد أحس كل واحد في المدينة أنني قضيت الليلة أحدث الناس .

وفي الصباح الباكر خرج النسوة إلى النهر فرأين الجثة على باب المدينة ولم يعرفن من القاتل ، فذهبن وأخبرن الأمير ، فقال أحد أفراد الحاشية أمس أحسست أن هذا الضيف الذى ينزل في دار المعلم محمود شقيق يونس الكبير لم ينم ، وقضى الليل يعظ الناس ، لعل الله أسمعه أية حركة في الليل ، حينما كان يتجول في المدينة.

وفي الحال أمر الأمير باستدعائي فحضرت ، وسألوني فقلت : نعم سمعت شخصاً من أفراد الحاشية ، وشخصاً آخر خارج المدينة ، سمعت أحدهما يقول للآخر " طالما أنك لطمتني ، لابد أن أقتلك " ، هذا كل ما سمعته أطال الله عمرك .

عندما سمع الأمير ذلك بعث يطلب رئيس الساسة ليذهب ويعلن في السوق ، كل من يرى رجلاً تورمت إحدى وجنتيه يأتي ويدل الأمير عليه ، وفي الحال ذهب رجال الشرطة إلى رئيس الساسة وجاءوا به ، وهو لا يعرف شيئاً مما حدث ، وكلما هم بالكلام أسكته الأمير، وأمر بحبسه سنة لعدم وجود الشهود .

ولما أحسست أننى أفسدت فى هذه المدينة كثيرا ، خرجت قاصدا قرية أخرى لأنزل فيها ، وواصلت البحث عن الماء الشافى فلم أجد إليه سبيلا، وبينما كنت أسير فى الغابة رأيت قرويا يتشاجر مع رجل آخر ، فضربه بعصا غليظة فأوقعه ميتا فلما رأيت أنه سيهرب قلت : قف ؛ إلى أين ستذهب ؟ لابد من الذهاب بك إلى العمدة .

فلما علم أننى سأذيع سره ركع وأخذ يطلب منى المغفرة ، وأن أتستر عليه ، وأخفى سره ، ولما أحسست أنه خاف قلت له : كم ستعطينى لأكتم سرك ؟ قال : سأعطيك عشر بقرات .

فنظرت إليه وأظهرت عدم الرضى وقلت : روحى أبيعها لك بعشر بقرات ؟ لا أوافق .

رويدا رويدا ، وافق أن يعطينى عشرين بقرة ، فرضيت بذلك ، وذهبنا إلى حظيرة والده ، وفصل عشرين بقرة وأعطاها لى ، فسقتها إلى المدينة ، وادعيت أننى اشتريتها ولففت الجثة ، وذهبت بها إلى المدينة ، وحفظتها فى البيت .

وبعد منتصف الليل ، خرجت قاصدا منزل المعلم زرقية ، الذى لم يعلم بنزولى إلى المدينة ، ولكننى عرفت أنه بها ، وسألت عن صناعته التى يزاولها ، فقيل إنها السرقة فقلت : الحمد لله .

وبينما أنا أتجسس عليه ، سمعته يقول لزوجته : أنا خارج أبحث عن عمل .

فقالت له : الله يوفقك .

وبمجرد أن خرج من منزله عدت إلى بيتي ، وحملت الجثة بعد أن لففتها ، وكأنها سلعة بالضبط ، وذهبت بها إلى بيت هذا اللص ؛ فلما وصلت قلت لزوجة المعلم زرقية : تعالى خذى، لقد جئت وسأعود بسرعة ، لأن بعض التجار ينزلون فى الإستراحة .

قامت وجسمها يرتعد ، وأخذت ما معى ، وقالت : اذهب بسرعة ، واجمع كل ما معهم وإذا كان هناك حصيرة أو ملابس لف كل شىء فيهما .

وخرجت وبحثت عن مكان لأختبئ فيه ، لأضحك عليها ، وعندما اقترب الصباح عاد رب البيت . تف تف تف ، ولما دخل الحجرة قال لزوجته : اليوم حفظنى الله ، لقد أطلق بعض الشوام على النار من البندقية ، فلم أسرق شيئا .

فلما سمعت الزوجة ذلك قالت : ما أحضرته اليوم يكفى ، ونظر إلى اللفة الضخمة وقال : نعم .. لابد أنه يكفى .. هاتى لنرى ما فيها .

لعلك تعرف ما يحــــدث عــادة بيــن الــزوج وزوجتــه ، جلس وأخذ يقص عليها الأكـــاذيب ، ويمــدح نفســه قــائلا : لقد خطفتها من بين عشرة رجال كبار ، فلمـــا ســمعت ذلــك قلت فى نفسى: إنه يشعر بـــالغرور .

وفضا اللفة فإذا بهما يجــدان جثــة رجــل ميــت ، ولمــا أمعنا النظر وجدا أنها جثة طفل اسمه "طنجيـــوا " ابــن أحــد المحاربين فى الحى الذى يســكنان فيــه اسـمه " جيــوا " ؛ فقال المعلم زرقية : والله ... أقســـم بـأبى لــم أحضــر لــك هذا.

فقالت : من ؟ إن لم يكن أنت ، لقــد قلــت إنــك خطفتــها من بين عشرة رجال وفى الحـــال نشــبت معركــة بينــهما ، وتبادلا الضرب بالأيــادى ، المعلــم زرقيــة يقــول لزوجتــه إنها كذابة، وهى تقول له إنه كــذاب ، ولمــا طلــع النــهار ، علم الأمير بالقصة ، فأمر فى الحـــال باســتدعائهما .

وفى الليــل علمــت أن المعلــم زرقيــة ، هــرب وكأنــه استخدم طاقية الإخفاء ، ولكنـــى مكثــت فـــى المدينــة مــدة طويلة بعد ذلــك .

وذات يوم تركت المدينة ، وقصـــدت مدينـــة منتــا حيــث المعلم زرقية ، وصادف هذا اليوم ، يـــوم ســوق المدينــة ، لذلك توجهت إلى السوق بمجـــرد وصولــى ، وذهبــت إلــى

حيث يبيع النساء الثريد ، فوطئت إحدى النســـاء كــم ردائــى وقبل أن أتكلم سبتنى المرأة قائلة " عـــامل .. ذليــل " .

ولما نظرت إليها ، رأيـــت أنـــها لــم تبلــغ ســن أختــى الصغيرة ، فقلت لها : لـــن أرد إلا علــى زوجــك، فنظــرت إلى بغضب وقالت : كذاب ، المعلم زرقيـــة أقــوى منــك ، لا تستطيع أن تساوى رأسك برأســـه .

لما ســمعت ذلــك علمــت أن المعلــم زرقيـــة فــى هــذه المدينة، ومن كلام هذه المرأة عرفــت أنــها زوجتــه ، لذلــك قلت لها : إن لم يكن ذلك كذبا .. فليلقنى زوجــك فــى الغابــة ظهر غــد .

قالت : وهو كذلــك ، ســأقول لــه ، المعلــم الــذى يبيــع المعارك أين تظن أنك تلقاه .. فــى البيــت ؟ !! .

وجاء الظهر فجاءت هــذه المــرأة المشاكســة إلــى بيتــى تسب وتلعن قائلة : هيا .. قم .. نذهب إلـــى الغابـــة .

فقلت : هيا نذهب ، اســـبقينى .

وقد أخذت تحرض زوجها بشــتى الأســاليب والأكــاذيب ، حتى قام وأخذ عصا غليظة ، وقصــد الغابــة معــها ، وظــلا ينتظران حضورى ، وليكن مـــا يكــون ، وعندمـــا رأيتـــهما يمران ، أخذت مـــادة صباغــة ، وصبغـــت بـــها وجــهى ، وأخذت يد فأس ، وحملتها على كتفـــى ، وبــدلا مــن الســير

فى الطريق العام ، الذى يتوقعن أن أسـلكه ، خرجـت لـهما من خلف الغابة ألعنهم ، وأسبهم أثنـاء سـيرى .

عندما رأيانى قالت الزوجة : هـا هـو المجنـون ، قـادم هناك ، فسمعت الزوج يقول : أين هـو ؟ ، فـالتفت ، وهـو يغمض عينيـه .

فلما أحسست أنه خاف ، قربت منه وأنـا أسـب وألعـن ، ووطئت قـدم زوجتـه ، فنظـرت إليـه ، فلفـت رأسـه ، فنظرت إلى فلطمتها ثلاث لطمات علـى وجهـها ، فلـم يقـل زوجها شيئا ، ثم قلـت لـها اخلعـا ملابسـكما ، لأرى مـا معكما ، فخلعوها وجسمهما يرتجـف خوفـا .

ونحن على هـذا الحـال ، غلبنـى الضحـك ، وهممـت بالعودة وتركهما ، ولكنى فكرت فى أمـر مضحـك ، طلبـت من المعلم زرقية أن يفعله لى ، فالتفت وتوجـهت إلـى حافـة الطريق وقضيت حاجتى ، وناديت المعلـم زرقيـة وزوجتـه وقلت : خذى إناء وطبلـى لزوجـك ، وأنـت اجلـس هنـا ، واطرد الذبـاب عـن فضلاتـى ، إذا تركـت الذبـاب يـأكل الفضلات سـأقتلك .

فقال : نعم ، أطال الله عمـرك ، سـأفعل .

وقـام وجسـمه يرتجـف ، وأخـذ يطـرد الذبـاب عـن فضلاتى ، وأخذت زوجته إناء وظلت تطبـل علـى رأسـه ،

وتغنى ، ولمـــا رأيـت أنـه أطـاع أمـرى ، وأن الضحك سيغلبنى اخترقت الغابة، وذهبت لشأنى ، ولـم أعـرف كيف انتهى بهما الأمـر .

عدت إلى البيت ، وأخـذت أضحك حتـى آلـم الضحك بطنى ، ثم جمعت متاعى ظهر ذلـك اليـوم خشـية أن ألقاه فى المدينة ، وواصلت رحلتى أبحث عن المـاء الشـافى.

الباب السادس

اللصوص يضايقون الحاج :

واصلت الرحلة حتى وصلت مدينة اسمها ميسكا فنزلت في منزل أحد العلماء يسمى دولا ، كان الناس يفخرون به لكثرة عبادته ، قائلين إنه يصلى الليالى الطوال ، رحب بى هذا العالم ، وتصادقت مع خادم له يسمى " كاطو " لا يفرق بيننا إلا الليل فقط ، وذات يوم قضيت الليل مع كاطو فى الحديث والسمر ، ثم ذهبت بعد ذلك إلى حجرتى لأنام ، فلم أكد أتهيأ للنوم ، حتى سمعت وقع أقدام تف تف قرب الباب فانتحيت ناحية من الحجرة ، فرأيت رجلا ضخما يدخل الحجرة ، فقمت من النوم ، وجلست معتقدا أنه سيهرب إذا رآنى استيقظت ، ولكنى رأيت أنه لم يهرب ، فقلت فى نفسى ، وجدت من يشبهنى .

عندما اقترب منى قمت ، وقلت : مرحبا ، مرحبا خذ هذه الحصيرة واجلس ، هل سترفض أن تقول لى ما حدث منذ التقينا فى السوق ؟ وأخذت أحدثه كثيرا كأننى أعرفه .

فلما سمع ذلك ، جلس وأخذ يفكـــر ، أيــن قــابلنى وتلفــت حوله وقال : أيــن عرفتنــى ؟ قلــت : أعرفــك منــذ زمــن طويل ، إلى جـــانب ذلــك أعــرف كــل أقــاربك ، وكلـــهم يعرفوننــى ، والتقيــت كثــيرا جــدا مــع أخوتــك ،وكـــانوا يسألوننى عن أخبارك فقلت لهم لا أعـــرف ، حتــى شـــاء الله أن نلتقى اليــوم .

فنظر إلى مرة أخرى من أســـفل إلــى أعلــى وقــال : إذا كنت تعرفنى فمـــا اســمى ؟ فرفعــت رأســى إلـــى أعلـــى ، وصرخـــت صرخـــة شـديدة ، وقلــت : أســمك حرامـــى ، حرامى ، حرامـــى .

عندمـــا ســمع صراخـــى ، هــرب ، فتجمـــع النــــاس ، وطاردوه، ولكنه نجا ، كل هذا وأنا نائم فـــوق فراشـــى ، لـــم أتحرك ، وعندما طلع الصباح أخذ كـــل النـــاس فـــى المدينـــة يتندرون بما فعلـــت.

أحسســت أن اللصــوص بــدأوا يضـــايقوننى ، فـــتركت الحى، وذهبت إلى بيت رئيس المتســـولين بالذئـــاب ، ونزلـــت عنده ، وكان لنزولى على هـــذا الرجـــل ســـبب قـــوى ، لمـــا سمعته يأمر بإعطائى حجرة لأضع فيها متـــاعى ، قلـــت لـــه: لا .. لا .. إننى أفضل أن أظل هنـــا ، أنـــام معـــك ، طالمـــا أن ذئابك مكممـــة .

فقال : أنا أنام هنــــا معـــها ، لمـــاذا تريــد أن تنــام مــع الذئــلب؟ !!

فقلت : منذ أن كنت فى بلدنا ، وأنا أشــتاق للنــوم معــها ، وحتى فى بيت رئيـــس المتســولين ، الــذى كنــت أخدمـــه ، وهذا هو سبب نزولى عليك ؛ فقال : الحمـــد لله لقــد وجــدت البيت الذى تريـــده .

رأى اللصـــوص الذيــن يطـــاردوننى ، أننـــى غـــــيرت مسكنى، فلما وصلوا إلـــى مســكنى الجديــد،وجــدوا ذئــاب المتسول نائمة ، ولم يروها ، فقال أحدهمــــا للآخــر ، ادخــل أنت ، وأعطنى ما تجد من متاع وســـأقوم بربطـــه .

ولما دخل اللص الحجرة أيقظت حركتـــه الذئــاب النائمـــة، فهبت قائمة مذعورة ، وانضمـــت لبعضـــها ، وأخــذت تـــهز آذانها ، وسدت على اللص مكان الدخــول ، وبــدأت تعــوى ، لأنها رأت رجلا أجنبيا فى الحجـــرة .

عندما أحس اللص بذلك ، أخذ يصيـــح وينـــادينى قـــائلا : أنت ، أنت ، قم ، أمسك حرامـــى ، فلمـــا اســتيقظت ورأيتـــه وعرفت ما حدث ، قلت : لا ، لن أمســـك أحــدا ، لأنـــه لـــم يسرق منى شيئا ، اذهب لحـــالك .

ونحن علـــى هــذا الحــال ، اســتيقظ صــاحب البيــت ، فسألنى ماذا حدث ؟ فقلت له كل شىء ، ثـــم قمــت ضربــت

اللص ضربـــة بعصـــا غليظـــة ، فـــأخذ يئـــن أنينـــا شـــديدا فأمسكته وقيدته وسجنته ، وطحنت شـــطة ، ومســـحت عينيـــه بمسحوقها ، فأخذ يبكى ويصرخ حتـــى الصبـــاح.

وعندما طلع النهار ، نظرت إليه من أعلـــى إلـــى أســـفل ، ففوجئت أنه المعلم زرقية بن محمـــد ؛ فـــالتفت إلـــى وعينـــاه محمرتان من الشـــطة ، وقـــال : الهمـــة يـــا ابـــن الشـــيخ ، وقضينا اليوم معـــا ، ونحـــن نضحـــك كلمـــا تذكرنـــا ذلـــك الحادث، وقصصـــت عليـــه قصـــة المـــرأة ، التـــى جعلتنـــا نتشاجر فى السوق ، وسألته عنـــها ، فـــأخبرنى أنـــه طلقـــها منذ زمن طويل ، وقال إنه لم يكف عن طـــرد الذبـــاب عـــن فضلاتى إلا المغرب ، عندمـــا مـــر عليـــه بعـــض التجـــار ، فسار فى حمايتهم ، وكان كلما هم بالقيام ، ظـــن أننـــى هنـــاك أراقبه ، لذلك لم يقم من مكانه حتى مر بـــه التجـــار.

وقال إنه لـــم يـــر فـــى حياتـــه امـــرأة تجلـــب المصـــائب لزوجها كامرأته هذه ، فقـــد ســـببت لـــه ذات يـــوم مشـــاجرة كبيرة مع رجل ضخم ، إذ لطمـــها علـــى وجهـــها ، فجـــرت وقالت له ، وفى الحال قام وتوجه إلـــى مكـــان هـــذا الرجـــل الضخم ، فلما وصل نظر إليه ، فـــأحس أنـــه لا يوجـــد مـــن يدانيه ضخامـــة

فقال له : أنت لطمت زوجتى ؟ !فـــرد الرجـــل بغضـــب : نعم ، أنا ، لعلك جئت لتثـــأر لـــها ، فلمـــا ســـمع ذلـــك قـــال

للرجل ، الطمها مرة ثانية لأرى كيف حـــدث ذلـك ، فنظـر إليها الرجل ولطمها لطمة شـــديدة .

فلما رأى عينيها تدمعان ، وتورمتـا مـن شـدة اللطمـة ، قال مرة أخرى للرجل " نعـم حقيقـة أنـت الـذى لطمتـها ، اضربها مرة أخرى لأرى ، فنظر الرجـل للمـرأة ، ولطمـها مرة أخرى حتى سقطت على الأرض ، وفمها يـنزف دمـا.

فلما رأى المعلم زرقيـة ذلـك قـال لامرأتـه : قومـى ، لننصرف ، الله ينتقم لنـا منـه ، وبينمـا همـا عـائدان فـى طريقهما ، ظلت المرأة تبكى فقال لها : كفـى عـن البكـاء ، عندما كنت ترينني ، وكأنني لا أفعل شيئا ، كنـت ألـوح لـه بيدى وهى داخل كم ردائـى .

أخذت المرأة تطوف فى المدينة ، تقـص علـى كـل مـن يقابلها قصة زوجها ، وحتـى الآن إذا زرت المدينـة ، تجـد الأطفال يقصون قصته ، لذلك طلقها ، وقال إنـه فعـل خـيرا بانفصاله عنها، لأنـه كـاد أن يقتـل بسـبب الجرائـم التـى ترتكبـها .

كما قص لى قصة مضحكة ، فقد دخـل أحـد اللصـوص ذات يوم منزله ليلا ، كان يظنـه نائمـا ، وبمجـرد دخولـه قصد السرير الذى ينام عليه ، ليسـرق القميـص الـذى ينـام فيه ، وظل يحاول السرقة حتى طلوع القمـر ، فكلمـا وضـع اللص يده على جسم المعلـم زرقيـة ، فتـح عينيـه ، فلمـا

أحس اللص أنه استيقظ قال لـــه : جئـت لأدعـوك ، لنعمـل غدا في مزرعة رئيس المزارعيـــن ، فمنعـه الضحـك مـن اتباع اللص ، لقد عانينا كثيرا فـــى الحيـاة .

لعلك تعرف أن ما يؤخذ ظلما لا بركة فيـــه ، فقـد نفـدت أموالنا تماما ، فتركنا هذه المدينـــة ، واتبعنـا الطريـق حتــى وصلنا إلى مدينـــة نصــراوا ، حيـث افـترقت عــن المعلـم زرقية ، حين قال إنـــه سـيواصل الرحلــة حتــى يشـاء الله ويجمعنا أحياء ؛ فقصـــدت قصــر الأمــير ونزلــت عنـده ، واتخذت لـــى مسـجدا ، أجلـس فيـه لا أعمـل شـيئا ، إلا التظاهر بذكر الله على حبات المســبحة ، فـأخذ كـل سـكان المدينة يقدمون إلـــى الطعــام والصدقــات أنواعـا مختلفــة ، ولكنى رفضت أن ألمس شيئا منها ، بينمــا احتفظـت بجـوال كبير فيه كمية من الطعام والخبز ، كنـــت آكــل منـــه ، ممـا ساعدنى على الإمتناع عما يقدمونه إلى مـــن طعــام ، لأننــى كنت أريد أن يعتقدوا أننى من أوليـــاء الله فيعظموننــى .

وبعد أيام قلائل ، بدأ كل إنسان فى المدينـــة يعتقـد ذلــك، وجاء كل منهم بطعامه ، يطلب منى أن أنال منـــه ولــو لقمــة واحدة ، لينال البركة من يـــدى .

وهكذا عشــت فــى هــذه المدينــة ، معــززا مكرمــا ،إذا أرادوا أن يقيموا شـــعيرة مــن شــعائر الديــن - كـالصلاة مثلا- طلبوا منى أن أكون إمامـــا لـــهم ، ولعلــك تعرفنــى ،

مهما بلغ الجهلاء من الجهل ، فأنـــا أجــهل منــهم جميعــا ، كانوا يحاولون كثيرا ، ولكنى كنت أرفض فـــى كـل مــرة ، حتى العالم ، كان يظننى عالما ، ويخشـــى أن أصلـــى خلفــه، فيخطئ مع وجود صاحب الكرمـــات ـــ يقصدنـــى.

ومرت الأيام ، وذات يــوم ، توفيــت ابنــة أمــير إحــدى القرى الصغيرة ، فطلبوا منــا أن نســتعد ، لنذهــب لنشــيع الجنازة ، فقلت : نعم ، أين طريق المدينـــة ؟ فدلونـــى عليــه وقالوا : عند الظـــهر ســتجهز ، لذلــك يجــب أن يعــد لـــى حصانا لنذهب بسرعة لأن المدينة بعيدة قليـــلا ، فطلبــت مـــن الأمير والعلماء الذين معه أن يذهبـــوا ، أمـــا أنـــا فســأصلى الظهر هنا فى البيت ، ثم ألتقى بـــهم هنـــاك ، فـــأمر الأمــير أن يتركوا لى حصانا جيـــدا ، فقلــت : لــن أركــب شــيئا ، فقالت الجماعة : صاحب كرامـــة .

ولما اقترب الظهر ، خرجوا جميعـــا ، فتســللت وخرجــت من المدينة ، واتبعت الطريـــق ، واخـــترقت المدينـــة ، وأنـــا أجرى جريا سريعا ، حتى تصبب وجـــهى عرقـــا ، وكـــادت روحى أن تزهق ، حتى رأيتهم بالقرب مـــن المدينـــة.

وبينما كنت أسير فى الغابـــة ، ســمعتهم يقولــون : حتـــى الآن لم يخرج من المدينة ، فرد الوزيـــر : هــؤلاء يطــيرون كـالطيور.

ثم تجاوزتهم وأخـــذت أجـــرى بســـرعة ، حتـــى وجـــدت بحيرة ، فخلعت ملابســـى واغتســـلت، حتـــى ردت روحـــى ، و لما وصلت إلى المدينة ، ســـألت عـــن المـــنزل ، فدلونـــى عليه فدخلت المسجد، وجلست علـــى بابـــه ، وأخـــذت أســـبح بالمسبحة ، وبعد برهة وصلوا ، فلمـــا أحسســـت بوصولـــهم ، خرجت من المسجد ، والمسبحة فى يـــدى وقلـــت : الحمـــد لله على سلامتك ، فلم يستطع الوزير أو رجاله الـــرد مـــن فـــرط الدهشة ، وركع كل واحـــد منـــهم أمـــامى ، وســـجدوا لـــى ؛ فقلت " قم سبحان الله ، لا يســـجد إلا لله فقـــط" .

ولما انتـــهينا ممـــا نحـــن فيـــه ، مضـــوا أمـــامى ، وأنـــا خلفهم؛ فلففت من داخـــل الغابـــة ، وأســـرعت إلـــى البيـــت ، وهكذا كانت المدة التى قضيتها فى مدينـــــة " نصـــراوى " .

الفصل السابع

الحاج وزرقية يتوبان ، الحاج يقتل أخاه :

عندما هدأت أعصاب الأمير ، سألته أن يجمع شيوخ المدينة كلهم ، رجالا ونساء لأسألهم ، لعل الله جعل أحدهم يسمع مرة أخبار الماء الشافى ، فقال الأمير : لا بأس ، وفى الحال جمعهم ، وسألتهم ، فسكتوا أولا ، ثم قال رجل عجوز صغير الجسم ، جاءوا به محمولا فى سلة ، لقد سمعت مرة عنه ، عندما كنت صغيرا ، كان جدى يقول إنه فى بلدة يقال لها "رامى " أو " راما " لقد نسيت اسم البلدة ــ يوجد بئر فوق صخرة ... ماذا يسمى؟ ماذا يسمى ؟ لا أذكر اسمه بالضبط ، يوجد الماء الشافى فى هذا البئر ، ولكن إذا أردت يا مولاى الآن أن تعرف خبرها تماما ، واسم المدينة والأرض ، يجب الذهاب إلى بيت المقدس ، حيث يوجد أخى الأكبر الذى سمع أخبارها معى ، فربما يذكر اسمها لأنه أكبر منى سنا.

غادرت هذه المدينة ولم أتوقف إلا فى قرية اسمها سرى ، لا عادة لسكانها إلا صيد الببغاوات وتعليمها

الكلام ، ثم يطوفون بها فى البلاد لبيعـــها ، فاشـــتريت واحـــدا منها ، ولم أعلمه سوى جملة واحدة ، فـــإذا ســؤل أى شـــىء أجاب عنه بها وهى " ويحك يا ســـيدى ، تــرى مثلـــى ، ثـم تقول لا أساوى مائة جنيـــه ؟ ولمـــا اختبرتـــه بعـــدة أســئلة ، وجدته يجيبنى هكذا ، فأخذته ذات يوم إلــــى ســـوق المدينـــة ، وأخذت أتجول به ، وهو فى القفـــــص .

ومرت الأيام ، حتى وصلـــت إلـــى قريـــة تســـمى يلـــوى فنزلت بها ، وكان هذا اليوم يـــوم وقفـــة الســـحرة ، وبينمـــا كنت نائما بـــالليل ، جـــاء بعـــض اللصـــوص وســـرقونى ، فأخذت أهلل أقول " سارق يســـرق ســـارقا " .

ولما أقبل الليل اشتريت ســـكينة حـــادة ، وأخـــذت أتجـــول فى المدينة للسرقة ، فدخلـــت ممـــر بيـــت كبـــير ، فوجـــدت مجموعة من الشـــباب أشـــعلوا مصباحـــا ، وجلســـوا يعـــدون أموالهم ليلة العيد، وأغلقـــوا عليـــهم بـــاب البيـــت ، فقرعـــت الباب ، فقال واحد منهم "من هنـــــاك ؟ "

فقلت : لـــص .

قالوا : لـــص !

قلت : نعـــم .

قالوا : لماذا جئـــت ؟

قلت : جئت لأســـرقكم .

فقال واحد منهم : لا بأس .. ادخـــل واســرق .

فقلت : افتحوا الباب ، لـــتروا سأســرق أم لا ؟

فقام كبـــيرهم غضبـــان ، وفتـــح بـــاب الممـــر ، فدخلـــت وأطفأت المصابيح ، وقصدت الحـــائط، وطعنتـــها بالســـكين ، ثم عدت إلى جـــانب الممـــر ، وأوقعـــت نفســـى ، وقلـــت : الحقونى لقد قتلنى ، فلما سمعوا ذلـــك ظنـــوا أحـــد أخوتـــهم ، ففروا جميعا إلى داخـــل البيـــت ، فقمـــت وجمعـــت متاعـــهم كله ، وتركت المدينة ، وذهبت إلـــى قريـــة أخـــرى وبعتـــه ، وحصلت على مصـــاريف العيـــد ، ولمـــا انقضـــى العيـــد ، خرجت لأتجول لعـــل الله يرزقنـــى بـــأحد أعرفـــه ، وأثنـــاء تجولى سمعت صوتا ينادينى ، وكأنـــه مـــن الســـماء يقـــول " الهمة يا ابن الشيخ " فنظرت ، فإذا بـــــه المعلـــم زرقيـــة بـــن محمد، فتصافحنا ، وأخذنـــى إلـــى منزلـــه ، وقضينـــا الليـــل نتحدث معا ، هذا اللقاء جعل الأمـــور تخيفنـــا ، فكـــل مـــرة نفترق ثم نلتقى مرة أخرى ، فالتقينـــا كثـــيرا .

ولما اصطحبنى المعلم زرقية ، قـــال لـــى أثنـــاء الطريـــق " يجـــب أن نغفـــر الآن الذنـــوب التـــى ارتكبناهـــا ، فغفرنـــا لبعضنا ، ومع ذلك لم أطمئن إليـــه ، لأنـــى أعـــرف أحـــوال الناس ، لذلك استعرت مصحفـــا فـــى الصبـــاح ، واغتســـلنا ، وأقسم كل منا ألا يضـــر أخـــاه مـــدى حياتـــه ، ولمـــا طلـــع النهار، قلت له : سأرحل إلـــى بلـــدة القـــدس ، وأنـــا مفلـــس

اليوم ، فقال .. لا بأس لنذهب .. مـــاذا أملـــك هنـــا ؟ فذهبنـــا إلى بلدة كبـــيرة ، وحملـــت الببغـــاء إلـــى الســـوق ، فكـــانوا يقولون لى : ما هـــذا الطـــير الـــذى لا تفارقـــه ، فكنـــت أرد عليهم بأنه عينـــاى .

ورآنى رجل أوربى فقال : هذا الببغـــاء للبيـــع ؟

فقلت : نعـــم .

قال : بكم تبيعه لـــى ؟

قلت : مائة جنيـــه .

فسمعت الأوربى يتكلم كلاما لم أفهمـــه ، ولـــم أفـــهم مـــاذا يعنى ، ولا يعنينى ذلك ، ثم ســـمعته يقـــول بالإنجليزيـــة مـــا معناه " اذهب بعيد عنـــى يـــا غبـــى " فقلـــت : لا تســـبنى ، أتظن أننـــى لا أعـــرف الإنجليزيـــة ، إذا كنـــت تشـــك فيمـــا أقول، اسال هذا الطير ، واسمع ماذا يقـــول لـــك " .

فرأيته ينظر إلى الببغاء ويقـــول " هـــل هـــذا حقيقـــة يـــا ببغاء ؟ فأجاب " ويحك يا سيدى ، ترى مثلـــى ثـــم تقـــول لا أساوى مائة جنيه ؟ فانفجر المعلـــم زرقيـــة والأوربـــى فـــى الضحك ، وأحضر مائة جنيـــه كاملـــة ، وأعطانيـــها ، ولـــم نقض الليل فى هذه المدينة ، ولكننا سرنا بـــالليل حتـــى بيـــت المقـــدس .

وفى هذه المدينة المباركة ، قـال المعلـم زرقيـة ، لنتـب عن الذنوب التى تعودنا على فعلـها فوافقـت علـى كلامـه ، وجمعنا العلمـاء ، وأخـذوا يدعـون لنـا ، لكـى لا يلعـب الشيطان بقلوبنا مرة أخـرى .

بعد أن استرحت شهرا ، طلبـت مـن الأمـير أن يجمـع لى كبار رجال المدينـة لأسـألهم ، لعـل أحدهـم ، يعـرف مكان الماء الشافى ، فقال الأمير : لا بـأس ، وجمـع كثـيرا من الناس ، أمام باب قصـره ، وسـألهم ، فسـكتوا جميعـا ، فى بداية الأمر ، ثم تقدم رجل عجـوز وقـال : إنـه يعـرف مكانـه ، فسألته عن بلده ، فقـال إنـه ولـد فـى مدينـة " نصراوى : أى أنه الشقيق الأكبر الذى أخـبرنى عنـه أخـوه الأصغر ، فأخبرته بكل ما دار بينى وبيـن أخيـه الأصغـر، فقال نعم أبونا واحـد.

نادى الأمير هذا الشـيخ ، وطلـب منـه أن يقـص علـى خب.رها ، فقال : الماء الشـافى موجـود فـى مدينـة إرم ، وهى مدينة الجن ، الماء الشافى ليـس فـى هـذه المدينـة ، ولكنه فوق جبل كبير ، يسمى جبـل قـاف ، لا يسـتطيع أى مخلوق أن يصل إلى هناك ، إلا الجـن فقـط ، ولا يسـتطيع ذلك إلا الطيارون فقط ، ولكنـى نسيت الآن اسـم البـئر ، ولو حاول الجن أن يصل إلى هـذا الجبـل للحصـول علـى الماء لا يصل إلا بقـدرة الله ، حيـث يوجـد بعـض المـردة

الذين يحرسون هذا البـئر، كمـا يوجـد مـن يقـرأون آيـة الكرسى ، حتى لا يجـد الجـن الفرصـة للدخـول ، وهنـاك قواعد أخرى لابد أن تتبع قبل الدخـول ، وإذا أخطـأ إنسـان ودخل ، مات ولم يعد ، وربما قد نسـى جدنـا بعـض هـذه القواعد أو الأدعية ، هذا كل ما عرفـت مـن أخبـار المـاء الشافى ، أطال الله حيـاتك " .

عندما طلع النـهار ، ركبـت المركـب ، وقصـدت بـلاد إرم ، وأثناء الرحلة ، جنحـت المركـب وتحطمـت فغـرق كل الركاب الذين كانوا معـى ، ولكنـى اسـتطعت أن أصـل إلى الشاطئ بصعوبة ومشقة ، وعندما أفقـت وجـدت نفسـى فى جزيرة لا يوجد فيها أى مخلـوق ، ولا يوجـد أى شـىء يستطيع الإنسان أكله ، لا قـش ولا عشـب ، الأرض فقـط ، وها أنا وسط البحر ، تحيطنى الميـاه مـن كـل ناحيـة، ولا توجد أى جزيرة بـالقرب منـى ، تذهـب صرخـاتى أدراج الرياح ، ولا يأتى الجن هذا المكان ، فما بـالك بـالطيور .

حفرت الرمال ودفنت نفسى فيـها ، وحـاولت الأنتحـار ، ولكن الله لم يرد بحثت عن أى شىء أقتـل نفسـى بـه ، فلـم أجد ، وبينما أنا فى هـذه الحفـرة ، أنتظـر المـوت ، فجـأة رأيت اثنين من الجـن ، وقـد حمـلا آدميـا ، وهبطـا بـه بالقرب منى ، وحفرا الرمل على هيئة حجـرة ، ثـم سـمعت كبيرهما يقـول " بحرمـة سـليمان بـن داود افتـح "فرأيـت

الأرض تنشق ، ويدخلان بهذا الرجل ، خفت جدا ، ودفنت جسمى كله فى الرمال ، وكتمت أنفاسى ، وكأن الرمال أصبحت لى قبرا ، ولذلك لم يستطيعا بقدرة الله رؤيتى ، وبعد قليل رأيتهما يخرجان فقالا " بحرمة سليمان بن داود اغلق " فرأيت الأرض تنضم ، فسويا الرمال فوقها ، وكأن شيئا لم يكن .

وبمجرد انصرافهما خرجت ، وذهبت إلى هذا المكان، وأزلت الرمال ، التى وضعاها ، وقلت " بحرمة سليمان بن داود افتح ، فرأيت الباب ينفتح ، فدخلت وعندما رآنى الرجل المحبوس قام وركع أمامى ، وقال

" بالله خلصني " فسألته عن اسمه ، ومن أين جاء ، فقص على كل شىء ، فعلمت أنه أخى " سقيمو " ابن زوجة أبى ، الذى قتل والدى ، والذى حرص على قتل زوجات أبى لأنه رأى الرؤية التى حدثتكم عنها .

لما عرفت ذلك ، خطر على بالى حادثة مفسرى هذه الرؤية ، فنظرت حولى ، فوجدت بالقرب منى سيفا فى جراب من الذهب ، فأخذته وسحبت السيف منه ، فرأيت كلمة الشهادة مكتوبة على طرفه ، فنظرت إلى هذا الرجل وأخبرته من أنا ، وطلبت منه أن يتذكر تفسير الرؤية التى رآها ، وأخبرته كل ما حدث ، حتى تمت ولادتى ، وكيف نشأت ، فلما سمع ذلك انقض على ، فقطعت رأسه

بالسيف ، وقلـــت : قبـل أن يـأتى الجـن ويقتلونـــى ثــأرت لأبى".

أما عن سبب حضوره إلى هنا ، فقـــد كـــان يــأكل تمــرا ذات يوم ، فرمى بالنواه بعد أن انتـــهى فســقطت علـــى رأس ابن ملك الجن الصغير ، حيث كـــان يلعــب ، فســقط الطفـل ميتا ، لهذا حملوه إلى هنا حيث قتلتـــــه .

الباب الثامن

وصول الحاج إلى هدفه ، وعودته إلى وطنه:

بعد أن قطعت رأسه ، أخذت قطعة من القماش ، لأمسح السيف ، وبمجرد مسحه ، ظهر لى أحد الجن وقال " اطلب حاجتك يا سيدى " فرميت السيف خوفا ، ومددت يدى ومسحت عينى ، وكأنى أقول له اقتلنى ، لأرتاح من العذاب ، فسمعت قلبى يحدثنى قائلا : "دع العذاب يمر " .

فقلت: من أنت ؟ !!

قال الجن : أنا خادم هذا السيف ، يافث بن نوح ، أمرنى أن أخدم هذا السيف ، لأنه حارب به منذ أن كان حيا حتى مات " .

عندما سمعت ذلك ، انشرح قلبى ، وقلت " لا بأس .. إن كان الأمر كذلك ، احملنى لأصل إلى الماء الشافى : فصرخ وقال : ليس لى هذه السلطة ، ولكن يمكن أن أحملك إلى كبيرنا ، إذا وافق ، هو وحده ، الذى يملك هذه السلطة فى كل المدينة ، ... منذ أن خلقت الدنيا ، خلق

الماء الشافىْ هنا ، من أجل الجن جميعا ، ومنــذ هــذا الوقــت تسيطر ذريتهم عليه حتـــى الآن " .

فقلت له : لا بأس ، احملنى ، وقبــل أن أنطــق البســملة ، وصلنا إلى كهف كبير ، قريـــب مـــن مدينـــة " إرم " فقـــال : هو فى هذا الكـــهف " .

دخلنا فوجدنا عفريتا كبيرا ، فركعت وحييتـــه ، وقلـــت لـــه كل ما جاء بى ، منذ البداية حتى النهاية ، لـــم أخــف شــيئا ، حتى قصة ســـقيمو ــ أخـــى الأكــبر ــ قصصتـــها عليـــه ، فتعجب وقال : لابد أنك ابن حـــــر ، لأنـــك ضحيــت بنفســك من أجل أبو فلان " ثم استطرد قـــائلا " الأخ الأكـــبر للإمـــام، الذى قابلته فى الكهف يعبد الله ، هـــو صديــق لـــى ، جمعنـــا معا حادث غريب ، فذات يـــوم ، كـــانت أمـــى تتجـــول فـــى الصحراء ، فوصلت إلـــى بــلاد الســـودان ، وهـــى تحملنـــى على ظهرها ، فتملكنى الظمأ ، حتى أخـــذت أبكـــى ، فقـــابلت أمى أمه ، ــ أى أم الشيخ العجوز والإمـــام ــ تغــرف المـــاء من البئر ، فلما ســـمعتنى أبكـــى ، قـــالت لأمـــى " انتظـــرى أعطى هذا الطفل الماء ليشرب " فوقفـــت وأخذتنـــى أمـــهما ، وأعطتنى الماء بنفســـها .

وقبل أن تنصرف جـــاءت أم الإمـــام ، وأعطتنـــى زهـــرة ــ وثمرة الكـــولا ــ جـــورو ــ وشـــيئا مثـــل جـــوز الـــهند،

وأعطتــه لأمــى ، وأخرجــت قرشــين ، وأعطتــهما لــى ، فأمسكت فى كل يد قرشا، وأخذت ألعب بــهما ، كــانت تظــن أن أمى آدمية ، ولم تعرف أنها مــن الجــن ؛ فســألتها أمــى عن بلدها ، فدلتها عليها ، وبعــد ثلاثــة أيــام ، جــاءت لــها والدتى فى الليل ، وكشفت لها عن نفســها ، وتصادقــا معــا ، وكانت أم الإمام تحمل هذا الشــيخ العجــوز ــ الــذى رأيتــه فى كهف الجبل ــ على ظـــهرها .

وكانت أمنا سببا فى نمو الصداقة بيننــا ، حتــى كبرنــا ، وحتى الآن ما زلنا نزور بعضنا ، كل ليلــة جمعــة ، أذهــب إليه ، ونقضى الليل فى الســمر ، واليــوم عــاش كــل منــا ثمانين عاما ، ونحن نعبد الله فى هــذا الكــهف .

وأخوك الذى قتلته فى الجزيرة ، قتــل أخــى مــن قبــل ، وأنا ملك الجن ، فــى هــذه الدنيــا كلــها ، والذيــن رأيتــهم يحملن ولدى ، وهذا الكنز الــذى دخلتــه كــنزى ، والســيف الذى فى يدك، سيف يافث بن نوح ، الذى حــارب بــه حتــى توفى ، وهو الآن ملكى ، ولــولاه مــا اســتطاع أى مخلــوق الوصول إلى الماء الشافى حتــى أنــا ، ولــولا أنــك أخذتــه لبعثت ليؤتى به لأعطيك إياه ، حتى تســتطيع الوصــول إلــى الماء الشــافى .

وهناك سببان أوجبا على مساعدتك : السبب الأول ، أنك قتلت الذى قتل أخى ، والسبب الثانى ، أنك ضحيت بروحك ، من أجل أخى الإمام ، وأنت تعرف أن الأخ الأصغر لصديقك ، كأخيك تماما .

عندما سمعت ذلك ركعت وشكرته ، فنصحنى ألا أدخل المدينة فى المساء ، ولا تنتظر الصباح ، فنمت مع أولاده ، وعندما طلع النهار نادانى ، وقال : احفظ ما سأقول لك ، وإلا ستهلك " .

قلت : لا بأس ، أسال الله أن يساعدنا .

قال : انظر قمة الجبل الموجود فى وسط هذه المدينة البعيدة ، هى المدينة الكبرى ، التى يسكنها الجن ، فى الدنيا كلها ، واسمها مدينة " إرم " ، وهذا الجبل الذى تراه على البعد الذى يخترق السحب ، اسمه جبل " قاف " إذا دخلت ستجد مكتوبا على باب المدينة كلمة " لا تسأل " ومهما ترى من أمور لا تهتم بها ، واقصد الجبل مباشرة، بهذا السيف المسلول وإذا دخلت المدينة ، ابدأ فى إنشاد هذه الأشعار ، " ويفعل فى ملكه ما يشاء ، تعالى الله وجل الحكم" حتى تغرف الماء وتعود.

سبب استمرارك فى هـــذه القــراءة أنــك ســترى أمــورا عجيبة لــم تتعــود علــى رؤيتــها ، ســترى البقــرة تحلــب صاحبها الفلاتا ، وترى الحصان يركـــب الفــارس ، والكلــب يسب ، والكتكوت يخطف الحدأة ، والعــنزة تطــارد الذئــب ، والرجل يلد ، والدجاجـــة تفلــح الأرض ، والديــك يــزرع ، وأمورا أخرى عجيبة كـــهذه ، أنــت تعــرف الله يفعــل مــا يريد، ويفعل أكثر من ذلـــك غرابــة ، آلاف ، آلاف المــرات إذا شــاء .

قراءة هذه الأشعار ستجعل الجــن يعرفــون أنــك تعــرف قدرة الله ، لذلك لن يضروك ، ولكـــن لا تقطــع أى شــىء ، وإذا رأيت أنهم سيضرونك ، لــــن يصيبــك أى أذى ، وعنــد دخولك ســـترى أثنتــى عشــرة حجــرة ، متواليــة ، اتــرك الحجرة الخامسة علـــى يــدك اليمــى ، وادخــل السادســة ، وفيها ستجد البئر ، وهو يسمى بئر ســـينين ســتجده ، مغطــى بغطاء من اللؤلؤ ، لو اجتمـــع كــل مــن فــى الدنيــا ، لــن يستطيعوا فتحه ، حتى يقال " افتـــح بحرمـــة النبــى ســليمان بن داود ، يا سليمان ، يا سليمان ، يا ســليمان ، افتــح لأجــل من لا نبى بعده ، افتح مـــن أجــل أفضــل الخلــق ، النبــى محمد"؛ فإذا فتح خذ دلوا من الذهـــب ، ســتجده علــى حافــة البئر، فألقه داخل البئر ، وأنت تنشـــد ، مــا قلتــه لــك مــن الشعر، وإليك بزجاجـــة العطــر هــذه ، خذهــا ، إذا ملكــت أكثر منها هلكت لأنك إذا مــلأت هــذه الزجاجــة ، ووصلــت

إلى بلاد السودان ، ومسح به أى إنســـان رأســه ، لا يصيبــه صداع إلى الأبد ، لذلك فـــهذه الزجاجـــة الصغــيرة تكفـــى ، لا تخف ، ولا تنســـى شــيئا ممـــا قلـــت لـــك ، الله يرجعــك بالســلامة .

أخذت الزجاجة ، وقصدت المدينـــة ، وقلبـــى يـــدق ، كـــل ما قاله لى وجدته حقيقة ، ففعلت كل مـــا قالـــه لـــى ، حتـــى وصلت إلى الجبـــل ، لذلـــك كـــان علـــى أن أعــد الحجــرة الخامسة على يدى اليمنى ، وأدخـــل السادســـة ، كمـــا قـــال ، ولكننى خفـــت ، فعـــددت الرابعـــة علـــى يـــدى اليســـرى ، ودخلت الخامســـة .

ولمـــا دخلـــت ، ســـمعت مـــن يقـــول : آه لقـــد أخطـــأ ، أضربوه ، فأخذوا يضربوننـــى ، وألقونـــى خـــارج المدينـــة ، والسيف معى ، حتى كســـــروا رجلـــى ، فزحفـــت ومســـحت السيف ، فظهر لى العفريت ، فطلبـــت منـــه أن يعيدنـــى إلـــى كهف ملك الجن ، وفى الحال أعــــادنى .

فما رآنى ملـــك الجـــن ، مصـــاب بـــالجراح ، فـــى كـــل جسمى ، قال : لقد نجوت ، ولم يقتلوك ، قلـــت لـــك انتبـــه، ها قد رأيت ما أصـــابك ، لقـــد كتـــب الله لـــك النجـــاة ولـــم يهلكـــوك " ؛ فقلت له أيـــن حـــدث الخطـــأ ، فقـــال ، اجلـــس حتى يتم لك الشفاء ثـــم عـــد بعـــد ذلـــك ،وعـــالجونى حتـــى شـفيت.

بعد عشرين يوما كرر نصيحتـــه لـــى ، وعــدت ، وفـــى هذه المرة لم أخطئ حتى عدت بالماء، لقد ظــهر لـــى الجـــن، بأشكال مختلفة ، فلم أهتم بهم ، ولما غرفـــت المـــاء ســمعتهم يدقون لى الطبـــول ، لقــد كـــانت دقـــات طبولــهم جميلـــة ، وخرجت ، ووصلت إلى ملك الجن ، فســـر بـــى .

وبعد أن استرحت سـبعة أيـام ، قـــال لـــى : لا بـــأس أن تستعد للعودة " ، وقال " لن يســـتطيع أى عفريـــت فـــى هـــذه الدنيا ، أن يحملـــك ، لثقـــل المـــاء الـــذى تحملـــه ، إلا أنـــا وحدى، ولولا ذلـــك لجعلـــت أحـــد العفـــاريت يحملـــك إلـــى بلادك، قبل طلوع الصبح ، ولكنـــى سـأحملك بـــالرغم مـــن كبر سنى ، وسأحاول أن أختصر لـــك الطريـــق ، لأخرجـــك من بلادنـــا .

حملنى بنفسه ، حتى البلاد الواسعة ، بـــلاد النـــاس الذيـــن يقال عنهم ، إنهم ملكـــوا الدنيـــا ، أى الأوربييـــن ، وقبـــل أن نفترق أحضر خاتما من الذهب ، ومنحـــه لـــى ، وقـــال : إن له خادما كخادم السيف ، إذا أردت شـــيئا ، امســحه فيخـــرج لى الخادم ، لأننى لن أستطيع حمـــل الســـيف، ولكـــن الخـــادم لن يستطيع الظهور الآن ، لأن الماء الشـــافى معـــى ، مـــهما مسحت لن يظهر فأخذت هذا الخاتم ، ووضعتـــه فـــى يـــدى ، وأخذت الزجاجة وربطتـــها فـــى جيـــب قميصـــى خشـــية ، سقوطها، وقال : إذا اشتقت لرؤيته فـــلا أذهـــب إلـــى الكـــهف

الذى يعتكــف فيــه عمــى ــ الأخ الأكــبر الإمــام ــ يــوم الجمعة ــ فهو يزوره فى كل ليلـــة جمعـــة ، ليقضـــى الليــل معه .

ركعت وشكرته ، وكــدت أبكــى مــن فــرط السـرور ، وتقدمت إليه وسألته المغفرة ، عما يكون قد بــدر منــى .

ولما اختفى ، قصدت البحــر ، وســألت أحــد النصــارى الذى يمتلك بعض المراكــب أن يحملنــى فــى إحداهــا إلــى بلاد السودان ، فقال إنى لا أروق له ، فأنـــا شــديد القــذارة ، كان يظن سواد جسمى قذارة غطته ، ولم يعــرف أنــها خلقــة الله ، وحاولت وحاولت ، ولكنــه رفــض ، وأخــيرا طردنــى بعيدا عنهم ، مدعين أن رائحتــى كريهــة ، حتــى لا أجلــب لهم القمــل .

عندما طلع النهار ، وجــدت قاربــا قديمــا ، فأصلحتــه ، ونزلت به البحر المالح ، ومعـــى أدوات الطعــام وصفيحــة الماء ، لأن ماء البحر لا يصلح للشرب ، ففيــه ملــح كثــير ، وقصدت جهــة الســودان ، وقلــت ، إذا شــاء الله أن أحمــل الماء الشافى إلى السودان حملتــه ، وإذا لــم يشــأ ، فإرادتــه فوق كل شــىء .

وظللت أجــدف ، أقــع هنــا ، وتدفعنــى الريــاح هنــاك، والأمواج تحملنى مع المركــب ، وتقــذف بنــا معــا ، ولمــا رأيــت أننــى لا أشــم رائحــة الأرض ، تركــت التجديــف

وقلت: لأذهب حيث أراد الله أن أذهب " ، وإذا أحسست بالنعاس لم أهتم به ، وتغلبت عليه ، وقطعت أملى فى النجاة تماما ، حتى أصبحت لا أعرف تواريخ الأيام .

وذات يوم كنت نائما ، فتوقفت بى المركب ، ففتحت عينى ، فرأيت نفسى فى وسط شىء مثل البئر ، فأصغيت، فسمعت أصواتا ، كأنها كلام لبعض الناس فوق رأسي ، فرفعتها فرأيت السماء ، فقلت " اليوم أراد الله أن آتى هنا ... الحمد لله " .

وبينما أنا أفكر ، رأيت من يدلى دلوا ، فأمسكته فأخذ يشد ، وأنا أشد ، حتى سمعت من يقول : آه من الذى يمسك الدلو ؟

فقلت : أنا وقعت هنا ليلة أمس ، وخشيت أن أقول إننى من البحر المالح فيخافون ، ولا يخرجوننى .

فلما قلت ذلك سمعتهم يصرخون، وفى الحال تجمع الناس، وأدلوا لى حبلا فأمسكته فأخرجونى وأنا فى أقبح صورة يتدلى شعرى حتى الكتف عندما رأونى تفرقوا من شدة الخوف وذهبوا وأخبروا أمير المدينة، فجاء ومعه رجاله، فسألونى عن أخبارى فقلت لهم أنا رجل آدمى أعطونى طعاما لآكل، حتى أستطيع أن أحدثكم وأقص عليكم قصتى كلها .

وأمر الأمير ، فأحضروا لـــي طعامــا فــأكلت ، وكــانت حركة البحر قــد أصــابتنى بــالصمم ، فسـقونى دواء لمــدة سبعة أيام ، حتى شفيت ومكثــت عــدة أيــام ، حتــى هــدأت أعصابى ، لأننى كنـــت كــالمجنون ، أو كمـــن بعــث يــوم الحشر .

ولما هدأت أعصابى بعد عـــدة أيــام ، رأى أهــل المدينـــة شكلى تماما ، عاداتـــهم كلــها وكلامـــهم وملابســـهم ولـــون بشرتهم مثل أهل السودان ؛ فلما انتبـــهت إلـــى ذلــك ســألت الأمير قائلا : أطال الله عمر الأمير ، أيـــن أنـــا ؟ !!

فقال : فى مدينة كـــانو .

قلت : أى كانو ؟ !! مدينـــة الســـودان ؟ !!

قال : نعــم .

قلت : لا بأس ، أين كونتا جـــورا ؟

قال : بعد مسيرة خمسة عشـــر يومـــا مـــن هنـــا ، دون أن تستريح فى الطريـــق .

لما سمعت ذلك هللـــت بـــالصلاة ، وقلـــت الحمـــد لله ، الله يعلم بأى طريقة جئت إلى هنا ؟ فـــأمر الأمـــير أن يـــأخذونى إلى بيت كبير ، وقالوا من هذا البـــئر خرجـــت .

قلت : ما أســـمها ؟

قالوا : ميبر حـــامى .

فقلت للأمير : هذه البئر عيناها تلتقى مـــع البحـــر المـــالح، فأنا خرجت من البحر المـــــالح ، وأراد الله أن تســـحبنى قـــوة عين هذه البئر معها حتى هنا ، حيـــــث خرجـــت فتعجبـــوا ، وقصصت لهم قصتـــى منـــذ البدايـــة حتـــى النهايـــة ، فســـر الأمير بسماع ذلـــك .

قصة خروجي من هذه البئر ، لا كـــــذب فيـــها ولا شـــك ، وحتى اليوم إذا أردت أن تسمع القصة ، اذهـــــب إلـــى مدينـــة " كانو " واسأل عنها ، فكل كـــــانوى عمـــره عشـــرين عامـــا يعرفها، وكل من تسأله عن مدينة كـــانو ، قـــل لـــه أن يريـــك بئر فى برجامى ، يوصلك حتـــــى البيـــت الـــذى يوجـــد فيـــه البئر ، وخشية أن يقع فيـــه أى إنســـان يغـــرف منـــها المـــاء فيموت ، أمر أمير كانو أن يصنعوا لها غطـــــاء مـــن الصـــاج ليغطيها ، كما أمر أن يغلـــق البيـــت ومنـــع زيارتـــه ، والآن هى مغلقة والمياه كثيرة ، ولم تظهر لأستخرج المـــاء منـــها.

وبعد أن استرحت عشرة أيـــام ، أعطـــانى الأمـــير هدايـــا كثيرة ، وأمر أن تعد لى ناقة حتى تنقلنـــــى إلــى بـــاب بيتـــى فى كونتا جوار ، فقد مضى خمسة عشر عامــا تمامـــا علـــى خروجى منها حتى اليوم الـــذى عـــدت إليـــها فيـــه ، فخـــرج الإمام إلى الباب ، ولم يســـتطع التعـــرف علـــى ، وخرجـــت طفلا عمره خمسة عشر عاما ، وعدت شـــابا عمـــره ثلاثـــون عاما لحيتى طويلة حتى عـــــارضى .

عندما كشفت له عـــن شـــخصيتى ، احضتننـــى ، وأخذنـــا نبكى من شدة السرور ، ودخلت البيـــت معـــه ، فلمـــا رأتنـــى أمى ، لم تنسنى ولم أنسها ، فتعانقنا حتى كـــاد يغمـــى علينـــا من شدة السرور ، فصب الناس علينــــا المـــاء حتـــى أفقنـــا ، وأخذت كل المدينة تبارك لأهلــــى .

وأخبر الإمام الأمير ، أن ابنه الـــذى خـــرج يتجـــول فـــى الدنيا قد عاد ، فبعث مرحبا بعودته ، ولم يعـــرف أحـــد ، مـــا أخرجنـــى مـــن بـــلادى ، أو مـــا حصلـــت عليـــه وبعـــد أن استرحت سبعة أيام ذهبت إلى الإمام ذات يـــوم ، أنـــا وأمـــى، وقصصت عليهما أخبار رحلتى منذ أن خرجـــت حتـــى اليـــوم الذى عدت فيـــه ، وأخـــذت المـــاء الشـــافى وقدمتـــه لـــهما ، فاكتشفت أنه قد تبعثر منى ، حينما كـــانت الأمـــواج تتقـــاذفنى فى البحر المالح ، ولم يبق إلا شـــــىء قليـــل ، فقدمـــت لـــهما الجزء البـــاقى .

عندما سمع الإمام ذلك قام في الحال ، وأخبر أمير السودان ، فأمر باستدعائي لأقص عليه القصة كلها ، وقدمت له الماء الشافي ، فأخذني وعانقني ، وأمر أن تدق لي الطبول منذ الصباح حتى الظهر ، ولأختصر لكم القصة أقول أن الأفراح التي أقيمت والسرور الذي عم والخير الذي ناله الأمير ورجاله والدهشة التي أصابت الجميع لا حدود لها .

وسألت الأمير عن الولد الذي تركته مريضا ، هل شفي ؟ أعني " يا ريما " الذي قال لو أعطي الماء الشافي ، قال الأمير : لقد عالجناه ، حتى تعبنا ، وحتى الآن لا يتقدم ، ونتمنى أن يموت الآن لنرتاح ، فهو بين الموت والحياة ، لمدة خمسة عشر عاما .

عندما سمعت ذلك قلت : لا بأس ، انتظر لنرى المشكلة التي أثارها الإمام، ما إذا كانت الحقيقة أم لا ؟ فأخذت عصا صغيرة ، وغمرتها في الزجاجة ، وألقيت بها في قليل من الماء في إناء وأعطي للولد فشرب ، وبمجرد أن شربه مرة واحدة ، هب قائما وشفي في الحال.

ولم يبق إلا القوة فقط فسر الأمير وبدى وكأنه سيأخذنى ويلتهمنى من فرط السرور ، وأخذ الناس يتعجبون من قوة الماء الشافى .

وعجب الإمام من أخبار أخيه الأكبر ، وملك جن الدنيا، واستدعى الأمير الإمام ، وسأله المغفرة لتكذيبه له، عندما تكلم عن الماء الشافى ، فغفرا لبعضهما ...

لقد كانت رحلتى ذات فائدة عظيمة لأهل السودان ، ولكنهم لم يعرفوا ذلك ، وقبل قيامي بهذه الرحلة ، كان دواعنا فى بلاد السودان ، لافائدة منه للنباتات أو الحيوانات ، لأنه لا يوجد به قطرة واحدة من الماء الشافى ولكن بسبب قوته حولها ، فأصبحت كل العواصف التى تهب على البحر المالح وتمد الأرض بالماء الذى يرويها، وأصبح الدواء صغيرا إذا خلط به وسقى منه الحيوان أو النبات ، أرأيت كيف أن كل الأدوية تفيد ، لأننى صببت بعض الماء الشافى فى البحر ، والآن إذا وجدت شجرة أو حيوان يشرب من الماء الذى يخرج من هذا البحر وعولجت من أى مرض تم لها الشفاء .

بعد أن استرحت حوالى شهر ، بدأت أستعد لحك الخاتم ، فلما ظهر لى الخادم ، أخبرته باسم المدن التى حفظت فيها متاعى كله ، فحملنى وذهب لنقل متاعى ،

ولم أترك شيئا حتى الأبرة نقلتها ، وكل شيء تجده الآن في بيتي .
وبينما أجمع متاعى ، ذات يوم قلت للخادم أن يحملنى إلى المدينة التى تركت فيها زوجتى " رقية " لأحضرها فلما رأتنى سرت جدا بعودتى ، وخرجت أتنزه فى المدينة معها .

فوصلنا إلى قرية صغيرة ، فرأيت المعلم زرقية فى السوق بين القصابين ، يدق طبلة وينبح وكأنه كلب أحد المتسولين ، فلما فتحت عبني ورأيته ناديته فنظر إلى وقد طلى وجهه بلون أحمر وقال : الهمة يا بن الشيخ " وألقى الطبلة واتبعني واتبعني كل الناس ، وقص كل منا على الآخر أخباره ، منذ أن افترقنا ، وسبب عدم التقائنا بسرعة ، فأعطيته كل ثروتى ، التى تركتها بالمدينة ، وتركت له حرية التصرف فيها ، وأخذت زوجتى ، وعدت إلى كونتاجورا .

وحتى الآن ، إذا أردت المعلم زرقية ، أو أى إنسان ألفته ، أو اشتاقت زوجتى لرؤية أهلها ، أمسح الخاتم ، فيظهر الخادم لى ويحملنا إلى حيث نريد، وهذا البيت بناه الجن لى ، وكنت اتمنى أن يبنوه لى من الحديد ، ولكننى خشيت أن يملأنى الغرور ، فأتكبر على الناس " .

هذه هي قصـــة الدنيـــا ، وأشـــكر الله ، ومـــازلت أشـــكره حتى الآن ، الحمدلله رضيت أم لـــم تـــرض .

إيليـــا الإبـــن الأقوى

Iliya Dan Mai Karfi

تأليف : أحمد إنجاو

أمـــــر عجيـــب :

كان يعيش فى إحدى بلاد الشرق رجـــــل يســمى صحـــابى وكان له زوجة تسمى مرجانـــة ، كانـــا يعيشـــان فـــى مـــنزل ريفي ، لم يكنا بالأثرياء تمامًا ، ولم يكونا مـــــن الفقـــراء فقـــد كانا متوسطى الحال ، يمتلكان بعـــــض الـــدواب والمـــزراع ، إلا أن شيئاً واحداً كان يكـــــدر عليـــهما صفـــو الحيـــاة الدنيـــا وهو عدم الإنجاب فلم يمن الله عليهما بنعمـــــة الولـــد .

لقد بذلا الكثير من المحاولات لعـــــلاج حالـــة العقـــم إلا أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل ••• ومـــرت الســـنون تلـــو السنين حتى من الله على مرجانــــــة بـــالحمل ، ويعجـــز القلـــم عن وصف مظاهر الفرح والسرور لـــــدى الأبويـــن ، وأخـــذا يستعدان ليوم الولادة منذ الشـــــهر الرابـــع .

وذات يوم كان صحابي يعمل فى الحقـــل خلـــف المـــنزل ، وكانت الشمس قد توسطت الســـــماء وفجـــأة ســـمع زغـــرودة تنطلق ثلاث مرات من منزله ، فألقى فأســـــه وعـــاد مســـرعاً إلى المنزل فلما وصل وجد أن الأمنية التـــــى طالمـــا تحققـــت، فقد ولدت مرجانة ولدا جميلا ، وبعد أســـــبوع اجتمـــع النـــاس وأقيم حفل التسمية وأطلق على المولود اســــم إيليـــا .

ودارت الأيـام وبلــغ الرضيـع الفطــام ، إلا أن مــرض الشلل أصاب رجليه وإحدى يديه ، ومكث علـــى هــذا الحــال حتى كبر ، لا يستطيع مغـــادرة ســريره إلـــى أى مكـــان إلا محمولا ، وقد حزن والده لمرضه حزناً شــديداً ولكنــهما لــم يستطيعا إلا صـبرا وذات يــوم ذهــب والــدا إيليــا إلـــى المزرعة ، وتركاه وحده فى المـــنزل فـوق ســريره ، وقـد استغرق مفكرا فى أمور الحياة الدنيــا ، ومــاذا كــان يمكــن أن يفعل لو كان سليم الرجلين ، وفجأة سمع مــن يلقـى عليـه السلام " السلام عليكم ، الســلام عليكـم " فـرد عليـه إيليـا قائلا " عليك الســلام ، مــن الــذى دخــل " ثـم رأى ثــلاث رجال يرتدون الملابــس العربيــة التــى يرتديــها الحجــاج ، يحمل كل منهم مسبحه طويلة فى يده ، جلســوا فرحــب بــهم إيليا فردوا التحية مبتســمين .

نظر إيليا إلى هؤلاء الرجال جيدا ، فـــأدرك أنــهم ليســوا كمن تعود أن يراهم من النــاس ، فظــن أنــهم ممــن يقــال عنهم أنهم يطوفون البلاد يعظــون النــاس .

سأل هؤلاء الرجال إيليا عما إذا كان لديــه بعــض الطعــام يقدمه إليهم ليأكلوه قال إيليا " لا يخلـــو المـــنزل مــن بعــض الطعام ابحثوا فى كل مكــان وخــذوا مــا تجدونــه وكلــوه ، لأنى لا أستطيع القيام والبحث " فسألوه عمــا أصابــه ، قــال " هذا المكان الذي تروننى فيه ، أنام فيه منـــذ ولادتـــي ، لــم

أخرج من باب المنزل ولم أذهب خارج هذه الحجرة إلا محمولاً " .

الله أرحم الراحمين ! لم يكن هؤلاء الزوار بشراً ، كانوا ملائكة بعثوا لامتحان إيليا ، وشفائه ، طلب أحدهما ماء فى إناء ، وقرأ عليه بعض الأدعية ، وقدمه إلى إيليا، وقال " اغسل وجهك وجسمك " أخذ إيليا الماء بيده السليمة واغتسل ، وفى لمح البصر ، وجد جسمه معافى تماماً وكأن شيئاً لم يكن ، واستطاع أن يمد رجليه ويده المشلولة، وأصبح من لم يره من قبل ، لا يدرك أنه كان مريضاً .

مد رجليه من فوق السرير ، وانحنى أمام هؤلاء الرجال ، وقدم لهم الشكر ، وفى غبطة وسرور ، ذهب وأحضر بعض اللبن ، وركع وقدمه إليهم ، فشرب كل منهم وأعطى رفيقه ، حتى شربوا جميعاً ، ثم مد كبيرهم يده إلى إيليا وقال " اشرب أنت أيضاً يا إيليا " أخذ إيليا اللبن وشرب . وبعد قليل قال أحدهم لإيليا " كيف تشعر بجسدك الآن " ؟ قال إيليا " أشعر أن قوة جديدة قد تسللت إلي ، وأشعر ان الأرض ، بما عليها لا تنال منى " .

قال كبيرهم من إيليا أن يشرب مزيداً من اللبن . وبعد أن شرب قدراً أكبر من اللبن ، قال له الرجل " حسناً ، آمن بالملك الأعلى ، واتبع أوامره واعمل بكل ما يأمرك

به ، وستكون أشرف من كل سكان البلـــد وسيشـــتهر اســمك فى كل مكان فـــى الدنيــا ، ولا تثنيــك الصعـــاب والأخطـــار عن حبك لربك . وهذا الأمر مؤكـــد ومكتــوب ولـــن تمــوت فى ميدان القتال مهما حمى الوطيـــــس .

ولن ينتصر عليك أى إنسان فـــى هـــذه الدنيــا ، إلا رجــل واحد فقط يســـمى ورجـــاجى ، ســتلتقى بـــه ، ولكـــن إيـــاك ومحاربته ، وعليك الآن أن تعقد العـــزم علـــى الذهـــاب إلـــى مدينة قب ، ولا تنتظـــر لتســـتنفد قوتـــك فـــى المزرعـــة ، أو الحديقة أو الغابـــة . "

وبمجرد انتهائهم من هذا الحديـــث اختفـــوا دون أن يشـــعر بهم إيليا . فتملكته الحيرة ، وحزن لأنـــه لـــم يعـــرف الســبب الذي سيذهب من أجلـــه مدينـــة قـــب ، وقـــد اختفـــوا دون أن يسألهم ، ورأى الأمر كلـــه كـــالحلم الخـــاطف، وبعـــد قليـــل هدأت نفسه، وذهب إلـــــى المزرعـــة حيـــث يعمـــل والـــده ، فوجدهما قد انتهيا من عملـــهما وأصابـــهما التعـــب فاســـتغرقا فى نوم عميـــق ، فـــألقى عليـــهما الســلام ، فلـــم يســـتيقظا ، فاقترب منهما وأخذ فأساً وقصـــد فرعـــاً كبـــيراً مـــن شـــجرة الباو باو ينام والده فى ظله وقطعه ، وبـــالرغم مـــن الصـــوت المرتفع الذى أحدثه القطع وسقوط الغصـــن إلا أن والديـــه لـــم يستيقظا من نومهما . فأخذ باقى الفئـــوس وثبتـــها فـــى جســـم الشجرة وذهب إلى مكان واختبأ فيـــه وهـــو يضحـــك ويقـــول

فى نفسه " عندمـــا يســتيقظان ويـــهمان بـــالعمل فلــن يجـدا فأسهما وسيبحثان عنـــها . "

وبعد أن ضربتهما حــرارة الشــمس ، قامــا مذعوريــن ، ونظرا إلى أعلـــى فوجـدا أن غصـــن الشـــجرة الكبــيرة قــد قطع، فتعجبا لأنهما يعلمان أنــــه لا يقــوم بــهذا العمــل فـــى الوقت القصير إلا عشرة رجال أشداء ، ونظـــرا فلــم يشــاهدا أحداً إلا فئوسهما مثبتــــة فـــى الشـــجرة ، فحــاولا اقتلاعــها ولكنهما عجزا عن ذلـــك ، ولمـــا رأى إيليـــا أنـــهما عجــزا خرج إليهما ضاحكا ومد يده واقتلـــع الفئــوس جميعــا . فلمــا رأيا إيليا على هذا الحال ، زالـــت دهشــتهما لقطـــع الشــجرة وتثبيت الفئوس فيها . وأخذا يتعجبان من أمـــر إيليـــا . وهــدأ كل المكان ، وأخذت أم إيليا وأبوه ينظر إليه مـــن أســفل إلـــى أعلى. وبعد قليل أدركا أنه ابنهما إيليا قد كتـــب لـــه الشــفاء ، فرفع الأب رأسه إلى الســماء حـــامداً الله .

ولشدة دهشة والدى إليها لم يستطيعا أن يقــولا لـــه شــيئاً ، وركع إيليــــا أمامـــهما، وقــص عليـــهما كـــل مـــا حـــدث . وأخبرهما أنه لن يبقى معهما ، وقال أنـــــه أمـــر بـــأن يذهـــب إلى مدينة قـــب .

فرح والده كثيرا لشفاء أبنهما ، ولكنـــــهما شـــعرا بـــالحزن عندما تذكرا أنه سيفارقهما ، فركع مـــــرة أخـــرى ، وخفــض من صوته وأخذ يحـــث والديـــه علـــى الصـــبر ، ويحدثـــهما

حديثاً لطيفاً ، حتى يهدأ مـــن روعـــهما ، ثـم طلـــب منـــهما المغفرة، وودعهما ، واتخذ سبيله إلى مدينـــة قـــب .

وفي أثناء الرحلة التقى برجـــل يجـــر حصانـــا صغـــيرا ، فسأله إيليا مازحا هل يبيعه هذا الحصـــان . فوافـــق صـــاحب الحصان ، وساومه في الثمن وهو علـــى يقيـــن أنـــه لا يملـــك درهما ، ثم وضع يده في جيبـــه ، مازحـــا فـــأحس أن فيـــها مالا ، فأخذه ودفع ثمن الحصان . وهنـــا ورد علـــى خـــاطره أنه من الأفضل أن يعود إلى منزلـــه، ويرعـــى الحصـــان ثـــم يستأنف الرحلة ، فالتفت عائداً إلـــى منزلـــه .

أطلق إيليا علـــى حصانـــه اسـم قوليلـــى ، أخـــذ يرعـــاه ويربيه على تحمـــل الصعـــاب ، والصـــبر علـــى الجـــوع ، وقبل مضى ثلاثة أشهر كان الحصـــان قـــد امتـــلأ وصـــار لا مثيل له في المنطقة المجاورة ، وظل في مربطـــه حتـــى مـــل الراحة ، وأخذ يتشوق إلى الرحيل أكثر مـــن صاحبـــه .

عندما شعر إيليا أن وقت رحيله قـــد حـــان ، ذهـــب إلـــى والديه وأخبرهمـــا ، وطلـــب منـــهما المغفـــرة ، فـــأكثر مـــن الدعاء له ، وودعاه وفي صباح اليوم التـــالي ، اســـتعد إيليـــا وامتطى صهوة جواده قوليلى وبـــدأ الرحلـــة .

لقاء إيليا بورجاجى :

دخل إيليا الغابة وواصل السير ، وهو لا يعرف له وجهة ، حتى أقبل الليل واستولى عليه الجوع والتعب والظمأ ، كما تعب حصانه كذلك. واصل السير وسط سكون الغابة ، حتى وجد حديقة أمامه مملوءة بالثمار والأزهار العجيبة ، وفى وسط الحديقة أقيمت خيمة من الحرير الأبيض ، نزل إيليا وربط حصانه ، ودخل الحديقة وأطل برأسه فى الخيمة فلم ير إلا سريرا من الحديد وبعض الفراش والوسائد. لم ينتظر طويلا ، وصعد السرير ونام وسرعان ما استغرق فى النوم حتى طلع النهار. وغربت الشمس مرة أخرى ، وأقبل الليل وطلع النهار وهكذا استمر ثلاثة أيام نائما لم يستيقظ. وفى الليلة الثالثة كان إيليا مستغرقا فى نومه ، أخذ قوليلى يسمع حركة وضوضاء مقبلة تجاه الخيمة ، وكأن عاصفة تهب ، تهتز الأرض من تحتها وكأنها ستنشق. أخذت الأشجار تسقط ، وفاضت مياه النهر فى الغابة. ثم صهل الحصان بشدة حتى يستيقظ إيليا ، وكأنه ينبهه إلى القيام بسرعة لاقتراب هذا المخلوق الضخم إليه. لقد كان هذا المكان هو منتزه ورجاجى الذى طلب من إيليا ألا يتقاتل معه .

بعد قليل ، شعر إيليا بالخوف ، وأشار إليـــه قوليلـــى بـــأن يصعد إلى مكان مرتفع ليختبىء فيه ، وبســـرعة صعــد إيليــا فوق إحدى الأشجار الطويلة فـــى الحديقـــة واختبـــأ . وبحــث قوليلى عن مكان اختفى فيـــه .

بعد ذلك وصل ورجـــاجى ، علـــى ظـــهر حصـــان كبـــير كان يشبه الجمل مقبلا مـــن بعيـــد ، ونـــزل عنـــد مـــد خـــل الخيمة . نظر إليه إيليا جيداً فوجده شـــيئاً مخيفـــاً ، لأنـــه لـــم ير من قبل شخصاً ضخماً مثلـــه ، رجـــل عريـــض وطويـــل كان يقطع الأشجار التى تعترض المكـــان بيـــده . ثـــم أنـــزل صندوقاً كبيراً من فـــوق ظـــهر حصانـــه وأخـــذ مـــا يشـــبه المفتاح من الذهب وفتـــح الصنـــدوق فخرجـــت فتـــاة جميلـــة حمراء مثل الجن ، وقد تزينـــت بـــأنواع شـــتى مـــن الحلـــى الذهبية واللؤلـــؤ والمرجـــان ترتـــدى حـــذاء منســـوجا مـــن الحرير الأحمر . وقـــد بلـــغ شـــعر رأســـها الأرض فكـــانت ترفعه بيدهـــا .

أمسك ورجاجى يد هذه المرأة ودخـــــلا الخيمـــة ، ففتحـــت حقيبة وأخرجـــت مـــائدة للطـــهى ووضعـــت عليـــها طعامـــا وشرابا ، وجلسا يأكلان ويشربان حتـــى شـــبعا . ثـــم صعـــد ورجاجى إلى السرير ونام فـــأخذت تـــهوى لـــه حتـــى غلبـــه النوم . فلما رأته قد استغرق فى نومه خرجـــت تتجـــول فـــى الحديقة ، وأخذت تســـير وتنشـــد بعـــض الأغـــانى الجميلـــة

بصوت منخفض ، تأخذ بلب من يستمع إليـــها . وبعـد قليـل رفعت رأسها إلى أعلى ، فرأت إيليا فـــوق الشـــجرة مختبـأ . فنظرت إليه جيدا ثم قالت " ايها الشاب الوســـيم انــزل "

نزل إيليا وهو يرتعش فأمســكت يــده ودخلـت بـه إلـى الحديقة . وبينما كـان ورجـاجى يغـط فـى نـوم عميـق ، فتحت جيبه ووضعت فيه إيليا . فشعر وكأنــه قـد نـزل فـى بئر عميـق .

وبعد وقت قليل استيقظ ورجـــاجى مــن نومـــه ، واســتعد للقيام وأخذ الفتاة ووضعها فـــى الصنــدوق ، وأغلقــه وعلقــه فى سرج حصانه . واتخـــذ طريقـه عـائدا إلـى المـنزل . وقصد بعض الجبال العالية تسمى " الجبـــال العاليـة " وهـى مكان لم يصل إليـــه أى مخلـوق مــن قبـل ، ولا يسـتطيع الوصول إليه إلا جيجى والد ورجـــاجى ، ويحيـط بـالقصر مبان كثيرة جميلة ومتنوعة . والرخاء ونعم الحيــاة فــى كـل مكان .

كان جيجى يفوق ورجاجى حجماً وطـولاً وجمـالاً ولكنـه شاخ تماماً وفقد بصره . لاحــظ ورجـاجى أثنــاء السـير أن الحصان يسير فى ببطىء على غير عادتـــه . يســير وكأنــه سيقع ، غضب ورجاجى وضربـــه فنبهــه الحصـــان قــائلاً " صبرا يا سيدى ، قوتـــى لا تتحملــك إلا أنــت وربــة البيــت

فقط ، ولكن ليس لـــدى القـدرة علـــى أن أحمـــل مخلوقـــات ثـــلاث . "

بحث ورجاجى فى كل مكـــان فلـــم يـــر أحـــدا ، وأخـــيرا شعر بشىء ثقيل قليلا فى جيبه ، فمـــد يـــده وأخـــرج إيليـــا ، ونظر إليه جيدا وقال " أنت يا بنـــى آدم ، مـــاذا فعلـــت حتـــى جئت إلى هنا ودخلت جيبى ؟ " كـــان إيليـــا يتوكـــل علـــى الله دائماً، ولا يخشى أحدا ، فنظـــر إلـــى ورجـــاجى دون خـــوف أو دهشة وقال " يا سيدى ، امرأتك هى التـــى وضعتنـــى فـــى جيبك يا سيدى " وفى الحال أغضـــب وأخـــذ هـــذا الصنـــدوق الذى ترقد فيه الفتاة وألقى به فوق جبـــل فـــى وســـط النـــهر، وقال " امكثى هنا ، أيتها المرأة القذرة ، ســـتبقين هنـــا حتـــى يوم القيامـــة " .

أخـــذ ورجـــاجى إيليـــا وأجلســـه أمامـــه علـــى الحصـــان وواصل السير وبعد قليل هـــدأت نفســـه ، فســـأل إيليـــا عـــن موطنه ومدينته وأخباره كلها فقص لـــه قصتـــه منـــذ البدايـــة حتى النهاية ، وفـــى الحـــال ألفـــت المحبـــة بيـــن قلبيـــهما ، فواصلا الرحلة يتحدثان عن أخبارهما كأنـــهما صديقيـــن .

وقبل أن يصلا إلى المـــنزل قـــال ورجـــاجى لإيليـــا " إذا وصلنا إلى المنزل سأحملك لتحيـــة والـــدى ، فـــإذا مـــد يـــده ليحييك لا تمد إليه يدك ، يوجد حـــداد عنـــد بـــاب المـــنزل ،

ستذهب إليه وتأخذ منه قضيبيا من الحديد وتضعه في النار ، فإذا مد إليك يده مددت إليه هذا القضيب الحديدى فيمسكه بدلا من يدك . فقال إيليا " وهو كذلك " .

واصلا السير حتى بلغا باب القصر ، فتملكت الدهشة إيليا لضخامة البناء فقد كان يشبه الجبل الأبيض ، زين بمختلف الزينات ، وحينما سرت بداخله رأيت الكراسى والفراش . حتى نوافذه من المرايا مغطاة بألوان مختلفة من الستائر ، والمصابيح فى كل مكان . وخلاصة القول أنه مملوء بجميع متع الحياة ونعيمها .

بعد قليل خرج جيجى جيجى ووقف على باب الدهليز ليرحب بورجاجى . يسأله عن المدن التى زارها ، فقال له ورجاجى أنه زار بلاد الشرق ، حيث عاد بصديق من هناك ، فأمر أن يأتى إيليا لتحيته .

وكان إيليا قد وضع القضيب الحديدى الضخم فى النار ، وأخذ ينفخ فى النار حتى التهب الحديد ، وأخذ ينتظر حتى يستدعيه . ذهب ورجاجى مع إيليا ، مد جيجى يده لإيليا ليحييه فمد إليه القضيب الحديدى فأمسك الحديد الملتهب كأنه يمسك يد من يحييه ، وبعد قليل ترك القضيب وقد صار باردا قائلا " إنك يا ورجاجى قد

وجدت الصديـــق الــذى يشــبهك وجديــر بــأن يكــون لــك صديـق".

وفى اليــوم التـــالى خـــرج إلـــى بــاب القصـــر ، ووقفــا يتأملان من بعيد اتساع الريف وضخامـــة الأشـــجار ، ونظــر إيليا فرأى على بعد حصانـــه قواليلـــى يرعـــى بـــالقرب مـــن القصر . فملأ السرور قلبه وأســـرع إليــه وأمســكه فتعجــب ورجاجى من هذا الحصان ، فـــأخذاه وربطـــاه فـــى المربــط ووضعا له الطعام وقدما إليه المـــاء .

وفى المساء ركبا حصانيهما وخرجـــا يتنزهـــان ، وتتبعــا حافة الجبل وهما فى فرح وسرور ، وواصـــلا الســير حتـــى وصلا إلى مكان جبلى ، وبالقرب من الجبـــل رأيـــا صندوقــا مفتوحا وكتب عليه " هـــذا الصنـــدوق مـــن قبــل لورجـــاجى ليكون قبرا له ، فلما رآه إيليـــا قـــال " دعنـــى أجربـــه لأرى لعله صنع لى " فنزل ودخل الصندوق ، فوجـــده مناســبا لـــه تماماً ، كأنه قد صنع له بمقاساته ، لقـــد مـــلأه حتـــى تعـــذر عليه التحرك داخله ، فمد يده مـــن داخلـــه وأغلـــق غطـــاءه ، فانقفل الصندوق تماماً . ولم توجد ثغرة تدخـــل منـــها شـــعرة الـــرأس .

أعلــق ورجـــاجى الصنـــدوق دون أن يـــودع إيليـــا ، لـــم يحمله وصيته يبلغها لأبيه ، لذلك طلب مـــن إيليـــا أن يفتحـــه ليبلغه الوصية ويودعه ، فمد إيليـــا يـــده ، وحـــاول أن يفتـــح

الصندوق ، ولكنه عجز عن تحريك الغطـــاء . فتــألم وقـــال " لا أستطيع فتح الصنـــدوق " قـــال ورجــاجى " خـــذ ســيفى الذى أحارب به ، وأقطع حافة الصنـــــدوق " فمــد إيليـــا يــده وأخذ السيف ، وقـــال ورجـــاجى " اقـــترب منـــى " فـــاقترب إيليا، فنفخ ورجاجى فى جسد إيليا بكل قوتـــــه ، وفـــى الحـــال أخذ إيليا السيف بسرعة كأنه يحمل عودا مـــن الغـــاب وقطـــع الصنـــدوق بقـــوة ، فـــدوى الصـــوت فـــى أنحـــاء الغابـــة ، واشتعلت النار فى الغابة ، واضطرب المكـــان كـــأن الســـماء قد انطبقت على الأرض ، وانتشرت ألســـنة النـــار فـــى كـــل مكان ، وبدلا من أن ينفتح غطاء الصنـــدوق ازداد إحكامـــا.

وبعد أن هدأت المنطقة ، قال ورجاجى " اقـــترب يـــا إيليـــا لأزيدك قوة ، سأمدك بكل ما لـــدى مـــن قـــوة " قـــال إيليـــا " سيدى إذا زادت القوة التى لـــدى عـــن ذلـــك ، لـــن تســـتطيع الأرض بمن عليها أن يسلبنيها ، أشـــكرك كثـــيراً ، أريـــد أن تقول كل ما تريد ، إذا استطعت سأفعل مـــا تريـــد . "

قال ورجاجى " لا شئ أكثر من ذلك تســـتطيع فعلـــه لـــى، لقد انتهت حياتى الآن . أترى هـــذا الصنـــدوق أنـــه قـــبرى ، أشكرك بارك الله فيـــك ، وقـــاك الله مـــن شـــر النـــاس ، إذا وجدت فرصة للعودة ، بلغ تحيـــاتى إلـــى والـــدى ، وأخـــبره بما أصابنى من أقدار فى هذا المكـــان ، أســـأله الله أن نلتقـــى فى دار الســـلام .

هذا الكلام الذى قالــه ورجــاجى ، أثــار غضــب إيليــا ، وأحزنه ، وأفقده لذة الحياة ، وتحير فيما يفعلـــه ، ثــم انفجــر فى البكاء ، وطلـــب المغفــرة مــن ورجــاجى ودعــا لــه ، ومكث مدة على حافة الصنـــدوق يبكـــى . وبعــد أن هــدأت نفسه وتذكر أن كــل شــئ بقضــاء مــن الله ، ولذلــك أخــذ يحدث نفسه قـــائلا " الآن إذا رجعــت مـــاذا أقــول لجيجـــى جيجى ؟ لا ينبغى أن أعود إلـــى هــذا المكــان " ثــم ركــب حصانه ، وواصل الســير ، وهــو لا يعــرف لــه وجهــة ، وتتبع انحدار الجبل ، وأخذ يســير حتــى بعــد عــن المكــان فتلفت حوله فوجد دمـــوع ورجــاجى تتصبــب مــن ثقــوب الصندوق ، فأشفق عليه ، وانفجر فى البكـــاء مــرة أخــرى ، ثم نزل من فوق الحصان وجلس يفكر ، وقـــد بــدى الحــزن على وجهه ، وبعد أن مكث فــترة علـــى هــذا الحــال ، قــام وواصل رحلتـــه .

إيليا يهيم على وجهه :

واصل إيليا السير أياما وأياما حتى وصل إلى مدينة صغيرة ، فنزل ليستريح يومين . ولم يمض وقت طويل حتى ألفه سكان المدينة ، وفرحوا بقدومه . وصار كأخ لهم ، كلما ذهب إلى مكان عاد إليهم . وبعد أن أستراح قال لهم ذات يوم أنه سيذهب إلى مدينة قب . فدهش الناس لذلك .

على طريق مدينة قب يعيش عفريت ضخم يقطع الطريق على القوافل ، لو تعرض لجمع كبير من المحاربين يسلب متاعهم، ومهما كانت شجاعة المحاربين يستطيع هذا العفريت التغلب عليهم ، وقد ذاعت أخباره في كل مكان في المدينة ، حتى قطع الطريق تماما ، وصار لا يسلكه أحد . وكان هذا العفريت يسمى جوجي، وله تسعة أبناء ، ومن بينهم فتاة تسمى جليلى ، لها عين واحدة ، هي التي ورثت كل أفعال جوجي الشريرة وطباعه .

ولمعرفة الناس أخبار هذا العفريت حاول الناس أن يمنعوا إيليا من الذهاب إلى مدينة قب . ولكنه أصر على

عزمه . فلما أعيتهم المحاولة تركوه . وأشاروا عليه أن يغير الطريق ، فقال أنه لابد أن يسلك هذا الطريق ، فودعوه ، وذهب إلى مقصده .

ولم يكن إيليا يفخر بشيء كما يفخر بسيفه ، والقوة التى وضعها الله فيه ، وكان لسرجه أثنا عشر حزاما ، وكان سيفه إذا ضرب به الصخرة انقسمت نصفين . وإذا اجتمع عليه مائة من الشجعان العتاه استطاع القضاء عليهم وتفريقهم .

وقبل رحيلهم بيوم واحد ذهب إلى مسجد المدينة الكبير، وأكثر من الدعاء وسأل الله أن يوفقه ، وعقد العزم على الذهاب إلى مدينة قب ، وسلوك الطريق الذى يقال أن أحدا لا يسلكه إلا وقضى عليه . وأخذ على نفسه عهدا بالا يستعمل سيفه حتى يصل إلى مدينة قب ، مهما كانت شدة الأخطار التى سيواجهها فى الطريق . عاد منزله واستعد ، وفى الصباح ركب حصانه ، واتخذ طريقه وواصل السير أياما وأياما دون أن يرى فى طريقه منزلا ولا مدينة . فلم تقع عينه إلا على الغابات .

واستمر على هذا الحال حتى وصل إلى جبل طالما سمع عن عظمته كثيرا ، فلما رآه تحقق ما سمع ، أخذ ينظر إلى قمته وطوله فلم يجد لها نهاية ، أخذ يطوف

حوله لعله يجد مكانا يجتازه بسهولة، وأمضى خمسة أيام وهو يطوف حوله ، وأخيرا اكتشف مكانا صغيرا ، استطاع إصلاحه بسيفه وصعد منه وواصل الرحلة .

وبعد حوالى أسبوعين وجد النهر الكبير الذى سمع عنه كثيرا ، فنزل وتفقد المكان جيدا ، وربط حصانه ، ووضع متاعه فى الكوخ ، ونام . ولما طلع النهار قصد شجرة كبيرة وقطعها ، وأخذ يصنع قاربا ، قضى شهرا فى الغابة لا عمل له إلا صناعة القارب ، ولما انتهى أنزل فيه متاعه وحصانه ، وعبر النهر قاصدا مدينة قب .

وبعد أن عبر النهر قضى حوالى عشرين يوما ، اقترب من مدينة تسمى كانيغو . وقبل أن يصل حدود المدينة رأى على البعد فرقة من المحاربين يحيطون بالمدينة ، وتعذر الدخول إليها والخروج منها . وأخذوا ينتظرون سكان المدينة حتى يخرجوا إليهم فيقضو عليهم بعد أن يفتحوا باب المدينة . وقد عزم المحاربون على أن يكسروا الباب ويدخلوا المدينة بالقوة ويستولون عليها بالحرب إذا اعتصم أهلها داخلها . وكان عدد هؤلاء المحاربين كثيرا جدا ، ومهما كانت شجاعة الإنسان ، إذا رأى كثرتهم ومدى استعداداهم ، يتراجع عن قتالهم .

اجتمع كبار رجال المدينة في مسجد المدينة الكبير ، وأخذوا يدعون الله لعله يخفف عنهم هذه المصيبة بعد أن أغلقوا أبواب المدينة كلها .

الله سميع الدعاء ، وإذ بإيليا يهاجم معسكر هؤلاء المحاربين فجأة من الخلف ، وهو على ظهر حصانه قوليلى ، وهو لا يعرف ماذا يجرى خلف أسوار المدينة . هاجمهم وهم باختراق صفوفهم ، فالتفوا حولهم وأعلنوا عليه الحرب ، وأخذوا يضربونه بالسيوف والسهام والعصا الغليظة والرماح . تذكر إيليا الوعد الذى أخذه على نفسه بألا يستعمل السلاح حتى يصل إلى مدينة قب . فمد يده وجذب زمام حصانه واندفع به بين صفوفهم قائلا " أيها الوثنيون ، سيغلبكم الشجعان " وأخذوا يضربونه وهو يضربهم بيده ، واشتد القتال بينهم وبينه وحده .

وبعد قليل فرقهم جميعا ، وقتل بعضهم وجرح البعض الآخر ، فلما رأوا أنهم مهزومون لا محالة ، نجا الباقون وولوا الأدبار ، ولم يتركوا إلا الموتى والذين لا يستطيعون الفرار ، وانهزم معسكر المعتدين .

كان هذا هو اليوم الأول الذى بدأ فيه إيليا اختبار قوته وشجاعته . ومضى إلى بوابة المدينة فوجد الأبوباب كلها قد أغلقت ، فتراجع إلى الوراء ، ودفع حصانه قوليلى

فقفز إلى السور وإذ به داخل المدينة . ذهب إلى قصر المدينة فلم يجد أحدا ، فقد ذهب الجميع إلى المسجد حيث يرددون الدعوات . لم ينتظر وتوجه إلى المسجد ، وسألهم عن سبب تجمعهم فى هذا المكان فقص الأمام عليه قصة هؤلاء المحاربين ، فقال إيليا " لقد استجاب الله اليوم دعوتكم ، ولم يبق أحد من المحاربين ، لقد طردتهم جميعا فاطمئنوا " نظر الناس إلى إيليا ، فى دهشة مما يقول ، ولكنهم لم يصدقوا .

لما أدرك إيليا عدم تصديقهم لكلامه ، طلب منهم أن يبعثوا من يطل خارج السور ليرى بنفسه ، قال بعض الكبار منهم ، ابعثوا من يتحقق من الأمر . وفى الحال بعثوا بعض الشجعان ، فصعدوا فوق السور ونظروا على البعد ، فلم يجدوا أحدا ، إلا الموتى والجرحى مبعثرين فى كل مكان . فأخذوا يصيحون صيحة النصر الحربى . وحملوا الأخبار إلى الأمير . وعم السرور جميع أنحاء المدينة وفى الحال انطلقت الطبول والمزامير . واجتمع الأمير مع جميع كبار المدينة وأخذوا ينظرون إلى إيليا فى دهشة بالغة ويعربون له عن شكرهم . كما قص عليهم كيف بدأت هذه المعركة .

وعندما أقبل الليل ، اجتمع كبار رجال المدينة ، وتبادلوا الآراء ، وطلبوا من إيليا أن ينتظر ليعينوه أميرا

بعد وفاة أمير المدينة ويولونه السلطة ، وجمعوا له ألف مد من الذهب والكثير من الفضة ، وغير ذلك من المتاع القيم ، وقدموه إليه ، إلا أنه أخبرهم أنه ليس بحاجة إلى شيء منهم . وكل ما يريده منهم أن يدلوه على الطريق إلى مدينة قب . عندما سمع هؤلاء الناس اسم المكان الذى يقصده ، قاطع بعضهم كلامه وأخذ بعضهم يتنهد والبعض الآخر أخذ يقول لا حول ولا قوة إلا بالله . واجتمع أمير المدينة وإمامها وكبار رجالها ، وحاولوا إقناع إيليا بعدم الذهاب إلى مدينة قب ، لأنهم متأكدين من هلاكه ، وقصوا عليه قصة الغابة التى تقع فى الطريق إليها والتى لم يسلكها أى مخلوق من خمسين عاما ، والتى ليس فيها إلا الفيلة والحيوانات المفترسة وهذا العفريت الذى يسمى جوجى قاطع الطريق . وأن أكثر من مائة رجل ذهبوا لقتله فتعذر عليهم وقتلهم جميعا .

إيليا يلتقى بجوجى :

كل هذه القصص لم تثنى إيليا ، إلا أنـــها زادتـــه إصــرارا على الرحيل قال " دلونى علـــى الطريــق فقــط . إذا هلكــت سيجمعنا الله على الخير يـــوم القيامـــة . وإذا نجــوت أرجــو من الله أن أعود إلى مدينتكم مـــرة أخــرى لمســاعدتكم أكــثر مما فعلــت الآن " .

صبروا على ما ســـيلاقيه وتركــوا إيليـــا ، ودلــوه علـــى طريق مدينـــة قـــب ، واصطحبـــوه إلـــى خـــارج المدينـــة ، وودعوه ، وواصل السير نحو الغابة الموحشـــة أيامـــا وأيامـــا لا شيء فيـــها إلا التـــلال والجبـــال والشـــلالات والأنـــهار . أحيانا تهطل عليه الأمطـــار بغـــزارة ، وأحيانـــا يســـير فـــى أماكن لم يسلكها مخلوق منـــذ أن خلـــق الله الأرض . وهكـــذا مرت الأيام حتـــى دخـــل إيليـــا الغابـــة التـــى يعيـــش فيـــها جوججي. وواصل السير حتـــى وصـــل إلـــى المكـــان الـــذى يعيش فيه العفريت تمامـــا .

رأى جوججى إيليا من بعيد قادما ، وهو أمـــر لـــم يحـــدث منذ سنوات عديدة فاسرع وســـحب عصـــاه الغليظـــة ، وبـــدأ يستعد ويلعق شـــفتيه . وذهـــب للقـــاء إيليـــا وهـــو يصيـــح ،

فيخرج الدخان من فمه ، وقد أصـــاب قواليلـــى الرعـــب مـــن صراخـــه ، فســـار الـــهوينا وكـــاد يركـــع علـــى الأرض ، فغضب إيليا وضربه ، وأســـتأنف الســـير ، قصـــد جوججـــى إيليا مباشرة لقتله ، ولكن إيليـــا تذكـــر وعـــده بـــألا يســـتعمل السلاح . فانتزع غصن شجرة وأصلحه وثبتـــــه فـــى القـــوس بدلا من السهم ، وصوبـــه علـــى قلـــب جوججـــى ، وأطلقـــه عليه وبدلا من أن يصيب صدره أصاب أذنـــه اليســـرى ، ثـــم صوب على أذنه اليمنى ، فارتفع جوججـــى إلـــى أعلـــى ثـــم سقط على الأرض ، ثم قام وصرخ صرخة ، ثـــم وقـــع علـــى الأرض ، كأنه فيل ضخـــم .

وفى الحال نزل إيليـــا وربـــط جوججـــى بزمـــام حصانـــه السميك ثم ساقه أمامه وقصد المكـــان الـــذى يقيـــم فيـــه هـــو وأولاده .

واصلا السير حتى عبر شـــلالا ووصـــلا إلـــى نـــهر فـــى وسط غابة تحيط بها الجبال . حيث توجـــد حدائـــق كثـــيرة ، ومهد وســـطها بحجـــارة كالأســـمنت ، وبنيـــت أعمـــدة مـــن الحديد كالدعامات وبنيت عليها حجـــرة كبـــيرة .

عندما رأى أبناء جوججى إيليا قادما مـــن بعيـــد ، غمرهـــم السرور وأخذوا يقفزون ويقولـــون " ألـــو ، هـــا بابـــا قـــادم ، جاء لنا باللحم ، اليوم سيكون عندنا وليمة " هـــــذا يقـــول أنـــه

سيأكل الرأس ، وهذا يقول أنه سيأكل العيـــن ، حينئـذ قـالت لهم مليلى التى تعد الطعام " أنتـم أغبيـاء ، انظـروا جيـدا ، أبونا هو الذى وقع فى الشرك اليوم ، ليـس هـو الصيـاد . " ثم حدقـوا بأعينـهم جيـدا ينتظـرون وصـول إيليـا. قـال جوججى لأولاده من بعيـد بـألا يلمسـوا إيليـا ومـع ذلـك اقتلعت مليلة إحدى الدعامات الحديدية وضربـت إيليـا علـى رأسه . فلم يلتفت إيليا . فرفعتها مـرة أخـرى وسـتضربه ، فغضب إيليا . ومد يده وجذبها ، ودفعها إلـى أعلـى فوقعـت على الأرض فتكسـرت .

قال جوججى " أى لقد قلت لكم ، ها هـى العينـة " وقـال لأولاده أن يحضروا حقيبة كبـيرة . بـها مائـة قطعـة مـن الذهب ، وأخرى بها مائتان من الفضة وخمسـين قطعـة مـن اللؤلؤ ويقدمونها لإيليا ليطلق سـراحه .

قال إيليا " دع جواهرك ، لا أريـد منـها شـيئا ، مـرادى أن أذهب بك إلـى مدينـة قـب ، وتـرك أبنـاء جوججـى يبكون.

ومرت الأيام وهما على هذا الحال يسـيران فـى الطريـق حتى وصلا ذات يوم إلى مدينة قـب . فلـم يقصـد إيليـا أى مكان غير مسجد المدينة ، فربط حصانـه وربـط جوججـى، وقال له ألا يفكر فى الهروب ، فقال مـن يسـتطيع أن يفكـر

فى الفرار . وفى الحال ذهب إيليا إلى القصـــر ، وبعــث مــن يخبر ولديما أمير المدينة بأنه قدم من مدينــــة كـــاينغو متخــذا الطريق الذى لا يسلكه أحد ، فتملكت الدهشـــة ولديمـــا ، فلــم يصدق هذه الرسالة ، وطلب إحضـــــار إيليـــا ، وســأله عــن مدينته وأخباره ، فقص عليه كل ما حدث مـــن البدايـــة حتـــى النهاية ، ومع ذلك فلـــم يصـــدق ولديمـــا تمامـــا أنـــه ســلك الطريق المهجور وأخذ بعــض الحــاضرين يقولـــون لإيليـــا " أنت تكذب ، الطريق الذى عجـــز كبـــار الفرســـان والمشـــاه عن سلوكه ، تقول أنك سرت فيـــه وحـــدك " وهنـــا غضـــب إيليا وقال " قوموا واذهبوا إلـــى المســـجد الكبـــير وســأبرهن لكم على قولـــى " .

خرج الأمير والأمـــيرة وأهـــل المدينـــة إلـــى المســـجد ، واقترب كل منهم من جوججـــى وهـــو مربـــوط ، ففعـــل مـــا يفعله الفأر عندما يـــرى القـــط ، واضطـــرب المكـــان كلـــه ، وهرب الناس إلى منازلـــــهم ، فلمـــا رأى إيليـــا ذلـــك زجـــر الناس فأصابهم مـــن الرعـــب أكـــثر ممـــا أصابـــهم لرؤيـــة جوججى ، ولم يجدوا مفرا وأخـــذ الجميـــع يـــتراجع خوفـــا ، بعضهم سقط علـــى الأرض ، وبعضـــهم لجـــأ إلـــى الوديـــان حيث اعتصموا ، ولديما نفسه أصابه الرعـــــب فقـــال لإيليـــا " صدقنا أنك سلكت هذا الطريق ، لأننـــــا رأينـــا الدليـــل علـــى ذلك . والآن ينبغى أن تذهب معنـــا إلـــى مـــنزلى لتســـتريح . وتأكل بعض الطعام ، وفى المســـاء يجتمـــع النـــاس ، ونـــأتى

مرة أخرى لنشاهد جوججى ، نريد أن نجعلـــه يصـــرخ كمـــا كان يفعل فى جموع الناس إذا لقيهم فـــى الطريـــق " .

قال إيليا " وهو كذلك والآن هو يشـــعر بـــالجوع ، يجـــب إحضار الطعـــام لـــه والخمـــر ، ليمـــلأ بطنـــه ويســـتطيع أن يصيح صيحته " فأمر ولديما أن يحضـــر لـــه حوالـــى مـــائتي برميلا من الخمر وكميات كبيرة مـــن الـــثريد ، حتـــى أكـــل وشبع .

وقبل المساء كان الخبر فى جميع أنحـــاء المدينـــة ، وأخـــذ كل إنسان يمنى نفسه برؤيتـــه . وتزيـــن الأمـــير والأمـــيرة ، وخرجا فوجدا القصر قد امتـــلأ بجمـــع خفـــير مـــن النـــاس ، فسار أمام الناس قاصدا جوججـــى .

قال إيليا " يا جوججـــى الأمـــير ولديمـــا يريـــد أن يســـمع الصرخة التى تطلقها للناس عندما تلقاهم فـــى الطريـــق "

فتح جوججى عينيه فرأى كثـــيرا مـــن النـــاس . فابتســـم ، ثم وضع فمه فى الأرض وضربها برجليه عـــدة مـــرات ثـــم زأر ، زئيرا لم يفعله مـــن قبـــل ، فـــأحس النـــاس بصـــوت يفـــوق صـــوت الرعـــد عشـــر مـــرات . وأن الأرض تكـــاد تنشق، وقد عجز الناس عن الـــهروب مـــن شـــدة الخـــوف ، يعتقدون أنهم سيلقونه حيث ذهبوا . بعضـــهم أغمـــى عليـــه ، والبعض الآخر وقع علـــى الأرض ينتظـــرون المـــوت . أمـــا

القريبون من الأمير والأميرة فقـد داسـوهم بـالأقدام دون أن يعرفوهما من شـدة الـهلع . وهنـا زجـر إيليـا جوججـى ليسكت ونظرا لقوة إيليا فقد كانت زجرتـه أشـد رعبـا مـن زئير جوججى . أما من استطاع التحـرك مـن النـاس فقـد تفرقوا تماما يظنون أنه سيقضى عليهم كمـا شـعر جوججـى بالرعب حتى عجز عن الفرار فركع أمـام إيليـا يعـبر عـن أسفه ويطلب المغفرة بوضع التراب علـى رأسـه . ويقـول " لقد قدمت إليك كل ما لدى مـن ثـروة ، حتـى لا تـهلكنى " قال إيليـا لجوججـى " لا أريـد أى شـىء منـك ، ولكـن سأقتلك ، هذا جزاء ما فعلت فى الناس سـنوات عديـدة " .

لقد وفى إيليا بالوعد الذى أخـذه علـى نفسـه ، فمنـذ أن حضر إلى مدينة قب لم يسفك قطـرة مـن الدمـاء ، فذهـب بجوججى خارج المدينة ، وانـتزع سـهما واحـدا ووضعـه فى القوس وصوبه نحو حنجرتـه ، فـارتفع جوججـى إلـى أعلى ، ثم سقط ميتا . ثم عـاد إيليـا إلـى القصـر وأخـبر الأمـير .

فرح الناس جميعا . وليعبر الأمير عـن سـروره لإيليـا ، جمع كل كبار المدينـة وأثريائـها ، وأقـام حفـلا عظيمـا . وبعد أن استراح إيليا عدة أيـام ، ودع الأمـير وأخـبره أنـه سـيرحل .

إيليا يهيم على وجهه مرة أخرى :

أثناء التجول الذى كان يقوم بـه إيليـا ، ذهـب ذات يـوم إلى مدينة كبيرة ، واشتهرت بحب القتـال ، وكـانت تحكمـها أميرة صغيرة تبلغ من العمـر عشـرين عامـا ، غايـة فـى الجمال والشجاعة ، لم يمض وقـت طويـل حتـى تزوجـها إيليا ، وعاشا معـا حوالـى ثـلاث أشـهر يسـتمتعان بلـذة الحياة، ونشـوتها . وذات يـوم كانـا يجلسـان تذكـر إيليـا الحروب فجأة ، فتغير وجهه فـى الحـال . واسـتغرق فـى التفكير. قال للأميرة أريد أن أهيـم علـى وجـهى فـى هـذه الدنيا ، لأرى عجائبـها ، لقـد مضـت فـترة طويلـة علـى إقامتى هنا " فغضبـت الأمـيرة ، وأخـذت تقنعـه بالبقـاء ، ولكنه رفض ، حتى عرضت عليه ملكـها . ولكنـه رفـض . فانفجرت فى البكاء وعانقته ، وأخذت تتوسـل إليـه .

قال إيليا " عليك أن تكفى عـن البكـاء ، لأننـى لابـد أن أرحل ، وأسالى الله أن يكتب لنـا اللقـاء مـرة أخـرى ، وإذا لم نلتقى فى الحيـاة الدنيـا ، أسـأل الله ان يجمعنـا فـى دار السـلام "

ولما أقبل الصباح وضع إيليا السرج على ظهر قوليلي، وركبه وخرج وليس معه إلا السهم والسيف والعصا الغليظة المعلقة . وأستأنف سيرته فى الحياة الدنيا، خائضا الكثير من الحروب ، حينما يسمع عن فوضى أو اضطراب يسارع ويذهب إلى ميدان القتال ويحارب المعتدى ، حتى يستتب الأمن فيستأنف مسيرته .

بعد أن ترك إيليا الأميرة بدأت تشعر بالحمل ، وبعد عدة أشهر وضعت مولودا وأطلقت عليه فللو . ومرت الأيام وكبر الأبن . وكان يشبه أباه تماما فى الشكل والخلق ، لم يترك من أبيه شيئا ، حتى بلغ مبلغ الرجال وصار لا مثيل له فى الشجاعة فى كل أنحاء الريف ..

وذات يوم سأل والدته عن أبيه من هو ، وأين يعيش . فقالت أنه مات قبل أن يولد .

ومنذ هذا اليوم قرر فللو أن يهيم على وجهه فى الدنيا، ويحارب المعتدين حتى يموت كأبيه . فحزنت والدته لقراره ، وحاولت إقناعه بالعدول عنه ، ولكنه صمم على أن يرث أباه .

فلما أحست أنها لا تستطيع منعه قالت له " إذا ذهبت إلى ميادين القتال والتقيت برجل يسمى إيليا الإبن القوى فسأله المغفرة وامض لشأنك . فلا تنازله، فلن ينتصر

عليك إلا هو " فلما سمع ذلك سكت طويلا ثم قال وهو كذلك ، وودعها وذهب إلى شأنه .

كان فللو يعرف أن والدته أميرة ، فلابد أن أباه أميرا . لذلك خشيت أمه أن تخبره أن أباه ليس أميرا ، وأنه مجرد محارب شجاع من أفراد الشعب ، فيغضب ويقتل نفسه . هام على وجهه ، وأخذ يحارب حيثما ذهب ، وكان ينتصر فى كل معركة ، حتى ذاع صيته جدا فى كل أنحاء مدينة قب ، وكانيغو فأخذوا يتفاخرون به ويرهبونه رهبة شديدة . أخذ يحارب المفسدين فى كل مكان ، دون أن يستطيع أحد التغلب عليه .

بينما كان إيليا يخوض هذه المعارك المتواصلة ، ويدحر الظالمين الذين يؤذون الناس بلا جريرة . لأنه لا يظلم ولا يحب الظالمين لذلك لم يكن له أعداء إلا الظالمين . وذات يوم كان يجلس مساء يتنسم الهواء خطرت مدينة قب فى ذاكرته ، وتذكر ولديما أمير قب ، وما كان يعانيه عدوان جوججى قاطع الطريق . فقال لنفسه لقد طال فراقى لهذه البلاد ، يجب أن أذهب لارى أحوالهم وما هم عليه " ولما طلع النهار لبس لباس الحرب وأخذ سيفه ورمحه وعصاه الغليظة ووضع اللجام فى فم قوليلى وتوجه إلى مدينة قب .

عشاء الأمير ولديما :

في اليوم الذى وصل فيه إيليا إلى المدينة ، وجد الأمير قد أعد وليمة عشاء وجمع أمراء المدينة ، وأولاد الأمير والعلماء ، والأثرياء والشجعان الذين قاموا ببطولات غير عادية . أعد لكل هؤلاء المكان المناسب لرتبته ، وقد ارتدى كل منهم أفخر الثياب والحلى ، وجلس الأمير والأميرة على كرسى فى ناحية واحدة . وأخذ الخدم يوزعون الطعام ألوانا .

عندما وصل إيليا لم ينتظر السماح له بالدخول ، فدخل الحجرة التى أعد بها الطعام ، ولم يتوقف فى أى مكان حتى وصل مكان الامير ، وحنى رأسه ، ثم جلس بالقرب منه ، لم يعرفه ولديما ، فنظر إليه غاضبا وقال " لقد سررت بقدومك هذا الحفل الذى أعددته لكبار القوم ، والشجعان والأثرياء وسآمر بمن يعد لك الطعام فى الطرف الآخر . ستأكل وتشرب مجانا ، بالرغم من أنك لست ممن أعددت لهم هذا الحفل . ولكن من أين جئت ؟ ومن أى مدينة أنت ؟ ومن أية ناحية ، ومن أبناء من ؟

عندما سمع إيليا ذلك غضب ، وقـــد تــأكد أنـــه لا توجــد شجاعة مثله فى هـــذا الجمـــع كلـــه . ولا ينبغـــى أن ينســاه الأمير . حتى يأمر أن يعد لمثله مكانـــا فـــى طـــرف الحفـــل ويأكل مجانا . ثم قال " يا ولديمـــا أنـــا مـــن يـــأكل طعـــامك مجانا ، أنا من يقال لـــه هكـــذا وســـط النســـاء " فلمـــا ســـمع الشجعان أنه يشبههم بالنســـــاء ، نظـــروا إلـــى إيليـــا جميعـــا بغضب ، وتقدم أحدهـــم وقـــال " أنـــت تقـــول للأمـــير هـــذا الكلام؟ أنت كذاب ، أيـــن تـــرى النســـاء هنـــا ، إلا إذا كنـــت مجنونا " واشـــتد غضـــب الأمـــير واســـتدعى ســـتة رجـــال شجعان وطلب منهم أن يخرجوا إيليـــا . فلمـــا اقـــتربوا منـــه دفعهم فسقطوا صرعا جميعا . فأمر بعشـــرة رجـــال شـــجعان آخرين بالقبض عليه ، وفـــى الحـــال قضـــى عليـــهم ولحقـــوا بإخوانـــهم .

واضطرب المكان ، وارتفع الغبـــار إلـــى الســـماء وأخـــذ كل من الحاضرين يغمـــض عينيـــه ، مـــات بعضـــهم تحـــت الأقدام والبعض الآخر ولى الأدبار . وخـــرج إيليـــا لشـــأنه ، وركب حصانه وذهب إلى سوق المدينـــة ، واشـــترى بعـــض الطعام ، وجمع أهل المدينة ، وأمرهم بمـــلأ بطونـــهم . قـــال بعضهم أنهم يخشون أن يسمع الأمـــير خـــبرهم فيبعـــث مـــن يقبض عليهم ، وقال لهم إيليا " كلوا ولا تخشـــوا شـــيئا ، غـــدا فى مثل هذا الوقت سأكون أمـــير مدينتـــه قـــب ، وســـأوليكم السلطة " فأكلوا الطعام خوفـــا منـــه ، وبعـــد فـــترة ، وجـــدوا

اهتماما ، وتبادلوا الطعام . أما إيليا فلـــم يـــأكل مـــن الطعـــام ولكن ذهب إلى أحد المنازل التـــى تصنـــع الطعـــام وأنـــواع الشراب وتبيعه غاليا وتناول طعامـــــه.

هذا الأمر ضايق ولديما . فجثـــث النـــاس مـــازالت ملقـــاة فى منزله ولم يأكل شيئا ، ويكـــــاد الجـــوع يلتـــهم أحشـــاءه ، بعد أن قتل كل خدمه . تمايل ولديمـــــا وســـأل بعـــض النـــاس هل تعرفون الرجل الذى أحدث كل هذه الخســـــائر؟قـــال أحـــد الرجال " نصرك الله يا سيدي ، إنه ايليـــا ، الـــذي جـــاء هنـــا قبل ذلك وقتل جوججي هذا العفريت العـــــاتي " فقـــال الامـــير " ويحكم أهكذا الأمر ، لقد شـــعرت أن هـــذا الأمـــر لا يفعلـــه إلا هو " ثم سأل هل يســـــتطيع أحـــد منكـــم أن يذهـــب إليـــه ليســـترضيه ويـــأتي بـــه فســـكت كـــل الجالســـــين فـــى القصريخشون على أنفسهم وأخيرا قال أحدهـــم أنـــه ســـيذهب إليه.

فلما اقترب من إيليا ، تسلل من خلفة حتـــى اقـــترب منـــه، فقال " تعالى الأمير يطلبك " ثم أسرع جاريـــا صمـــت إيليـــا ، وانتظر أن يرى رسول الأمير ليأتي ويبلغـــه الرســـالة ولكنـــه لم ير أحدا . فالتفت فلم ير أحدا ، فقال فلم يـــر أحـــدا ، فقـــال " هذا ما توقعته ، أى جبان . ومهما كان اســـمه ، لـــو انتظـــر لصار خبرا بعد عيـــن "

بعث إيليا إلى ولديما أنه قـــادم ، ولكنـــه طلــب أن يعلـــن فى المدن والقرى أن يجتمــــع الجميـــع عنـــد بـــاب قصـــره ، فيسقيم للجميع حفل العشاء . وأخبر كـــل صنـــاع الطعـــام أن يصنعوا طعاما شهيا وغال الثمن ، وسيشـــتريه كلـــه ويقدمـــه للناس . أخبر الأمير بذلـــك وفـــى الحـــال ، أمـــر بـــالإعلان وهو فى حالة من الرعب والخـــوف ، وأعلـــن الجميـــع بمـــا ينويه إيليا ، كل باعة الأطعمة تقدموا بما صنعـــوا حتـــى مـــن لم يسبق لـه صناعة الطعام . وجاء النـــاس مـــن كـــل مكـــان حتى من لم يسبق له زيارة المدينـــة ، وامتـــلأ فنـــاء القصـــر تماما . وأخذ إيليا يجلس كل إنسان فى مكانــــه، قسـم النــــاس جماعات جماعات . وأجلـــس الأمـــير فـــى طـــرف المجلـــس كأحد المتسولين ثم بدأ يـــوزع العشـــاء . ولمـــا انتـــهى قـــال للأمير " الآن شفى غليلـــي " .

قبل أن ينصرف الناس ، قـــام الأمـــير ، وأمـــر أن يعلـــن على الناس أنه سعد بهذا الحفل الـــذى أقامـــه إيليـــا ، ويريـــد أن تجتمعوا غدا مرة أخرى فسيقيم حفلا بمناســـبة قـــدوم هـــذا الضـيـف .

وفى اليوم التالى كان الجمع أكـــثر مـــن الأمـــس . وأمـــر الأمير أن يعد طعام لم يسبق إعداده مـــن قبـــل ، وأعـــد لكـــل جماعة مكانا مختلفا ، وجلس الأمـــير والأمـــيرة وإيليـــا فـــى هذا اليوم فى مكان واحـــد ، ولمـــا رأى إيليـــا الخمـــر لعبـــت

برؤوس كل الحاضرين ، قام وتسلل خارجـــا ، ولــم يعــرف أحد وجهته ، حتـــى لا يــدرك أحــد وأرتــدى ثيابــا عربيــة كثياب الحجاج ، وقصد قريـــة بــالقرب مــن مدينــة قــب ، وعندما أفاق الأمير من سكره ، تلفت حوله فلــم يجــد إيليــا ، فأمر أن يبحث عنه فــى كــل مكــان ، فــاقتفوا أثــره حتــى وصلوا إلى هذه القريـــة الصغـــيرة ، ولكنـــهم لــم يجــدوا إلا أحد الحجاج ، فعـــادوا وأخـــبروا الأمـــير ، فتحـــير الأمـــير تماما وظن أن إيليا مازال غاضبـــا .

لم يتوقف إيليا فى أى مكان إلا فى منزل يبـــاع فيــه نــوع من الخمور لا يستطيع شـــراءه إلا الأمـــراء ، وأخـــبر بـــائع الخمر أنه يرغب فـــى الشـــراء ، فنظـــر إليـــه بـــائع الخمـــر فوجده رجلا عجوزا لا يبدو أنه يملك مليمـــا واحـــدا فنـــهره ، قائلا " أيها العجوز اذهـــب لشـــأنك بـــالتى هـــى أحســـن ، لا أبيع الخمر لمثلك ، بلغـــت مـــن العمـــر عتيـــا ، ألا تعـــرف ذلك؟ أنفك غير نظيف ملابســـك رثـــة ، وتقـــول أنـــك تريـــد شراء الخمر ؟ أذهب لن أبيع لـــك " فـــأخذ إيليـــا يكـــرر لـــه الرجاء ، ولكن لم يبع له ، فوقع إيليا وأغمـــض عينيـــه كمـــن فقد الوعـــى ، فقـــال النـــاس لبـــائع الخمـــر " إذا لـــم تعطـــه سيموت ، وتدخل نفسك فى مشـــكلة " فـــأتى ببعـــض الخمـــر وصبه فى فم إيليا ، وفى الحـــال أفـــاق . وصبـــوا لـــه مـــرة ثانية وثالثة حتى شبع وانتفخ تماما . فدخـــل الحـــانوت ونـــام

واستغرق في النوم ، وعندما انتصف الليل وأيقظه صاحب الحانوت فرفض القيام ، فأغلقوا الحانوت عليه .

وفى الصباح استيقظ إيليا ، ودفع باب الحانوت بقدمه ففتحه ، وكان يوجد في الحانوت بعض براميل الخمر الكبيرة التى لا يستطيع حملها عشرات الرجال الأقوياء أو السير بها .

أخذ إيليا ثلاثة منها ووضع اثنين تحت أبطيه وأخذ يدحرج الثالث على الأرض برجله ، ويسير قائلا " كل من أراد أن يشرب خمرا فليأت هنا ، حتى من لا يشرب فليقبل على " فلما سمع أصحاب الحانوت لحقوا به وحاولوا انتزاع براميل الخمر منه فلم يستطيعوا ، فذهبوا إلى القاضى وتقدموا بشكوى إليه . وبعث القاضى إلى إيليا يرجوه الحضور . ولما وصلت هذه الأخبار إلى ولديما تأكد أنه لا يفعل هذا الأمر إلا إيليا ، لذلك قال عند قدومه " مرحبا يا إيليا ، عدت إلى طبيعتك الطيبة " فانفجر إيليا ضاحكا ، وعاد إلى خلقه الحقيقي الذي عرفه الناس ، ودفع لأصحاب الحانوت ثمن الخمر ، وأعطاهم ما تبقى منها .

تفرق كل رجال الحاشية ، بعد أن أقبل الليل ، وانتهى السمر ، وبقى ولديما وإيليا وحدهما ، قال ولديما " أريد

أن تساعدنا وأن تخلصنا ممن يسمى فللو وهو أحد المغيرين الأشرار الأقوياء ، فهو لا يدخل مكانا فى هذه المدينة إلا وسلبه ، يسلب الناس أموالهم ويضربهم ، ضايقنا جميعا ، وليس عندنا من يتصدى له . إلا أنت وحدك .

ابتسم إيليا وغير مكانه ، وشد شاربيه ، فقد جاء اليوم الذي ينتظره ، فقال للأمير " نصرك الله ، لا مانع ، أسأل الله التوفيق ، أريد أن تختار لى ستة من الرجال الشجعان الذين تفخر بهم لنذهب معا "

. لم يكن إيليا يحتاج إلى هؤلاء الستة ، ولكن ليختبر شجاعتهم فقط ، فأمر ولديما ستة من رجاله الشجعان بأن يستعدوا للذهاب مع إيليا .

عندما حان الحين ، واستعد هؤلاء الشجعان . ذهب إيليا أمامهم ، وهم يتبعونه ، وقصدوا الطريق الذي تعود فللو أن يسلكه .

إيليا يلتقى بفللو :

وقرب ظهور الصباح أحسوا بفللو قادمـــا . يقطـــع أشـــجار الغابة كالفيل الضخم ، خرج مختالا كشـــأنه ، لأنـــه يعلـــم أن أحدا لا يستطيع منازلته ، جاء ومــــر بـــالقرب مـــن المكـــان الذي يختبىء فيه إيليا مع رفاقــــه ، حيــث لا يراهـــم ، قـــال إيليا لهؤلاء الشجعان " من يستطيع اتباعــــه ليعــرف وجهتـــه ؟ وإذا وجد الفرصة سانحة تحــرش بـــه ؟ فســكتوا جميعــا ، ولم يجد من يقول أنه سيتبعه . وأخذ كــل منـــهم ينظــر إلـــى الآخر ، نظر إيليـــا لكبـــيرهم وأمـــره باتباعـــه فلـــم يســتطع المعارضة ، قام وأوثق أحزمــــة ســرج الحصـــان ، وركـــب واتبع فللو . وقلبه يرتجف خوفا ، وســـار وهـــو يفكـــر فيمـــا سيفعل مع فللو وهو يعرف تمامــــا أن مـــن يلتقـــى بـــه مـــن رفاقه الشجعان لابد هالك . واصل السير حتـــى لاح لـــه فللـــو من بعيد . نظر إلــــى فللـــو فوجــده يفحــص ثيابـــه وأدوات القتال ، ثم نظر إلى حصانه ، وضحك وألقـــى بـــالرمح إلـــى أعلى ، والتقطه وهو يفخر ويقول " اليوم لــــو التقيـــت بإيليـــا لانتصرت عليه ، اليوم كيف التقـــى إيليـــا "

عندما سمع هذا الشجاع فللو يذكر اسم إيليا تذكر أنه أيضا شجاع وفى الحال خفق قلبه ، وقال من بعيد " فللو كذاب ، سيقضى عليك إيليا إذا التقى بك "

التفت فللو فوقع نظره على المتكلم فصرخ صرخة مرعبة كانت كالرعد على مسمعه ، فأخذ الدخان يتصاعد من فمه وكأنه عاصفة مصحوبة ببريق ، وكان بالقرب منه نهر ففاضت مياهه ، وقصد فللو رسول إيليا ، فلما أدرك ذلك ولى الأدبار عائدا إلى إيليا ، ولشدة العدو تعثرت رجل الحصان فكبا ، فقام وجسده يرتجف خوفا وركب الحصان وواصل العدو حتى وصل إلى إيليا ، وهو يلهث وكأن روحه ستفارق جسده ، وبعد أن أفاق قليلا ، قص على إيليا ما حدث.

سمع إيليا كل ذلك وهو جالس فلما انتهى القاص تبسم ثم اضجع وأخذ يلعب فى قدمه ، ونظر إلى هؤلاء الشجعان فرأى الحيرة بادية على وجوههم ، وكأن عيونهم ستفارق محاجرها " الله أكبر ، لقد هاجمنا الشيب ولا وريث لنا "

ثم هب قائما وقصد حصانه قوليلى ، ومسح على ظهره وأخذ يمدحه قائلا " قوليلى حصان إيليا ، وهنا أخذ السرج ووضعه على ظهره وربطه جيدا وأخذ عصاه

الغليظة ، وعلق سيفه ورجاجى وأخذ الرمح والغمد والقوس ، واندفع قاصدا فللو .

عندما اقترب منه ، بدأ إيليا يستفزه قائلا " إيها المارد الفاسد ، اللص ، لماذا تدخل مدينتنا بدون إذننا " فتملك الغضب فللو وامتلأ غيظا ، ودفع حصانه وسيضربه بيد من حديد ، وتقابلا ثم تراجعا إلى الوراء ، وسحب كل منهما عصاه ، وأخذا يضربان بعضهما ، ووقف الشجعان يستمعون إلى أصوات الضرب وكأنها ديناميت يفجر الصخور ، وامتلأت الغابة بالأصوات المرتفعة وزئير الرجال ، وقطعت كل الأشجار المحيطة بمكان المعركة واستمرت المعركة حتى تكسرت كل عصيهم الغليظة ، ولم يجرح منهما أحد ، ثم استلا السيوف وارتفع صليل السيوف ، وإذا التقت السيوف ترى ألسنة النار قد تصاعدت ولمعت فى السماء كالبرق ، وبعد وقت قصير تثلمت كل السيوف ، فخطف كل منهما الرمح وتبادلا الطعنات حتى تكسرت الرماح . وهنا توقفا عن القتال وأخذ كل منهما ينظر إلى الآخر كما تفعل الديكة . فلما استراحا ، أستأنفا القتال بالأيدى ، وظلا يقتتلان حتى أقبل الليل وطلع النهار وظهرت الشمس ولم يتوقفا ، وقضيا النهار فى المصارعة والملاكمة ، حتى أقبل الليل ولم يتوقفا ، واستمرا هكذا لمدة ثلاثة أيام .

وهنا تذكر فللو أنه فـــى شـــرخ الشـــباب ، فأمســـك إيليـــا ورفعه إلى أعلــــى وألقـــاه علـــى الأرض وداســـه بقدميـــه ، وأمسك فأسا قصيرا ، ليضربه فى صـــدره ، فتمـــايل وتفـــادى الضربة فشقت الأرض نصفين ، فهب إيليا وأمســـك يـــد فللـــو بقوة ، ونظر إليه ثـــم ضحـــك وقـــال " أنـــت صبـــى تتـــازل الكبار ، ليس الذئب كـــالكلب ، والأمـــر المكتـــوب لا مغـــير له، أيها الشاب من أيـــن جئـــت ، ومـــن أى مدينـــة ، ومـــن أبـــوك ؟ ! "

قال فللو " الولد يمسك فى أطراف ثوب أمـــه، ومـــا شـــانك ببلدتنا أو والدى !! " فغضب إيليـــا وكـــأن هـــذا الكـــلام نـــار تأكل جسده ، فأمسك فللو ورفعـــه إلـــى أعلـــى وألقـــاه علـــى الأرض، ثم وطئه بقدميـــه ، تصـــور رجـــل قـــوى يضـــرب والدا ، وقال له " أن من يكلمك أيـــها الغـــلام رجـــل كبـــير ، أجبنى عما سألتك عنـــه ، وأرح نفســـه " فرفـــع فللـــو رأســـه ونظر إلى إيليا وقال " إذا كنت ضخمـــا كـــالفيل فـــإننى أســـد، لا ينبغى أن يكون كلام الرجل متناقضا ، مـــا قلتـــه لـــك فـــى البداية ، لا مغير لـــه "

فاشتد غضب إيليا ، وأمسك برأس فللو وهـــم بكســـره بيـــد من حديد كما يكسر البصل آكلـــه ، عنـــد ذلـــك شـــعر فللـــو بالموت المحقـــق فقـــال " انتظـــر ، لا تقتلنـــى ، ســـأخبرك " فترك إيليا رأسه ، وبدأ يتكلم فللـــو بصـــوت مرتعـــش " أمـــى

أميرة ، ولكن أبى رجل محارب مشهور ، مات ، فلما كبرت قلت لابد أن أموت فى ميدان القتال مثله . وعندما غادرت المنزل دعت لى أمى ، وأوصتنى قائلة إذا التقيت برجل يسمى إيليا الأبن القوى ، أسأله المغفرة وامضى لشأنك ولا تقاتله ، لأنه هو وحده الذى يستطيع القضاء عليك فى هذه الدنيا ، هو كل ما أستطيع أن أذكره لك من أخبارى " عندما سمع إيليا تصبب جسمه عرقا ، وأدرك أن فللو هذا هو ابنه ، فأوقفه وعانقه وأخذ يبكى ، وقبله قائلا " أبنى ، أسأل الله أن يصبرنا جميعا ، ما حدث هذا بسبب الجهل ، لقد غفرت لك فى الدنيا والآخرة ، وسعدت جدا بوجود من يرثنى " ثم ذكر له ما حدث حتى تزوج هذه الأميرة ، والحالة التى تركها عليها . وهام على وجهه فى الحياة ، وأخبرها إن شاء الله سألتقى بها فى يوم ما " قام فللو ونفض الغبار وركع وودع أباه ، وركب حصانه واستأنف السير .

لقد حدث ما كانت تخشاه الأميرة ، فقد كانت لا تريد أن يعرف فللو أن أباه هو إيليا ، وليس أميرا ، والآن قد عرف كل شىء . عندما وصل إلى المنزل ،لم يتوقف فى أى مكان ، ونادى بكل ما أوتى به من قوة فى صوته " أيتها العجوز العابثة المنافقة ، من ولدتنى بعد أن تزوجت رجلا فقيرا من عامة الشعب ، وليس من الأمراء ، اخرجى لقد انكشف سرك اليوم " فخرجت وهى ترتجف

باكية ، وركعت أمامه وقالت " هـــاأنا ذا "" لـــم ينتظـــر فللـــو طويلا . وأخذ السيف وقطع عنقـــها .

كل هذا الأمر لم يخفف مـــن حـــدة غضـــب فللـــو ، ولـــم يجعل للشفقة سبيلا إلـــى قلبـــه ، فـــالتفت وقـــال " يجـــب أن أعود لإيليا واقتله أنه هو الآخـــر منـــافق " ثـــم أمســـك لجـــام الحصان وأداره واتخذ ســـبيله وواصـــل الســـير عـــدة أيـــام ، حتى وصل إلى المدينة التى يعيـــش فيـــها إيليـــا فوجـــد إيليـــا مستغرقا فى نومـــه ، فدخـــل عليـــه ، ونظـــر إلـــى صـــدره وطعنه بالفأس ، عندما طعـــن فللـــو إيليـــا ، وجـــده يرتـــدى قميصا من الحديد على صدره ، فارتدت الفـــأس إلـــى أعلـــى وكأنها اصطدمت بصخر صلـــد .

استيقظ إيليا من النوم ، فوجد فللو واقفـــا ممســـكا بالفـــأس فقام وأمسك كتفه ، وهزه ثم دفعه إلى الحـــائط ، فمـــات فللـــو فى الحال ولم يتحرك ، وهكذا انتـــهت حياتـــه .

لم يكن أهل المدينة يعرفون أن فللو بـــن إيليـــا ، ففرحـــوا وازداد تقديرهم له بعـــد قتلـــه لـــه . وانتـــهت حيـــاة فللـــو ، واستمر إيليا فى حروبه مقاتلا الظالمين حيـــث كـــانوا .

إيليا واللصوص :

وذات يوم كان إيليا جالسا يتنسم الهواء فى حديقة كبيرة على شاطىء النهر ، يراقب القوارب سابحة فوق الماء ، وأنواع الطيور تلتقط الحب ، تذكر الحرب فجأة . تذكر الأخطار التى خاضها والتى سيخوضها فقال " الله أكبر ، الشيخوخة كبرت وكبر حصانى أيضا ، ولكن قلبى مازال شابا " ثم هب قائما وقال " يجب أن أهيم على وجهى فى الحياة لأعرف ما يجرى فيها " .

عندما وصل إلى المنزل ، وضع السرج على ظهر قوليلى ، واستعد وأخذ طريقه وواصل السير منذ بدأ يرى مظاهر الريف حتى صار لا يرى شيئا إلا الغابة وواصل السير حتى وصل إلى مكان فيه ثلاث سبل تلتقى هذه الطرق الثلاثة تماما ، كتب فوق حجر عريض " من يتبع الطريق الأيمن يجد الثروة الكافية ، ومن يتبع الطريق الأيسر سيجد نساء لا مثيل لهن ومن يتبع الطريق الأوسط سيلقى حتفه "

وقف إيليا يقرأ ، ثم أطرق مفكرا ، ثم قال " لقد بلغ بى الكبر عتيا ، ماذا سأفعل بالثروة ؟ وماذا سأفعل بالنساء ؟

فلأتبع الطريق الذى سألقى فيـــه حتفـــى ، لأرى لـــن يصيبنـــا إلا ما كتب الله لنـــا "

جذب إيليا لجام قواليلى ، واتخذ الطريـــق الأوســـط وســـار فيه ، حتى دخل غابـــة مظلمـــة متشـــعبة المســـالك . وفجـــأة التقى بجماعـــة مـــن اللصـــوص بلـــغ عددهـــم أربعـــة آلاف رجل، يتزعمهم رجل واحـــد ، كـــل منـــهم مسـلح بمختلـــف أنواع السلاح ، ينتظرون من يدخـــل عليـــهم فيكـــون ضيـــف الآخرة ، وفجأة رأوا إيليا بـــالقرب منـــهم ، فتعجبـــوا لأنـــهم يعلمون أنه لايوجد مخلـــوق يســـتطيع دخـــول هـــذه الغابـــة . فنهروه قائلين " أنت أيها الفارس انتظر " فوقـــف إيليـــا حتـــى وصلوا إليه . فرأوا حصانا لا مثيل له فـــى المنطقـــة . فقـــالوا " إلى أين ذاهب ؟ " وماذا جاء بك إلـــى هـــذا المكـــان ؟ قـــال إيليا " لقد سلكت الطريق لأذهـــب إلـــى شـــأنى ، لـــم أعـــرف باننى سألتقى بكم " فقـــال كبـــيرهم " ألا ترونـــه ينظـــر إلينـــا نظرة ازدراء ؟ ربما هو ممـــن يحتقروننـــا ؟

سخر منهم إيليـــا بأســـلوب ملتـــو فطأطـــأ رأســـه قـــائلا " ويحكم أيها الشباب كيف يحتقركم رجـــل عجـــوز فـــى مثـــل سنى ، وليس معى من الزاد إلا مائـــة جنيـــه ، وهـــذا الزنـــاد الذهبى الـــذى ترونـــه ، كـــل ثمنـــه لا يتجـــاوز ثلاثـــة آلاف جنيه، وحذائـــي وقلنســـوتي لا يتجـــاوز عشـــرة جنيـــهات ، وهذان الركابان اللذان ترونها فضـــة قديمـــة . وســـرجى مـــع

أنه من الحديد لن يزيد ثمنه عن مائتي جنيه . وهذا الحجر الذى ترونه فوق حصاني أنتم تعرفون قيمته ، لا فائدة منه إلا ليساعد الحصان على الرؤية فى الليل . وهذا الحصان أيضا لا فائدة منه إن لم يكن ملكى ، فماذا يجعلكم تقطعون الطريق على ؟ ليس معى أى شى ، أتوسل إليكم أن تتركونى لأذهب به لشأنى "

قال اللصوص لإيليا " منذ أن بدأنا نقطع الطريق على الناس لم نجد أغنياء أو مجانين مثلك " وأمرهم كبيرهم بالقبض على إيليا . لقد كانوا يقفون بالقرب من شجرة ضخمة ، لا مثيل لها فى المكان كله . فلما رأى هؤلاء الرجال هموا بالهجوم والقبض عليه ، أسرع وسحب سهما ونظر إلى الشجرة الضخمة وأطلق السهم عليها . فهوت الشجرة مكسرة ، كأن عاصفة هبطت عليها . وقد جعل الهواء الذى أحدث سقوط الشجرة وصوت سقوطها اللصوص يسقطون على الأرض فاقدى الوعى . وعندما أفاقوا قال كبيرهم لإيليا " لقد رضينا بك زعيما لنا ؛ ونرجو أن تبقى هنا ، وتصير قائدنا ولدينا ثروة من الذهب والفضة واللؤلؤ والجواهر وأنواع مختلفة من الثياب والحيوانات . فإذا اجتمعنا جميعا ومكثنا عشر سنوات نعد الذهب الذى لدينا لن نستطيع عده موافقون على أن تأخذ منه ما تحتاج على أن تكون زعيمنا . "

ضحك إيليا وأنشد أنشودة النصر التى ينشدها المحاربون ، ثم قال " يا أخواني ، لا أريد أن أتعب نفسي بحراسة ثروتكم أو رعاية دوابكم أريد أن أهيم على وجهى فى هذه الدنيا لأحارب ، الثروة والدواب يحرسها التجار والرعاة ، أشكركم ، وإلى لقاء آخر . " ثم ودعهم وجذب مقود الحصان وعاد من حيث أتى . حتى وصل إلى مكان الصخرة عند مفترق الطرق . وعلى الجانب الذى كتب عليه " من سلك الطريق الأوسط سيلقي حتفه " وكتب أنا إيليا الأبن القوى ، سلكت هذا الطريق الأوسط ، ولكن لم ألق حتفى ، ثم أدار حصانه واتبع الطريق الأيسر حيث كتب أن من سلكه سيلقى النساء ، وواصل السير ، بعد حوالى مسيرة يومين وإذا به يواجه فجأة منزلا عجيبا، أكبر من المنازل ولكن لم يصل إلى حجم المدينة كل بناء المنزل من الحديد الأبيض ، لذلك تراه يلمع كالمرآة . وصنع سقفه من الذهب ، ونوافذه من المرايا ، وصنع لكل منها ستارة مختلفة ، وتحيط بالمنزل أزهار مختلفة ، وبه حديقة مملوءة بأحواض من المرمر . لم يتوقف إيليا فى أى مكان ، وقصد منزل القصر مباشرة ، وقبل أن يصل التقى بأربعين فتاة تزينت كل منهن بحلى ذهبية . وارتدت أثوابا من الحرير الأبيض خرجن يستقبلنه ، وأحطن به مرحبات حتى ترجل ، وأخبرن الأميرة .

إيليا والأميرة :

بعد قليل خرجــت الأمــيرة ، نظــر إليــها إيليــا جيــدا ، فأحس أنه منذ بدأ يتجول فى الدنيا لـــم يــر أبــدا فتــاة فـــى جمالها . لم ير مثل الثياب التـــى ترتديـــها . وتتبعـــها فتاتـــان تصلحان لها ثيابها التـــى تجــر علـــى الأرض ، بلـــغ شـــعر رأسها إلى قدميها . عندمــــا وصـــل إيليـــا عانقتـــه وقبلتـــه ، وأخذت يديه ودخلت به إلـــى المـــنزل ، كمــن رأت صديقـــا لها فارقته منذ ســـنين .

وأخذت إيليـــا إلـــى حجــرة الإســتقبال ، وكـــانت مطليـــة بالذهب ، ووضعت شمعة فـــى كـــل ركـــن مـــن أركانـــها ، وفرشت أرضها بأنواع مختلفة مـــن الســـجاد ، وأنـــواع مـــن الكراسى إذا جلست عليها غاصت بك مـــن ليونتـــها ، وتوجـــد مائدة فى وسط الحجرة من الحديد الأبيـــض ،غطيـــت بقمـــاش من الحرير ، ووضـــع عليـــها أنـــواع مختلفـــة مـــن الطعـــام والشراب . وفى جانب منـــها مكـــان لغســـل الأيـــدي مجـــهز بالصابون ومنشفة معلقةِ ، وجلس علـــى كرســـي ، والمـــائدة أمامهم ، وأخذا يأكلان ويشربان ما لذ وطـــاب ممـــا لـــم يـــر إيليا مثله من قبل . وكـــانت تحييـــه وترحـــب بـــه بصـــوت

عذب جذاب . حدث كل هذا وإيليـــا يراقبــها . ويفكـــر فيمـــا تضمر له من شـــر .

تأكد إيليا أن هذه المرأة مــــاكرة تتحـــايل لتقبلـــه . جعلـــها هؤلاء اللصوص لإغراء النـــاس ، وبنـــوا لـــها هـــذا القصـــر العظيم ، وخصصوا لها هؤلاء الفتيات للقيـــام علـــى خدمتـــها. وليرغمنها على البقاء . ولا يوجـــد فـــى هـــذا القصـــر علـــى سعته رجل واحد . اعد ليكون شركا لكـــل مـــن يدخلـــه مـــن الأمراء أو التجار أو الشـــجعان ، وكـــل مـــا يحملونـــه مـــن الثروات ومتاع يصير غنيمة الفتـــاة واللصـــوص .

وكان بـــالقصر حجـــرة زودت بأجـــهزة تـــهلك كـــل مـــن يدخلها ، زينت بـــأفخر الزينـــات وفرشـــت بفـــرش ثميـــن . ووضع بها سرير مـــــن الحديـــد طلـــى بـــالذهب ، وفرشـــت السجاجيد والبطاطين فـــى كـــل مكـــان بـــالحجرة . وأســـندت الوسائد على الحائط فى كل مكان . تتدلـــى زجاجـــات عطـــر الورد من سقف الحجرة والمصابيح الموقدة فـــى كـــل ركـــن . وكان السرير على دعامة كبيرة من الحديـــد تـــدور بـــه كـــل اتجاه . ويغطى هذه الدعامة ملايـــا الســـرير الغاليـــة الثمنيـــة حتى لا يكتشف سره أي إنســـان .

كانت الحيلة المتبعة فى قتل الرجال كامنـــة فـــى الســـرير، حيث يوجد بئر عميق أسفله كالحجرة الكبـــيرة وعمقـــه يصـــل ارتفاعه إلى ثمان عشرة قدما. وغطى فمـــه تمامـــا بـــالفراش،

وقد أعد السرير بطريقة إذا رقـــد عليـه أى إنســان انفصــل السرير عن حائط الحجرة وانقلب فيســقط الراقـد عليــه فــي غيابة الجب ، ثم يعود الســرير إلـــى وضعــه الأول . وكــان إيليا يدرك كل هــذا .

بعد أن تناول إيليا الطعام وجلـــس يتحــدث مــع الأمــيرة تقص عليه أخبار الحياة ، وهو يقص عليـــها بعــض الأخبــار التى تقال فى مثل هذه المواقف . بدأ النـــوم يتلاعــب برأســه عمدا ، كمن يشعر بالنوم . فقـــالت لإيليــا يجــب أن يذهــب لينام لأنه يبدو عليه التعب ، قال إيليا " أريد أنـــا أنـــام فعـــلا " ودخلت حجرة الموت أمامه حيــث البــئر ، وتبعــها ، قـــالت له " ها هو السرير نم لتستريح ، لقـــد تعبــت " وهـــى علـــى وشك الخروج قالت له " اليوم بـــارد جـــدا يجـــب أن تقــترب من الحائط حيث موقـــد النـــار ، ستشـــعر بـــالدفء ، وتدلـــك جسدك لتستمتع بـــالنوم "

قال إيليا " لا أريد أن أستغرق فى النـــوم ، لأنـــى تعــودت أن أخرج فى الليل لأطل علـــى حصـــاني " وقبـــل أن تلتفــت قام مسرعا ، وجذبها وألقـــى بـــها علـــى الســـرير ، وضغــط على الحائط حيث طلبت منه أن ينـــام ، وقبـــل أن تصـــرخ ، سقط السرير وقذفها ، فســـقطت فـــى البـــئر . وفتـــح جانبـــا وعاد السرير إلى وضعه الطبيعـــي . ولمـــا رأى ذلـــك ذهـــب إلى ناحية أخرى من الحجرة ، واستغرق فى نـــوم عميـــق .

عندما طلع النــــهار ، خــرج إيليــا ، واســتدعى الفتيــات طلق الوجه ، وقـــال " احضـــروا لـــي مفــاتيح الحجــرة السـفلى " ومــن شــدة خوفــهن وارتباكــهن لــم يــترددن ، وأحضرن كل مـــا طلــب . وطلــب منــهن أن يدلــوه علــى المكان الذى تفتح منه ، فرأى الباب مصنوعـــا مــن دعامــات حديدية كبيرة التى تسقف بـــها الحجــرات . فغضــب وألقــى بالمفاتيح . ودفع البـــاب برجلــه ففتحــه ودخــل الحجــرة ، فوجد كثيرا من النـــاس جالســين فــى البــئر دون فــراش أو غطاء ، بعضهم يبكى ، وبعضهم يصلون علـــى النبـــي ، أمــا الذين طال عهدهم بالأسر وتعودوا عليه فقــد أخــذوا ينشــدون بعض الأناشيد . وبالقرب منهم جثث الذيــن فــارقوا الحيــاة . بعضهم صار ترابا والبعض الآخر مـــازال لحمــا منتفخــا ذو رائحة كريهة . نهرهم إيليا قائلا " اخرجـــوا ، وليذهــب كــل منكــم لشــأنه " وفــى الحـــال أضطــرب المكـــان وقـــاموا مذعورين ترتجــــف أجســـادهم ، كــل منــهم يدفــع بـــالآخر منطلقين نحو البـــاب كــل مــن خــرج منــهم ورأى ضـــوء الشمس لم يلتفت وراءه ، ولم يقف مفكرا إلـــى أيــن المفــر ، وسلك كل منهم الطريق الذي وجـــده أمامـــه ، ولــم كبــيرهم أطراف سرواله ، وولــــى هاربــا دون أن يعــرف وجهتـــه ، ولم يستطع الشجعان فى هذا اليــوم رفــع أيديــهم أو التفكــير فى معدات القتـــال .

ووجد إيليا ثلاثة خيول كبيرة ، تقف في مربطها لا عمل لها ، فأمسك الأميرة وقيد يديها وربطها فى سلسلة وربطها فى أحد الخيول الثلاثة . وربط قدميها فى سلسلة أخرى ، وربطها فى حصان آخر ، ثم ضرب الحصانين فسارا فى وقت واحد ولكن فى اتجاهين مختلفين . وبعد أن أطلق الحصانين أدار وجهه حتى لا يرى ما ستلاقيه من عذاب الموت . ثم دخل المنزل وجمع ما به من ثروات ، وكل ما يستفاد به من أثاث ووزعه على كل الرجال الذين وقعوا فى مكيدتها وسقطوا فى هذا البئر . أما هو فلم يأخذ شيئا ولو بسيطا كما أطلق الفتيات اللائى يعملن فى القصر ، ثم أشعل فيه النار حتى يحترق . ثم ركب حصانه وعاد إلى الصخرة عند مفترق الطرق ، وكتب عليها " أنا إيليا الأبن القوى ، سلكت الأيسر ، ولكن لم أجد المرأة " وهنا وقف فترة طويلة ، ثم قال " لقد سلكت هذين الطريقين ، ولم أجد هذه الأشياء التى كتب عنها ، فلأتبع الطريق الأيمن وواصل السير ، حتى وجد غابة ، وبعد أن عبرها وصل إلى واد عميق . فلما اجتاز هذا الوادى وجد حوالى مائة حفرة عميقة مثل البئر، كلها مملوءة بالذهب والفضة والجواهر واللؤلؤ ، تلمع لمعانا يأخذ بالأبصار ، وعلى جانب منها كتب " هذه الثروة كلها لإيليا " فنزل فى هذه الآبار جميعا واحد بعد الآخر ، ليرى ما تجمع من ثروة فى كل منها وتملكته

الدهشة ، واحتار فيما يفعل بها . إذا اجتمع ألف رجل وظلوا يجمعون فيها لمدة ألف يوم ما استطاعوا جمع نصفها ، فوقف يفكر فيما يمكن أن يفعله ، فركب حصانه وعاد إلى مدينة قب وأخبر ولديما . وطلب منه أن يزوده بألف رجل لينقل هذه الثروة ، وفي الحال أعد له العدد المطلوب وعادوا إلى مكان الكنوز ، وظلوا يعملون ويغترفون منها ولم يتوقفوا ليلا أو نهارا لمدة ثلاثة أشهر ومع ذلك لم ينقلوا ربعها، فعاد إيليا مرة أخرى إلى ولديما وطلب ألفا آخرين ، وضمهم إلى السابقين ، وواصلوا العمل ، ولما قضوا خمسين يوما يعملون جميعا ، دون أن يصلوا إلى نهاية الكنوز ، جمعوا أقصى ما يستطيعون ، وحملوه إلى مدينة قب، وسلم إيليا كل هذه الثروة إلى ولديما ، وطلب منه أن يبني مسجدا ويوزع الباقي على المساكين ، أما هو فلا يحتاج شيئا منها .

عشاء ولديما الثالث :

أعد ولديما عشاء آخر يفـوق كـل مـا أقامـه مـن قبـل ترحيبا بعودة إيليـا ، والمسـاعدة التـى قدمـها إليـه وإلـى المساكين من سكان المدينـة .

بعـث الأمـير لكـل كبـار المدينـة والتجـار والأمـراء ليجتمعوا ، وأقام حفلا عظيما أخذ يوزع فيـه الـهدايا بنفسـه . وقد بلغ من شدة سروره أنه ولى كـل مـن أبنـاء الأمـراء الذين حضروا الحفـل إمـارة إحـدى المـدن ، أو القـرى . ووزع على التجار ثيابا عظيمـة ووهـب الشـجعان خيـولا ودروعا ، وأدوات القتال . ولما جاء دور إيليـا علـم الأمـير أنه لن يستطيع أن يكافئه عما فعل ، فـأحضر قميصـا مثـل البرنس صنع من جلد الأسد وقد زين يقطع مـن جلـد النمـر وقدمه إليه . وهذا دليل على أنه أشجع من كـل الشـجعان .

طأطأ إيليا رأسه معـبرا عـن شـكره وسـروره . وبعـد قليل قام إيليا وقصد صناع الطعام ، ممسكا فـي يـده الهديـة التى قدمها إليه الأمير ورفعها إلى أعلى قـائلا " كمـا أخـذت هذا البرنس الذى قدمه إلى ولديمـا تعظيمـا ، سـآخذ أكـبر

أعدائه واقضي عليه وعلى كل ذريتـــــه ، إن شــاء الله حتــى يصير تحت سلطان ولديمـــا "

وكان من بين طهات الطعام امـــرأة مـــاكرة ، ذهبــت فـــى الحال إلى ولديما وقالت له " هذا الرجل الشــــجاع يقــول فـــى المطعم لابد أن يقتلك ويقضي علـــــى كـــل ذريتــك " وكــانت الخمر قد لعبت برأسه فى هذا الوقت ، حتـــــى أخـــذ يـــترنح ، فأمر بعض الرجال الشجعان أن يذهبوا إلـــى إيليــا ويقبضـــوا عليه ويضعوه فى السجن . وكان سجنهم عبـــارة عـــن حفـــرة كبيرة كالبئر يصـــــل ارتفاعـــها ارتفـــاع الحجـــرة ، يوضـــع الإنسان فيها مغطى كسكان القبــــور .

نظر إيليا إلى هؤلاء الشجعان كمـــن رأى أبنـــاءه فركعـــوا جميعا في آن واحد، وقالوا أنـــــهم يتوســـلون إليـــه ليســـاعدهم وينجيهم من غضبة الأمير ، وهناك يتركونـــــه يذهـــب حيـــث يشاء . حتى يعودوا إلى ولديما ويخبروه أنهم فعلـــوا كـــل مـــا أمرهم به . ضحك إيليـــا وقـــال لــــهم " ويحكـــم يـــا أولادى ، أنى أكبر من ذلك ، ولكن ســـــأفعل مـــا تريـــدون مـــن أجـــل توسلاتكم " سار أمامهم وهـــم يتبعونـــه حتـــى المكـــان الـــذى أشار إليه الأمير ، ولكنـــــهم عندمـــا قـــالوا لإيليـــا أن يذهـــب حيث يشاء ، أخبرهم بأنه لن يذهـــب إلـــى أى مكـــان وطلـــب منهم أن يحفروا له حفـــرة ويدفنـــوه كمـــا أمـــروا . حـــاولوا إقناعه بالعدول عن قوله ، ولكنه أصر علـــى أن يحفـــروا لـــه

حفرة ليدخل فيها ويدفنوه . فلمـــا رأوا لا مفــر مــن طاعتــه حفــروا الحفــرة ، فدخلــها ووضعــوا فوقــها الأخشـــاب والتراب وغطوها تمامــا . وذهبــوا إلــى الأمــير وأخــبروه أنهم فعلوا كل ما أمرهم بـــه ، فشــكرهم ولديمــا ، وأحضــر هدايا كثيرة وقدمها إليــهم .

وبعد أن انصرفوا ، ذهبت زوجة ولديمـــا وقـــالت لبعــض خدمها ممن تثـــق فـــى طاعتــهن وعــدم كشــفهن لســرها . ودلتهن على مكان وطلبت منهن أن يحضــرن فيــه ويوســعنه حتى يستطيع الإنسان أن يدخــل منــه ، وبذلــك يصــل إلــى الحفرة التى دفن فيها إيليا . وفى الحال بــدأ الحفــر وأتمــوه . فدخلت الأميرة إلى إيليـــا باكيـــة ، فحيتـــه ، فـــهدأها وطلــب منها أن تكف عن البكاء فكــل مـــا فعــل الأمــير لا يضــيره شيئا ، وعرفها أنه لولا أنـــه رضـــى بذلـــك ، مـــا اســتطعت الدنيا كلها لو اجتمعت أن تضعه فـــى هـــذا المكـــان ، وقـــال " جئت إلى هذا المكان لســببين ، الأول ، مــن أجــل هــؤلاء الناس الذين توســـلوا إلـــى فقــد أشــفقت عليــهم ، حتـــى لا يغضب عليـــهم الأمــير ويـــأمر بقتلــهم . والســبب الثـــاني تذكرت أنه منـــذ أن أراد الله أن التقـــى بولديمـــا ، لــم أفكــر مطلقا ولو بيني وبين نفسي أن أضـــره . وأفكــر فيمـــا كـــان بيننا من أعمال طيبة بالرغم من ذلك يـــأمر بـــأن يفعــل هــذا بي هذه الأشياء هي التـــي دفعتنـــي للصــبر والمجـــيء لـــهذا المكـــان . "

قالت الأميرة " لا تيأس ، سأحضر لك الطعام والشراب كل يوم بنفسي ، وسيأتي اليوم الذي يطلبك فيه الأمير بنفسه ، وسيبكي بالدمع لتصفح عنه ، ولن يكون هذا اليوم بعيدا " وودعته وعادت إلى قصرها . ومنذ هذا اليوم أخذت تقدم له كل ليلة كل ما يشتهي من الطعام والشراب ، ما لم تقدم لولديما مثله . وحملت إليه سريرا وفراشا ، وكل وسائل المتعة .

ومرت الأيام وكان لولديما عدو لدود يفوقه مهارة فى فنون القتال ، ويحكم إحدى المدن المجاورة ، وبعد ثلاثة أشهر فقط من دفن إيليا بعث هذا الأمير إلى ولديما برسول يخبره أنه قادم إليه ، فيستعد للقائه بكل ما لديه من قوة ومحاربين فسيلتقي بهم حتى لو كانوا فى عدد نجوم السماء وحصى الأرض . حتى يأسر أولاده جميعا ويحرق المدن ، وغير ذلك من التهديد والوعيد .

دخل ولديما القصر ، واستدعى الأميرة وأخبرها بكل ما فى الأمر ، فلم تظهر له إن إيليا مازال حيا ، قالت " ما العمل " أرأيت لو كان إيليا حيا لهذا الأمر " وازدادت حيرة ولديما ، وأصبح لا يدرك أين يضع رأسه وأين يضع قدمه ، وعزف عن الطعام ، وفى المساء دخل حجرته وحاول النوم فتعذر النوم عليه من شدة التفكير ولما انتصف الليل قام وجلس ، وأخذ يبكي ، فلما سمعت

الأميرة دخلت إليه وقالت " مثلك لا يبكـــي ، يجـب أن تبعــث إلى حيث دفنت إيليا ، ربما مازال حيـــا حتـــى الآن ، فتعتـــذر له فربما قبل عذرك وســـاعدك .

نظر إليها الأمير غاضبا وقال " أنت قومـــي تتحـي عنـــي بعيدا ، هذا من غباء النساء ، هل سمعتي عـــن رجـل يدفـــن في حفرة ثلاثة أشهر لا يـــأكل ولا يشـرب ، ولا يتنفـس ثـم تقولين أنى أجده حيـــا ؟ !

قالت لولديما " أنت تعلم أن إيليا ليس كغـــيره مـــن النـــاس، أبعث إليه وسترى " وأقنعتـــــه بعـد مشــقة ، فقـــام بنفســـه ، وذهبا معا ، وحفر الحفرة وإذ بإيليا راقدا فـــى أتـم صحتـــه . وقد زاد وزنه وكبر حجمه مـــن الراحـــة . وألـــوان الطعـــام المختلفة موضوعة أمامه . فـــزادت دهشـــة ولديمـــا ، وركـــع أمام إيليا يطلب منه المغفرة . وقص عليه كــــل مـــا حـــدث . ولما قدمت له الأميرة من خيرات غفر إيليـــا لـــه . وعـــادوا جميعا إلى القصـــر ، وعـم السـرور والفـرح كـل أنحـــاء المدينة بعد أن علم الجميع أن إيليـــا عـــاد .

جمع الأمير عددا كبيرا مـــن النـــاس ، وأعـد عشـــاء لـم يسبق لــــه مثيـل وأقيمـت الأفـــراح ، ولمـــا قـــاربت علـــى الانتهاء، قام الأمير وتقدم بالشكر إلى إيليا علـــى مسـمع مـــن الناس ، وقص عليهم كيف حدثـــت الوشـــاية التـــى أدت إلـــى

دفن إيليا ، فتقدم الناس جميعا محيين إيليا ، وبعـــد قليـل قـــام بدوره وشكرهم جميعا ، ثـــم أخــذ علـــى نفســه عـــهدا بـــأن يحارب فى صفوف ولديما ورجاله ، فعــــاد كـل الحـــاضرين إلى منازلهم وقد ملأت الفرحـــة قلوبـــهم .

وبعد ذلك فى منتصف الليل . سمع إيليا مـــن يقـــرع بـــاب حجرته فلما خرج ونظر وجـــد حصانــه قواليلـــى ، فـــانحنى عليه إيليا وأخـــذ يمســح علــى ظـــهره وهــو يبكــي فرحــا والحصان يبكي معه ثم أخذه وربطـــــه .

حرب إيليا الأخيرة :

وبعد أن خلت الطرق من السائرين ، ودخـــل كـل إنســان منزله ، ذهب ولديما إلى إيليا ، وطلــب منــه المغفـرة مـرة أخرى ، وأخبره بكل ما قاله له عدوه الجبــار قبـل أن يـأتى بجيوشه ويحيط بالمدينة بأيام قلائل . وهنا تــاقت نفـس إيليــا إلى الحرب ، فقال ولديما أنـــه يريـد أن يجمـع لــه عشـرة شجعان غدا ، ولما طلع النـــهار بعــث بعشــرة رجـال إلــى إيليا . ولشدة حماس إيليا لم ينتظر اليــوم الــذي سـيأتي فيــه العدو ، فخـــرج مــع الرجــال العشـرة وعسـكروا خــارج المدينة ، وفى صباح اليوم التــالى طلــع النــهار علــى إيليــا وقد عسكر بالقرب منهم العدو حيـث أقـام خيامــه فــى كـل مكان، وربط الخيل فى الخلاء فصـــارت كــالجراد وبــالقرب منهم عسكر عدد لا يحصى من رجاله يــأخذون قسـطا مــن الراحة . وقبل أن يطلع النهار كانت الحـــرب قـد اشـتعلت . كانت خيمة الأمير فــــى الوســط ويحيـط بـها الجنــود ، لا يســتطيع أن يصــل إليــها إلا المــوت فقـط ، لأن أحــدا لا يستطيع أن يراه، أما ما عدا ذلك فقد كان بعيـــد المنــال .

غضب إيليا وامتلأ قلبه غضبا ، ولــم يكــن حصانـــه أقــل منه فى ذلك فجمع رجاله وقال لهم " مـــن يذهــب إلـــى قــائد

الأعداء ، لنخبره أننا سنفنيه وأن إيليا بنفسه قادم إليه الآن؟ " وهنا قال أحد الشجعان أنه سيذهب ، وأمسك حصانه وركبه وتوجه إلى العدو . فلما رآه قادما من بعيد أسرع إليه حوالى ثلاثين رجلا بالسيوف والرماح ، ولكن لم ينتظر حتى يلتقي بهم . ولم ينتظروا أن يقول لهم شيئا، فسرعان ما انهالوا عليه ضربا وطعنا ولولا أنه يرتدي قميصا حديديا لقضي عليه . ولما تذكر قول الحكماء الكثرة تغلب الشجاعة أدار حصانه وجذب لجامه وولى الأدبار . فلما أدركوا ذلك خرجوا وراءه ولم يستطيعوا اللحاق به ، فلما أعياهم الجرى ، عادوا وأخبروا قائدهم بما حدث . وعاد الرسول إلى إيليا يلهث ، وقص عليه كل ما حدث .

قام إيليا غاضبا ولبس ثياب الحرب ، وأوثق رباط السرج وعلق سيفه ورمحه . وحمل عصاه الغليظة وركب قواليلى . ولكن قبل أن يبدأ القتال قال له قواليلى " يا سيدي إيليا تذرع بالصبر فى هذه المعركة فاليوم سيكون القتال شديدا والعدو عنيدا ، وستنتصر عليهم ولكن أرى اليوم أنك لن توفق اليوم تماما . وسيكون نصرنا محدودا، وهذه إرادة الله . رأيت العدو قد حفر لك ثلاثة خنادق ، وأننى واثق أنني سأستطيع اجتياز الخندق الأول والثاني ولكن لن أستطيع اجتياز الخندق الثالث ، وأسألك الصبر إلى غد "

اشتد غضب إيليا من كلام قواليلي . وسحب السوط وضربه به وقال سأذهب رغم ذلك ، وليفعلوا ما يريدون به ، واتخذ قواليلي الطريق عدوا ، ولكن كان إيليا يستغل سرعة الحصان شوقا لملاقاة العدو شعر وكأنه يريد أن ينزل ويعدو على قدميه حتى يسبق الحصان . وحدهم وجدهم إيليا مشتاقين إلى الحرب وسرعان ما بدأ القتال ، يضربهم ويضربونه ويطعنهم ويطعنونه ، حتى وجد نفسه فجأة فى الخندق الأول ، وهجم عليه الأعداء وأشبعوه ضربا وطعنا ، ولما استطاع قواليلي أن يخرج من هذا الخندق واصل إيليا القتال .

كان إيليا رجل واحد ولكن كألف رجل ! كلما تقدم إيليا عليهم رأيت آلاف الرجال يندفعون إلى ميدان القتال ، واستطاع قوليلي بشق الأنفس أن يخرج من الخندق الثاني. وقصد إيليا خيمة قائد الجيش مباشرة . وقد تعجب الفرسان من شجاعته وأخذوا يتساءلون من هو وتجمعوا حوله واشتد القتال وملأ الغبار سماء المعركة وأصبح الإنسان لا يرى أحدا ولا يسمع إلا صليل السيوف وطعن الحراب . وازداد إيليا اقترابا من خيمة قائد المعركة ، كان كلما ضرب بسيفه رأيت الرؤوس تتهاوى وكأنها أوراق الشجر . كثرة تغلب الشجاعة بعد أن قتل إيليا هذا العدد منهم جاء عدد آخر أكثر نشاطا ، ولكنه عندما صرخ وقع كثير منهم على الأرض .

وفجأة وجد إيليا نفسه فى خندق ثالث كبـــير وفـــى الحـــال تجمع حوله حوالى ألف رجل واندفعوا إلـــى الخنـــدق ، حتـــى ملأوه وانهالوا عليه طعنا وضربا ثـــم ربطـــوه وحملـــوه إلـــى قائدهم فوقف الأمـــير شـــاخصا ببصـــره ينظـــر إلـــى إيليـــا ويتعجب من قوته ، وقبل أن يتكلم الأمـــير قـــام أحـــد رجـــال حاشيته وقال " يا إيليا ، كن مؤدبا أمام أمـــير الدنيـــا واركـــع أمامه تحية له " وقد أغضبـــوه بضوضائـــهم ، فســـكت ولـــم يرد عليـــه .

وهنا أمر الأمير بفك إيليا وإعطائه ســـيفه ، وجـــذب إيليـــا وأجلسه إلى جواره على فراشه ، ثـــم قـــال لـــه " مـــا أريـــده منك يا إيليا أن تقبل البقاء معنا ، وسأمنحك كـــل مـــا تحتاجـــه فى هذه الحياة . وســـأزوجك ابنتـــي . وســـأوليك علـــى أحـــد الأقاليم . على أن تساعدني بألا تساعد ولديمـــا مـــرة أخـــرى، وإذا رفضت كل ما عرضته عليك سأقتلك فـــي الحـــال " .

نظر إيليا إلى الأمير وقال " أنت كلـــب الأمـــراء . منـــافق طالما تتردد أنفاسي فـــي صـــدري ، وســـيفي هـــذا معـــي ، فسأهزم كـــل رجـــل ولدتـــه امـــرأة ليـــس بينـــي وبينـــك إلا الحرب. لقد أمرت أن أحارب لأحمـــى المســـجد الكبـــير فـــى هذه المدينة وأثبت أركان الديـــن . وأن الكفـــار المـــردة مـــن أمثالك لن تصرف قلبي عـــن التصـــدي لأعمـــال الكـــافرين ، وسأساعد ولديما ما دمت حيـــا " .

وهنا سمع إيليا صوتا من السماء " إيليـــا الابــن القــوى ، أرفع يدك إلــى الســماء ، ســتجد العــون مــن الله ســبحانه وتعالى " فقام إيليا بسرعة ورفع يـــده إلــى الســماء ، فشــعر بجسمه يزداد قوة وقلبه يـــزداد شــجاعة وزادت قوتــه قــوة خمسين رجــلا .

وقبل أن ينتبه الحاضرون ، قـــام إيليــا وضــرب الأمــير بجمع يده ففارق الحياة فى الحـــال . ثــم التفــت إلــى بــاقي الفرسان وأخذ يضربهم حتى تثلم سيفه ، فقصـــد إلــى رجــل ضخم منهم ، وأمسك قدميه ، وأخذ يضـــرب بــه الآخريــن . فــأخذ الرجــال يتســاقطون كأنـــهم أوراق الشــجر وحيثمـــا نظرت لا تجد إلا جثثا ملقاة فى ميــدان القتـــال .

وهم على هذا الحال وصل إيليا إلى المكـــان الــذي ســقط فيه نفيره فأخذه ونفـــخ فيــه ، وبعــد قليــل جــاءه حصانـــه قواليلي مسرعا فأمسكه وركبـــه .

وكان عدد الأعداء قد نقــص كثــيرا فـــى هــذا الوقــت . فنظر إلى رفاقه فرآهم جالســين ينعمــون بالراحـــة . فأمســك سهما ووضعه فى القوس وصوبه علـــى كبــيرهم ، فأصابــه السهم تماما . ووصل إلـــى صــدر مــن قصــده ولكنــها لــم تضره .

فلما رأى الرجل ذلك فأدرك أن إيليا في حاجة إليهم ، وفى الحال جمع كل المحاربين وأخبرهم فأعدوا خيولهم وذهبوا إليه عدوا . فلما وصلوا إليه لم ينتظر وهجموا على الأعداء بالضرب والطعن حتى أرهقوهم وطاردوهم. وقد حصل هؤلاء المقاتلون على الكثير من الغنائم عدا إيليا .

بعد أن انتهوا من القتال تماما ، جلسوا يستريحون ، وأخذ كل منهم يدعى البطولات والأعمال الخارقة ، حتى أصابهم الغرور ، وأخذوا يدعون القدرة على القتال حتى ولو كان فى السموات السبع . فهم واثقون من النصر . فلم يقل إيليا كلمة واحدة بالرغم من أنه يعلم أن هذا النصر لم يكن بقوتهم ولا خططهم ، ولكن بقوة من الله .

الله ملك الملوك ، قبل أن يغادروا المكان الذي جلسوا فيه رأوا الأعداء الذين قتلوهم والذين جرحوهم والذين ضربوهم يقومون فجأة . وبدلا من كل رجل مات قام ثلاثة رجال ، وقام هؤلاء الشجعان واستأنفوا القتال لأنه أدرك أن هذه الحرب ليست فى سبيل الله .

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يريهم ، أن الغرور والتفاخر شيئا مذموما.

ومع ذلك فقد حـــزن إيليـــا عندمـــا رأى رفاقـــه يحـــاربون وهو ينظر إليهم ولا يفعـــل شـــيئا . ولكـــن لعلمـــه أن هـــذه الحرب ليست على حق لـــم يقـــل شـــيئا . ولـــم يظـــهر نيـــة مساعدته لهم . واستمر القتال حتى قتـــل كـــل جنـــود ولديمـــا تماما .

وهنا ركب إيليا حصانه وقصـــــد جبـــلا مرتفعـــا حيـــث لا يستطيع أحد الوصول إليه . فوجـــــد صخـــرة كبـــيرة فصعـــد عليها وجلس وعانق ســـــيفه ووقـــف قواليلـــي خلفـــه ورفـــع رأسه إلى السماء وأخذ يبكـــــي بـــالدمع الغزيـــر كمـــا يبكـــي الإنسان . نظر إليـــــه وازداد قلبـــه حزنـــا وغضبـــا ، ولكنـــه تذكر أن هذا شيء بسيط إلى جانب ما حدث لـــــه مـــن أمـــور حتى الآن ولكنه عجز عن الصبر فـــى النهايـــة فـــانفجر فـــى البكاء.

وبعد قليل هدأت نفس إيليا ، وتذكـــر أنـــه الآن رجـــل قـــد ملأ الشيب عارضيـــــه ، وأن الله قـــادر علـــى كـــل شـــيء ، فســـأل الله أن يجعلـــه هـــو وحصانـــه صخـــرة ، فســـمع الله دعاءه وفى الحال استجاب لـــــه . لقـــد شـــاء الله أن يســـتغرق فى تفكير عميق حتى ينسى ما هـــــو فيـــه . وقبـــل أن يعـــود إليه صوابه جعلهما الله صخرة . وهكذا انتهت حيـــــاة إيليـــا .

والآن إذا ذهبت إلى هذا المكــان ســترى الصخــرة علــى هيئة إنسان يجلس وبجواره حصانه يقــف خلفــه . ومنــذ أن فارق إيليا الحياة لم يركب حصانه أحد ولـــم يمســك ســيفه ، وهذا هو السر فى مدحه لحصانـــه عندمــا كــان علــى قيــد الحياة . قائلا " قواليلي حصان إيليا لا أبيعـــك ولا أغــيرك "

الســــاحـــر

Jiki Magayi

تأليف : تافيدا وساسا

الصب تفضحه عيونه :

كان يعيش في مدينة جلما رجـــل ثـــرى ، اسـمه المعلـم شيخو ، كان يملك مالا وفــيرا ، وثيابــا ، وبضـــائع ، وآلات حياكة ،وسيارات للركوب ، وعبيدا ، وقطعانـــا مــن الأبقـــار، وثلاث خيـــول جميلـــة المنظـــر تنعـــم بوقـــت الفـــراغ فـــى الإصطبل ، وكان يذهب إلى الإصطبـــل عصـــر كـــل يـــوم ، حيث يجلس فيأتي عبيده وأهل المدينـــــة الذيـــن ينـــالون مـــن عطاياه فيحيطون به ، يقضون وقتهم فـــــى الســـمر والحديـــث الذي لا فائدة منـــه .

وقد ذاع صيته فى كل مكـــان بســـبب تجارتـــه الواســـعة ، فقد كان يبعث خدمه للتجارة فى كل مكـــان ، بعضــــهم يذهـــب بالمركب والبعض الآخر بالســـيارة وبعضــــهم يحمـــل الســلع وثمار الكـــــولا علـــى ظـــهور الحمـــير والثـــيران والإبـــل ، ويطوفون البــــلاد يبعــون ، حتـــى كـــان يصعـــب عليـــه أن يعرف حدود ثروتـــه .

لم ينجــب:

مضى عشرون عامًــا على زواجـــه ، ولكــن لــم ينجـب أبدًا، تزوج كثــيرًا ، لــم يخــل منزلــه يومًـــا مــن أربــع زوجات ، أنفق كثيرًا مـــن المـــال لــدى العلمــاء والأطبــاء الذين يعالجون بالأعشـــاب والســحر ، حتــى يحصــل علــى علاج للعقم ، ومع ذلك لـــم تحــدث لإحــدى نســائه حالــة ولادة أو إجهاض ، وكان كلمـــا فكــر فــى الخســـارة التــى يمكن أن تحل به لعدم وجود الابن ضـــاقت نفســه ، وضـــايق كل أهل منزله بما يحــدث مــن شــجار، وأحيانًـــا لا يــراه أحد منذ الصباح حتى العصر ؛ حيــث يعتكــف فــى حجرتــه يدعو الله أن يقضي حاجاته ، وكان دعـــاؤه واحــدًا لا يتغــير وهو " يا إلهي ارحمني وهبني ولدا أيـــا كـــان " .

يــرى منــاما :

وهو على هذا الحال رأى ذات يــوم منامــا ، رأى فرســة المعلم عبده سحبت لتباع فى السوق ، فــأعجب شــخص بــها أياما إعجاب فاشتراها ، فلما رآها أحبها هو أيضــا كمـا لـم يحب شيئا من قبل ، فزاد من ثمنها فوافــق صاحبــها ، فدفـع له الثمن ، وأخذها إلى بيته وربطــها ، فلـم يجـد متنفســا إلا الصبر ، ومكثت الفرســة فــى بيتــه حتــى ولــدت حصانــا صغيرا جميلا يعجب به كل من يراه ، فلما كــبر وبلــغ ســن الركوب ، طلب أن يوضع له الســرج ، وركبــه وخــرج بــه للنزهة إلا أن الحصان جمح وأوقعــه وفــر هاربــا ، وتركــه يتألم مما أصابــه .

وهنا استيقظ من المنام ، وجسمه يرتعــش ، وأخــذ يفكــر فى هذا الأمر فى نفسه حتى طلــع النــهار ، وفــى الصبــاح الباكر بعث إلى أحد المنجمين ولمــا جـاء طلــب أن يســمع القصة ، فأخذ المنجم يسوي الرمــل ويخــط فيــه ثــم يمحــو الخطوط وهكــذا حتــى قــال " أرى مشــكلة زواج وولادة ، وأرى أحد منافســيك ولكــن إذا صــبرت ســتنتصر عليــه ، وأرى فى هذا الــزواج مشــاكل ، إذا أقدمــت عليــه ســتندم

يوماً ما ، وإذا استمعت لمشـــورتي ، لـــن تنـــدم علـــى هــذا الأمر ، فاتركه كما ترك النبي هــذه الدنيـــا ، والبـــاقي يعلمـــه الله .

يشـــك فى القـــول :

بعد أن قام المنجم جلس معلم شـــيخو يفكـــر طويـــلاً يفكـــر فى نفسه فى منامه وما قاله المنجم له ثـــم خطـــر علـــى بالـــه أن المعلم عبده لديه إبنة اسمها زينب فقـــال لابـــد أنـــها هـــى التى رأيتها فى المنام ، فإذا كان الأمـــــر كذلـــك إذا تزوجتـــها ستقضي حاجتى ، ثم تذكر بقيـــة المنـــام ، ونصيحـــة المنجـــم له ، ولكن لشدة رغبته فى الأبن لـــم يعـــر كـــل هـــذا الأمـــر اهتماما إذا قضيت حاجته ، وقال ربما كـــلام هـــذا المشـــعوذ غير حقيقي ، لا يعلم الغيـــب إلا الله ، وبذلـــك هـــدأت نفســـه وكف عن التفكـــير .

وهنا أمر باستدعاء المعلم عبده ، فلمـــا جـــاء انتحـــى بـــه جانباً وقال له " ما جعلنى أستدعيك ، أننـــي أرى حاجـــة لـــى عندك أريد قضاءها ، ولا أعـــرف ، ربمـــا تقضـــى . " ثـــم قال له .

البنــت ومــن تحــب :

فقال له المعلم عبده " هـــذا الأمــر صعــب ، لأن زينــب منذ نعومة أظفارها تحب ولداً اسمه أبو بكــر ، تربيــا معــا ، وهو يحبها حتى علــم كــل إنســان أنــه ســيتزوجها ، لقــد خطبها أناس وشباب كثيرون ، ولكنها أبـــت إلا هــو ، وأبــو بكر أيضاً لا يحب أحداً في هـــذه الحيــاة إلا هـــي ، ولعلــك تعرف أن الشـــباب متـــهور جــداً إذا لــم يــتزوج زينـــب لا يعرف أحد ما سيفعل ، وأنا نفسي أيضـــاً لـــن أرتـــاح ، قـــال المعلم شيخو " إذا سمحت لي أن أبعث مـــن يناديـــها لأتحــدث معها سأخبرك بكل ما ســـتفعل "

قال المعلم عبده " هذا ليس مشـــكلتي ، أنـــها ترجــع لمــن تريد ، لأنني اعتقد لو بعثت إليها لـــن تـــأتي ، وبـــالأحرى ألا تتحدث معك ، وليس لدى ما أقوله أكثر مـــن ذلـــك فـــى هـــذا الأمر "

عندما عاد إلى البيت حدث أم الفتاة عمـــا دار بينـــه وبيـــن المعلم شيخو بشأن زينب ، قـــالت الأم " ويحـــك يـــا ســـيدي ، كيف يتم هذا الأمر ، إذا فعلنا ذلك يظن النـــاس أننـــا أغبيـــاء، إياك والتفكير فيـــه " .

أمـــر باستدعائـــها :

عندما حان العصر أمر التـــاجر باســـتدعاء زينـــب ، فلمـــا قيل لها أن المعلم شيخو يطلبها قالت عودوا إليـــه وقولـــوا لـــه لن تأتي ، ثم بعث إليها مرة أخرى ليحدثها فـــــى أمـــر واحـــد فقط ، وهو مشكلة الـــزواج .

فبعثت إليه مرة أخرى مــــن يقــول لـــه أنـــه سـبق لـــها الزواج، ولا تنوى أن تغيره بآخر ، وعندمـــــا عــاد الرســول وأخبره بذلك تألم في نفســـــه وغضـــب وقـــال " عجبـــاً هــل توجد امرأة فى هذا الكون أبعث إليـــها مـــن يســتدعيها ، ثــم ترفض وتقول أنها لن تـــأتي ؟ "

فقال له خادمه الذي بعـــث بـــه " ويحـــك يـــا ســيدي ، إن مثلك لو أراد ألف امرأة من أيـــة مدينـــة جئنـــك مســرعات ، ثم تعذب نفسك بسبب مثل هذه الفتاة مهما كـــــان حظـــها مـــن الجمال لا ينبغي لمثلك أن يركع تحـــت قدميـــها "

قلب فتاهـــا يغضـــب :

وهم على هذا الحـــال ، ذهـــب فجـــأة أحـــد خـــدم المعلـــم شيخو إلى أبي بكر وقال لـــــه ، أن المعلـــم شـــيخو اســـتدعى والد الفتاة التى يريد أن يتزوجـــــها ، كمـــا بعـــث لاســـتدعائها ولكنها رفضت الحضور ، وفـــى الحـــال غضـــب أبـــو بكـــر عند سماع هذا الكلام ، وأخذ ينظـــــر قـــدوم المغـــرب بفـــارغ الصبر حتى يذهب للقاء زينـــــب .

وعندما أقبل المغرب ذهب إلى منزلـــــــهم ، وبعـــث أخاهـــا الصغير ليخبرها ، فخرجت وذهبا إلى المكـــــان الـــذي اعتـــاد الذهاب إليه ليتحدثا ، وأخذا يتحدثان في شـــــئون الحيـــاة ، ثـــم قال لها أبو بكر " زوجة الســـــعداء "

قالت " ما هذا الكـــلام الـــذي تقولـــه اليـــوم ؟ إننـــي أراك اليوم لا تسمع إلا الهراء ؟ قال " مـــــا جعلنـــي أقـــول ذلـــك ، أننى سمعت أن المعلم شيخو أكبر أثرياء مدينتنـــا بعـــث إليـــك لتذهبي إليـــه "

قالت " الذي أعطاك هذا الخبر ، لم يقـــل لـــك الـــرد الـــذي بعثت به إليـــه ؟ "

النســاء أمرهــم صعـــب :

قال لي " ولكن مع ذلك غضبت جــداً ، لأننــي أعــرف أن أمركــن صعــب ، أنـــهم يقولــون أن الحصـــان ، والنـــهر ، والمرأة ، لا يؤمن غدرهـــم "

" حتى أنا أيضاً ، ألا ترضى عنــــى ؟ "

" نعم ، إن النساء خالهن واحــــد "

" إذا قدم لي الدليل على ذلــــك "

قال " مـــــا جعلنـــي أقــول لــك ، أن الحصـــان إذا كنــت تحبينه، ولم تحملينه أيـــة مشـــاق ، مــع كــل ذلــك لابــد أن يركلك يوماً ما برجليه ، والنهر كذلــــك تعبرينــه الآن، ولكــن عندما تهمين بالعودة تجدينه قد امتلأ بالمـــاء ويصبــح عبــوره محالا ، والمرأة كذلك يقال أن وعدهــــا لا يــدوم أكــثر مــن أربعين يوماً ، فإذا مضــت الفــترة ، ووجــدت مــن تحبــه ، مهما كان الحب الذي يكنه لــــها الحبيــب الأول تغــدر بــه ، المعلم شيخو رجل ثري ، إن لم تجــدي فيــه شــيئا يحــب ، فستحبينه لمالـــه . "

فتبسمت وقالت " ويحك يا أبو بكـــر ، لـــو كنـــت سأســير على ماله منـــذ الآن حتـــى غــروب الشـــمس لـــن يغرينـــي بالزواج منــه "

قال " إذا رأيت الكلب يشمشم فـــــى الحـــذاء فـــاعلمي أنـــه سيخطفه ، ولكن أنت حرة فيمـــا تفعليـــن " وأســـتاذنا وعـــادا إلى منزلهما ، فنام وهو مشـــغول البـــال .

ولما علم الثري بما دار بينـــها وبيـــن أبـــي بكـــر قـــال " لأرى هذا الغلام أن كل من ينازلني لابـــد أن يخـــر صريعـــا " ثم أمر باستدعاء رجل يسمى المعلم ســـمبو ، الـــذي يخشـــاه كل إنسان فى المدينة حتى الأمير نفســـه ، فلمـــا أقبـــل عليـــه وعده بالمال الكثير ، وأخبره بما بينـــه وبيـــن غريمـــه أبـــي بكر من منافســـة .

قلب الفتاة يتحول :

قال المعلم سمبو " هذا أمر يسير ، إذ كنت أعمل المستحيل فما بالك بهذا الأمر اليسير إذا كنت تريد الحكم على هذا الغلام بالموت ، أسأل الله أن يقدرنا على هذه المساعدة "

قال المعلم شيخو " لا أريد الموت ، كل ما أريده منك أن تحول قلب هذه الفتاة وقلب والديها عنه "

قال المعلم سمبو " وهو كذلك ، عندما أعود الآن إلى المنزل ابعث لي بخادمك ، سأقدم لك مساعدة ، إذا أقبل المغرب ، أفعل ما سأبعث لك به ، وإذا لم تأت لك أحلق لي لحيتي ، وسأبعث لك بالدواء السحري أخلطه مع المسك وقدمه إليها إذا أخذته ومسحت منه أسفل أنفها ، سينتهي الأمر ، سيحبك حتى والديها ، وغدا رفضوا ستتزوجها " فرح المعلم شيخو وأحضر مالا كثيرا وقدمه إليه .

يخلـط الـدواء السحـري :

عندما أقبل المســاء بعـث بمــن أحضـر لــه دواءيــن ، أحدهما خلطة بالمسك والآخر تعطــر بــه ، ثــم بعــث بمــن يستدعى له زينب ، عندما ذهــب الخــادم وجدهــم يتحدثــون مع أبي بكر فاستأذن ، فرد أبو بكر قائلا " مـــاذا تطلــب ؟ "

قال الخادم " المعلم شيخو بعثني لزينب يريــــد أن يراهــا"

قال أبو بكر " عد ، وقل له لن تـــأتي "

عندما عاد الخادم ، هبت قائمة واندفعـــت مســرعة تناديــه أمام أبي بكر ، وطلبت منــه أن يخــبر ســيده أنــها قادمــة ، ولكن على شريطة ألا يثار الأمر الذي بعـــث مــن أجلــه أول الأمر .

وهنا قال لها أبو بكر " ها هو ألم أقل لــــك بــالأمس ! "

قالت له " ويحك ، يا أبا بكر ، ليس فـــى الأمــر شــيء ، رؤية الطعام لا تغني عن أكله ، وذهـــابي إليــه ليــس معنــاه الزواج ، وأقسم لك بحق حياتي أن لا أتزوج أحــداً فــى هــذه الحياة إلا أنت ، أى قولى له أننــى قادمــة لا دخــل الســرور

على قلبه فقط ، حتى لا يقول إنني أحرجتـــــه مرتيـــن ، إنـــك تعرف خلق الرجـــال إذا لـــم تبـــدي لـــهم الاحـــترام يعـــانون كثـيرا. "

قال " وهو كذلك ، أنـــت حـــرة فيمـــا تفعليـــن " فأســـتأذن وودعتــه .

يلتقيـــان فـــى الطابـــق الثالـــث :

عندما عـــــادت إلـــى المـــنزل ، اغتســـلت ، واســـتعدت ، وقالت أنها ذاهبة إلـــــى أبـــي بكـــر ، وســـتعود الآن ، وبعـــد خروجها لم تقف فى أى مكـــــان إلا مـــنزل المعلـــم شـــيخو ، وجدت مدخل المـــنزل مملـــوءً بالســـمار ، فتجاوزتـــهم إلـــى الداخل وانتظرته بالطابق الثالث ، وبعد قليـــــل ارتـــدى المعلـــم شيخو حذاءه ودخـــــل المـــنزل فـــامتلأ كـــل المكـــان برائحـــة العطر ، ولما أحست به قادما ، غطـــت رأســـها .

وعند دخوله قال : " زينب ، جئتي ؟ لمـــــاذا بعثـــت إليـــك من يســـتدعيك مرتيـــن فرفضتـــي الحضـــور ، هـــل ســـآكل لحمك؟

قالت " لم أجد فرصـــــة "

تبادلا التحية ثم قال لـــــها " مـــا جعلنـــي اســـتدعيك ، هـــو سماعي لاختيارك وأنك تحبين شخصا ، ولكـــن ســـمعت أنـــك لم تخطبي له ، وحتى إذا خطبتـــي لـــه ، فـــإنني أريـــدك ، إلا أننى أرى ما يمنعنـــي . "

" ماذا يمنعك ، ألست رجلا ؟ هل الرجـــل يرفــض رجــلاً مثلــك ؟ "

" حسناً أنني أريدك زوجة لــــى "

" أنا أيضاً أحبك ، ولكن ليس من أجـــل الــزواج "

" لماذا ليس من أجل الــــزواج "

حتـــى الآن أحبـــه :

" لأنه منذ طفولتي لـــم أحـب أحـداً مثـل أبـي بكـر ، ومازلت أحبه حتى الآن ، لم يطلبني أحد في هـذه المدينـة كلها ، لأن كل منهم لم يجد الفرصـة لذلـك فعـزف عنـي، ودعني أقول لك بالحقيقة ، إنني أعـرف أنـك ثـري ، وأن أبا بكر رجل فقـير فـإذا تزوجتـك لـن أشـعر بـالجوع أو الظمأ، يبقى أمر واحد ، سمعت أنـك رجـل مـتردد ، يومـا ما سترى من تفوقني جمـالا ، فتقـول إنـك تحبـها ، فـأنت رجل مزواج ، كل من تتزوجـها ، إذا قضيـت معـها عـدة سنوات ورأيت أنها لم تنجب تطلقها مـع المعاملـة السـيئة ، وهل لديك أربعة زوجات ، لا يوجد فيهن مـن تكـبرني سـنا ولن أستطيع أن أكون ضرة لهن ، وأنت تعلـم أنـه لا يمكـن أن تتزوج عليهن الخامسـة ولا تـتزوجني "

قال لها " ليس هـذا مشـكلة ، طالمـا أننـي قلـت أنني أريدك زوجة لي ، إذا كنت تحبينني قولي وأنـا أعـرف مـا أفعله ، ألا يوجد طـلاق ؟ "

قالت " ويحك طالما أنـــك ســتطلق إحداهــن لتــتزوجني ، فإنك ستطلقنى يوما ما إذا رأيت من تفوقنـــي جمـــالا "

ليس الأمر كذلك يا زينب ، أريــد منــك أمــرا واحــدا إذا قلت أنك تحبينني ، فسأعرف كيــف أتصــرف "

" ليس لدى فرصــة "

" سأمهلك سبعة أيام ، كل ما تفكرين فيـــه ، عــودى إلــى وخبريني به لأعرف ما فى الأمـــر "

" أى مشورة " إنه رأيـــي "

" لا استشـــيري "

وأستأذنت ، وهمت بالخروج فقال لـــها انتظــرى ، ودخــل إلى المنزل ، وأحضر مالا ، وبعـــض ثمــار الكــولا وقدمــه إليها .

قالت " لا ، والله لن أخذ شيئا منـــك ، وإذا أخــذت شــيئا ، وعلموا فى المنزل سيضربونني ، وكـــل مــن يســمع أننــى أخذت شيئا من يدك ، سيتأكد أننـــى غــيرت رأيـــي ، كشـــأن النســاء "

قال " خـــذى ، أنـــت تعرفيـــن ، أنـــه لـــولا هـــذا الأمـــر لأعطيتك أكثر من هـــذا "

أعـرف ذلــك :

قالت " أعرف ذلك ، ولكن لولا أنني معك اليوم ، ما أعطيتني شيئا "

حاول معها كثيرا ولكنها رفضت ، وهبت قائمة ، فأمسك بثوبها ، وقال " إذا لم تأخذي هذا ، هاك شيء صغير خذيه لأنه لا يجب أن تأتي لتحيتي وتخرجي صفر اليدين ، أى أنك لم تقدريني " ووضع يده في جعبته وأخرج الرائحة التى خلطت بالدواء السحرى وقدمه إليها فأخذته بعد تردد وخرجت .

ولما وصلت إلى المنزل أخذت العطر وقدمته إلى والدتها ، وقالت " ها هو الشيء الذى قدمه إلى أبو بكر ، خذيه واحفظيه لي ، وقبل أن تسلمه لها أخذت جزءً على طرف أصبعها ومسحته على وجهها .

وفى الصباح بعث المعلم شيخو من يستدعي له المعلم سمبو ، فأخبره بما حدث بينه وبين زينب ، فقال المعلم سمبو " طالما أنك قدمت إليها هذا العطر ، لا تطلب مقابلتها مرة أخرى ، هم بأنفسهم سيطلبونك "

شكره المعلم شيخو ، وقدم له بعض المال مرة أخرى.

الشـــاب يغضـــب :

ذهب أبو بكر إلى مـــنزل زينـــب بنفســـه ، واســـتدعاها ، وسألها " أحقًا ذهبت إلـــى المعلـــم شـــيخو بـــالأمس بعـــد أن افترقنـــا ؟ "

قالت " نعـــم "

قال " علمت الآن أن ما بيننـــا خـــداع ، اريـــد أن تقولـــى صراحة إذا لم تحبيننـــي "

قالت " أنك تعرف أن الفتاة كالســـلعة ، كـــل مـــن يراهـــا يطلبها ، وكل يساوم أما المشـــترى ، فـــهو شـــخص واحـــد ، طالما أننى لم أخطب لأحد فأنت خطيبـــي " ثـــم قـــام غاضبـــاً وذهب إلى شـــأنه .

ولما عاد إلى المنزل أخبر أمـــه بمـــا حـــدث بينـــه وبيـــن زينب ، فقالت أمه " أنني أعلم قبـــل ذلـــك أنـــك لـــن تـــتزوج زينب ، لأن كثيراً من الأثرياء يتقدمـــون لـــها ، وليـــس كـــل شيء في هذه الحياة يتـــم لوجـــه الله ولكـــن لوجـــه المـــال ، فاصبر واطلب من تناســـبك . "

لابــد أن أثــأر :

قال لها " يا أمي ، إذا كنت ابن حـــلال فيجـب أن أثــأر ، وسأطوف الدنيا وعلى كـــل حـــال ســيعينني الله ، ولكــن لا تقلقي ، فها عبده وأخى الأصغر وجدنا يكفونـــك فـــي شــئون الحياة ، وسأعود إليك فى يوم ما طالما أن فى العمـــر بقيـــة.

فلما سمعت هـــذا الكــلام حزنــت جــداً ، ولــم تســعفها الكلمات ، لأنها تعلم أن أبــا بكــر إذا غضــب فــلا يســتطيع أحد أن يخفف من حدة غضبـــه .

وفى المغرب ذهب إلى والد زينب وقال لـــه " مـــا جعلنـــي آتيك ، أننى علمت أن رغبـــت الـــزواج التـــى بينـــي وبيـــن ابنتك قد انتهت ، هل علمت ذلك ؟ أنني أعلـــم أن الـــثروة قــد ملأت عينها ، حتى نسيت الوعد الذي قطعتـــه لـــي ، وأريــد أن تستدعيها أمامك لقول لها كلمــــة "

قال له " أين سمعت هـــذا الكـــلام الفـــارغ ؟ هــل رجــل عجوز مثلي يناقض نفسه ، طالمــــا أننـــي و الـــد زينـــب لـــن تتزوج أحداً غـــيرك . "

قال له أبو بكــــر " لا ، لا تظــن أننـــي جئــت أناقشــك ، زوجها لمن تقل أنها تريده ، إن الفتيـــات كثـيرات "

استدعاها المعلم عبده وأغلظ لها فـــى القــول ، وقـــال لـــها لن تخرجي مستقبلاً من المـــنزل مــرة أخـــرى ، إلا يـــوم أن تزف إلى منزل أبى بكر ، فقـــالت أنـــهم لـــو أوثقـــوا قدميـــها بالقيود فستكسرها ولن تتزوجه ، وخيراً لـــــها أن تـــهيم علـــى وجهها من أن تتزوجــــه .

قام الأب غاضبـــاً وضربـــها ، وداســـها بقدميـــه وقيدهـــا وقال لأبي بكر " عد إلى مـــــنزلك ، هـــدأ الله مـــن روعـــك ، أني أعرف كيف أعاملـــــها "

قال أبو بكر " لا عليك يا أبي ، حتـــى نلتقـــي "

هل تريد أن تقتلـــها ؟!

لما سمعت أم زينب صــــراخ ابنتـــها عندمـــا كـــان أبوهـــا يضربها طلت وقالت " مــــاذا حـــدث لكـــل هــذا ؟ أتريـــد أن تقتلها ؟

قال لها المعلم عبده " بخصـــــوص مشــكلة زواجـــها بـــأبي بكر ، أنت لا ترضين أن أقول لـــــه ســأزوجك زينـــب ، ثـــم

تأتي الآن وتقول أن رجلاً اسمه المعلم شيخو تريد أن تتزوجه ، وإذا وافقت على كلامها سأشعر بالخجل بين الناس ، ولن يحترمني أي إنسان مستقبلاً ، وسيسخر الكل مني ، ويقولون أنني زوجته ابنتي حباً لماله . "

وهنا قالت الأم " أنت تعلم أمور الحياة لا تؤخذ عنوة ، ولكن بالاقناع والتفاهم ، وما أريده منك أن تصبر وتلاطفها ، ربما تعود إلى صوابها ، ولكن إذا قلت الآن سترغمها ، أنت تعرف أخلاق أبناء هذا الزمان ، ربما يكون السبب فى عدم السيطرة عليها تماماً " حينئذ قام وفك قيودها .

وما كاد المساء يقبل حتى توجهت إلى منزل المعلم شيخو ، وقالت له " طالما أنا أبا بكر قد غضب وثار هكذا، أريد أن تتقدم وتطلب الزواج مني "

وعندما طلع النهار بعث المعلم شيخو إلى المعلم عبده أنه يريد أن يتحدث معه فى أمر الزواج ، فبعث إليه المعلم عبده ، بأنه لن يزوجه حتى لو طلب القاضي منه ذلك ، واستمر الأمر بين أخذ ورد حينئذ اجتمع الأخوة واقنعوا المعلم عبده ، فرد عليهم مكرهاً ، بأنه لا يريده من أجل ماله مطلقاً ، وأعلن المعلم شيخو قيمة الهدايا

التى قدمها غريمة للفتاة ، ويوم تحديد حفـــل الـــزواج ، أخــذ كل أهل المدينة يلومون المعلم شيخو لعـــدم وفائـــه .

وفي يوم الزواج طلق إحدى نسائه ، وفـــى المســـاء زفــت إليه العروس ، وفى اليوم التالى أقيـــم حفـــل عظيـــم لـــم يقــم بمثله أمير جلما ، وحضر إليه أصدقـــاؤه مـــن كـــل مكـــان ، ولم يترك شيئاً يعمل أو يحكى عنـــه إلا وعملـــه .

" تبارك الله لقد كان حفل رجـــل ثـــري فعـــلاً " لقــد بلـــغ الإسراف مداه ، واستمر اللهو واللعب لمدة ثلاثـــة أيـــام ، ثـــم أقيمت ليلة الحناء ، وأحضر طعـــام العـــرس وبعدهـــا تفـــرق الناس .

الشـــاب يهيـــم علـــى وجهـــه :

غادر أبو بكر موطنه ، ولم يعـــرف إلـــى أيـــن المســـير ، وأخذ يتجول حتى وصل إلى مدينة تســـمى " عـــش مســـتعداً " وهذه المدينة يقصدها كل مـــن ارتكـــب جريمـــة الســـرقة أو أمراً محرماً ، هرباً من مدينتهم ، حيث أنشأوا لـــهم حبـــاً فـــى المدينة ، يفعلون فيه ما يريدون ، وليـــس فـــي هـــذه المدينـــة إلا المشعوذين واللصوص ، وأدعيـــاء الطـــب والمومســـات ، وصل أبو بكر إلى هـــذه المدينـــة ، فـــأخذ يســـمع أصـــوات الآلات الموسيقية. والأغاني ترتفع فى كـــل مكـــان ، فجلـــس تحت شجرة يستريح من شدة التعب ، حتى غلبـــه النـــوم .

جاء رجل ورآه مستغرقاً فى نومه ، فأيقظـــه وقـــال لـــه " أيها الشاب من أين جئـــت ؟ "

فاستيقظ من النوم ، وتبادلا التحيـــة ، وســـأله هـــل يوجـــد فى هذه المدينة ساحر مشـــهور .

قال له الرجل " ألم تسمع اسم هـــذه المدينـــة ؟ "

قال " ســـمعت "

قال هل رأيت عالماً طبيب يعيش في هـــذه المدينـــة ؟ نحـــن هنا لا شأن لنا بالعلماء لا نعرف إلا الســــــحرة والمشــعوذين.

قال " حسناً دلنى على أكبر ســــــحرتكم "

سأكشـف لـك سـرى :

ذهب به إلى منزل رجل يسمى " رحمتكم مسهلة " عندما وصلا إلى المنزل لم يجداه فقد خرج ليقض شئونه كالعادة منذ ثلاثة أيام ، ولكنهم علموا أنه سيعود فى المساء ، فجلس ينتظره ، ولم يعد إلا بعد أن انتصف الليل، وعندما دخل منزله دخل أحد لخدم عليه وأخبره أن ضيفاً ينتظره منذ الضحى ، فخرج وبعث من يستدعى أبا بكرليجلس معه على انفراد فلما رآه أخذ جسده يرتعش لشدة جماله فتبادلا التحية ، وسأله عما أتى به إلى هذه المدينة ، فقال أبو بكر " أن مشكلتى كبيرة ، إن أحيانا الله إلى الغد اكشف لك سري "

وعندما طلع النهار ذهب أبو بكر إلى منزل الساحر وبعد أن تبادلا التحية، قال أبو بكر " ما جاء بي إليك هو الهم الشديد ، الذي أصابتني به فتاة كنت أحبها ، وكانت تحبني حباً جماً ، منذ الطفولة حتى سن الشباب وكنت على وشك خطبتها والزواج بها ، بينما كنت أستعد لأبعث أمى لخطبتها ، فإذا بأحد أثرياء مدينتنا يسمى المعلم شيخو يسمع عنها ، ففرق بيننا طمعاً فقط ، بالرغم من أنه

متزوج من أربع زوجات ، مثـــل هـــذا الرجــل لا يجــب أن يظل معي في هذه الحياة ، ولا ينبغــــي لـــي أن أعيــش فـــى المدينة لأسمع أنه تزوجها ، لذلـــك عجـــزت عـــن فعـــل مـــا أشفى به غليلي ، وهمت على وجهي فى هـــذه الدنيـــا ، انتقـــل من مكان إلى آخر، حتـــى انتـــهى بـــي المطـــاف إلـــى هـــذه المدينة ، وبينما كنت أسأل الناس ، قيـــل لـــي أنــــه لا يوجـــد فى هذه المدينة من يفوقك علمـــاً فـــي فـــن الســـحر ، لذلـــك جئت إليك ، فـــإذا وافقـــت علـــى مســـاعدتي لأثـــأر منـــهم ، هدأت نفســـي " .

قال الساحر " الحمد لله لقد جئـــت لمـــن يســـتطيع تخفيـــف آلامك، لقد علمت بأمرك قبـــل أن تخـــبرني فعندمـــا افترقنـــا أمس جائتني الساحرة الكبرى وبينت لي كـــل الاســـباب التـــى جاءت بك ، ولكن ليس الأمر كما تظن فليســـت الرغبـــة فقـــط هي التي دفعت الثري إلى هـــذا الأمـــر ، الســـبب أنـــه يريـــد أبناً، وقيل له أنه إذا تزوج من هذه الفتاة ســـــيرزق بـــالولد ."

حينئذ قال أبو بكر " أحقا هكــــذا ؟ "

قال " إنه سيرزق لأن هـــذا الأمـــر ليـــس بيـــد الإنســـان ، ولكن بقـــدرة الله "

ثم سكت أبو بكر واستغرق في تفكير عميـــق، وبعـــد فـــترة قال " حسناً طالما أن الرغبة فـــى الولـــد هـــى التـــى جعلتـــه يفعل هذا الأمر ، شيء واحد فقط هو الـــذي ســيريح نفســـي، هو أن البركة التى يرجوها من هذا الولد تنقلب لعنـــة لـــه. "

سيتـــم ولكـــن بمشقـــة :

ثم سكت الساحر وبعد فترة قال " هذا الأمـــر ســيتم ولكـــن بمشقة ، هل تقبل إذا فعلته لك تتحمل كـــل آثامـــه ؟ "

قال أبو بكر " فكل ما يريده الله أن يفعله بـــي بســبب هــذا الأمر فليفعله ، المهم أن تقضـــى حــاجتى "

واستطرد قائلا " ماذا سأدفع إذا فعلت لي هـــذا الأمـــر ؟ "

ضحك الساحر وقال " لن آخذ شــيئا منــك ، لأن كــل مــا ستفعله بنفسك ، هل تستطيع أن تصبر وأن تحضـــر لــي مــا سأطلبه منــك ؟

قال " بقدرة الله سأســـتطيع "

قال الساحر " أريد أن تأتيني بصمغ شـــجرة الكلجـــو . "

قال " أين سأجده ؟ لم أر أبداً من حصـــل عليـــه "

قال الساحر " ليس في هذه المدينة ، ولكنـــي ســأقول لــك أين تجده إذا ذهبت، أنت تعرف أننـــي لــم أولــد فــى هــذه المدينة ، أنا من أهل يـــالى ، وتركــت موطنـــي منــذ كنــت صبياً بسبب رغبتـــي فـــى الوصــول إلـــى ســر الســحر ، وسمعت أن أبي مازال على قيد الحياة هنـــاك ، وهــو يتمنـــى دائماً رؤيتي ، لأنى أكبر أبنائه ، وســأبعث غليــه وســيخبرك أين ستجده ، إني أتذكر أنه كان يحكي لنا عـــن أخبـــاره وأنـــا طفل "

قال أبو بكر " وكيف يحدث ذلك ، ربما لـــو ذهبــت إليــه لن يصدق أنني جئت من عندك لأنك قلت أنـــك فارقتــه منــذ سنوات طويلـــة "

يقـدم للشـاب تميمـة :

وضع الساحر يده فـي جعبتـه وأخـرج تميمـة وقـال " قدمها إليه ، فسيعرف عند رؤيتها ، ومتى التقيـت بـه بلغـه كل أخبارى ، وتحيتي وعرفه أننـي مـازالت حيـاً ، وأنـى أريده أن يغفر لي كل ما فعلته في حقه مـن آثـام .

وإذا عفى عني فليبعث إلى عندمـا تعـود ، لأعـود إلـى موطنى ، وإذا نلت مـا طلبتـه منـك ، فسـتدفع ثمـن هـذه المساعدة التى قدمتها إليـك "

لـــم يعـــرفـــه :

عندما طلع النهار سلك أبو بكـــر الطريـــق وتـــابع الســـير يبيت يوماً في هذه المدينة ويوماً فـــى أخـــرى ، وفـــى مكـــان يجد الطعام ، وفى مكان آخـــر لـــم يجـــد بـــدا مـــن التســـول فيحصل على قوته بصعوبـــــة ، وهكـــذا حتـــى وصـــل إلـــى المدينة التى بعث إليها بعد شـــــهرين .

وصل إلى مدينة يالى عنـــــد الظـــهر فظـــل يتجـــول فـــى طرقاتها يسأل عن بيت والد الساحر ، ذهب إلـــى كـــل مكـــان فلم يسمع إلا قولهم " لم نسمع أبـــداً عـــن هـــذا الاســـم ، ولـــم نعرف والده " ولما أعياه السؤال جلس تحـــت شـــجرة ، وبعـــد قليل إذا برجل عجوز يعبر الطريق ، فقـــام وقابلـــه ، وركـــع تحية له ، وقال لدى سؤال ، إنني غريب مـــن بلـــدة تســـمى " عش مستعداً " هاجر إليها ســـاحر كبـــير منـــذ كـــان صغـــيراً وهو الآن من الأثرياء ، بعثني إلـــى والـــده ، ومـــن غبـــائي نسيت أن أسأله عن اسم والده قبل أن أغـــادر المدينـــة ، كمـــا نسى أن يخبرني باسمه أرجو مـــن الله أن تعرفـــه ؟ "

وقف العجوز صامتاً ، ثم طأطأ رأسه ، ومكـــث مـدة لـم يتكلم فقال أبو بكر " مـــاذا أصـابك ؟ هـل مجـرد السـؤال جعلك تحزن كل هذه الحـــزن ؟ "

قال العجوز " نعم ، هذا الكلام الذى قلتـــه ، ذكرنـى بمـا أطويه في قلبـي "

قال أبو بكر " سلامتك يـــا والــدى ، لــو أعلــم أن هـذا الكلام سيحزنك إلى هذا الحد مـا سـألتك "

قال العجوز " لا شيء ، الله هو مالك كــل شــيء "

فلما رأى أبو بكر أن نفس العجـــوز لـم تـهدأ قـال " يـا والدى ، بالله ، قل لي ما أحزنـــك "

قال العجوز " اسمع يا بنـــي ، إن لـــي ابنـاً كمـا تقـول هاجر منذ سنوات ، ولكنه مات ، وهذا ما أفكـــر فيـه دائمـاً، عندما تحدثت إلى أثرت ذكريـــاتي . "

قال أبو بكر " كيف تأكدت أنـه مـات ؟ "

قال العجوز " خرج من المدينـــة ، منـذ هـذه السـنوات ، لم أر من رآه ، واسمع شيئاً من أخبـــاره ، وهـذا مـا يؤكـد لي وفاتـه . "

قال أبو بكر " ما هو شكل ابنـــك "

أخذ العجوز يصفه ، قائلاً ولكن هذا الوصـــف منـذ كـان صغيراً لا يعرفه أحـــد الآن . "

حينئذ قال أبو بكر " لا تحزن فربمــــا بعثنــى الله لتعــرف أخبار إبنك ، قال العجوز " ليس هــذا محتمــلا لقــد مضــت أعوام طويلة ، وماذا سيؤكد لي أنه مـــازال حيــاً ؟ "

يخــرج بالتميمــة :

وهنا وضع أبو بكر يـــده فـــي جيبـــه ، وأخـــرج التميمـــة وقال " انظر إلى هذا الشيء هل رأيتــــه أو تعرفـــه ؟ "

أخذه العجوز ونظر إليه جيداً ، وقال " مـــن أيـــن حصلـــت على هــذا ؟ "

قال " إن الرجل الذي أخبرتك عنـــه هـــو الـــذي أعطانيـــها لأوصلها لأبيه كدليـــل"

قال العجوز " الله اكبر ، فعـــال لمـــا يريـــد ، ولا يعجـــزه شيء ، لاشك أن زكريا مازال حياً وهنا قـــال " تعـــال معـــى إلى بيتي ، لقد اشتقت لسماع أخبـــاره "

ذهبا إلى المنزل ، وأنزله فيه ، وقدم إليـــه الطعـــام فـــأكل، وارتاح ثم قص له كل أخبار ابنـــــه .

قال العجوز " بإذن الله ســـــوف أبعـــث إليـــه ليعـــود إلـــى وطنـــه . "

ثم استمر قائلا " وأنت كيف التقيـــت بـــه ، حتـــى يبعثــك لتقطع هذه المسافة الطويلـــة ، وتتحمـــل هـــذه المشـــقات دون علم بالمكان الذي تقصـــده ؟ "

صمـــغ شجـــر الكلحـــو :

قال أبو بكر " سبب لقائي بـــابنك أمـــر محـــزن أصـــابني فى مدينتنا لم استطع تحمله ، فتركتها غاضبـــاً ، ابحـــث عـــن الثأر لما أصابني ، وأثنـــاء طوافـــى فـــى الأرض ، شـــاء الله أن أصل إلى المدينة التى يعيش فيها ، وقيل لـــــي أنـــه وحـــده الذي يستطيع تخفيف عني هذه الآلام ، وعندمـــا ذهبـــت إليـــه وقلت له، قال أنه سيلبى طلبي على أن آتيـــه بصمـــغ شـــجرة الكلجو ، فلما قال لي ذلك ، قلـــت ، لا أعـــرف أيـــن أجـــده ، وهذا هو السبب الذي جئت إليك من أجله ، قـــال أنـــه عندمـــا كان صغيراً ، كان يســـمعك تقـــص عليـــه أخبـــاره والمكـــان الذي يوجد فيـــه "

إلا مـــا شـــاء الله :

قال العجوز " ما هو الأمر الذي أصـــابك بـــالضرر البلـــغ الذي جعلك تضحي بروحك ؟ لتحصـــل علـــى هـــذا الشـــيء الذي لا يحصل عليه إلا من شـــاء الله."

قال " طلبت الزواج من فتاة فـــى مدينتنـــا ، فسـلبها منـــي أحد الأثرياء بلا حياء، وكان فى اعتقـــادى أن الرغبـــة فقـــط وحب المال ، ولكن عندمـــا ذهبـــت إلـــى أبنـــك وأخبرتـــه ، اخرجني من جهلي ، وقال أنه قيل للـــثري أنـــك إذا تزوجتـــها بلغت المراد ، الذي هو أغلى شيء فى الحيـــاة فـــى نظـــره ، لأنه لم يـــرزق ابنـــاً ، لذلـــك ذهبـــت إلـــى ابنـــك ، أطلـــب مساعدته ، بأن يعيد هذا الابن الذي يرجـــو البركـــة بوجـــوده ينقلب أفسد خلق الله على الأرض ، حتى يكـــون لـــه مصـــدر كل مصيبة ، ويفضل المـــوت علـــى هـــذا الابـــن المنتظـــر ، فقال سيعمل ما تريد ، بعد أن آتيه بصمغ شـــجرة الكلجـــو "

قال العجوز " أيـــها الشـــاب ، الأفضـــل لـــك أن تصـــبر، وتتركه لله ينتقم له ، لأن هـــذا المطلـــب الـــذي تنشـــده ليـــس أمراً طيباً ، لا ينبغي أن تواجه الشـــر بفعـــل الشـــر ، دع الله يحكم بينكـــم "

وأخذ العجوز يهدأ من روعه ، فلما عجز عن إقناعه ، قال " هذا الأمر الذي حدثتني عنه لا أحب أن أفعله ، ولكن طالما أنني حصلت منك على أخبار ابني ، فإنني لن أرفض مساعدتك ، بالرغم من أن ما تحتاجه أمراً سيئاً ، وعليك أن تعرف أن أمامك مشاق كثيرة ، وأنك تقطع حتى الآن نصف رحلتك ، فستبتعد عن الأماكن المأهولة بالبشر بمسافات طويلة، وتدخل في غابات رققى ، حيث تجد مطلبك المنشود ، إذا كتب الله لك التوفيق ، وخفف عن متاعبك ، ولتعلم أن هذا الأمر لن يصل إليه إلا الرجل الشجاع حقا ، وإذا استمعت إلى نصيحتي ، الأفضل أن تعود إلى مدينتكم وتصبر ، وتتركه لله .

قال أبو بكر " مهما كانت المشقات التى سأتحملها لن أعود ، وأفضل الموت في سبيل الوصول إلى هذا الهدف من العودة إلى مدينتي وأعيش لأشعر بالآلام فى كل حين،"

عندما رأى العجوز أنه يتحمل مشقات السفر قال " امكث هنا يومين لتستريح ، ثم أعطيك الزاد لترحل "

زينب تشعر بالحمل :

وبينما زينب في بيت زوجها تستمتع بالحياة معه ، لم يمض شهران أو ثلاثة حتى شعرت بالحمل ، وعندما حان وقت الوضع ولدت طفلاً جميلاً ، قيل للمعلم شيخو أن زوجته ولدت ، ففرح فرحاً لا حدود له ، لأن كل ما كان يرجوه من أكثر من أى شيء فى الحياة .

وفى الحال أخبر أمير المدينة أن زوجة المعلم شيخو ولدت ، فبعث الأمير بالهدايا الكثيرة ، وفرح كثيراً ، وأمر المعلم شيخو أن يذهب الرسل إلى كل مكان ليخبروا أصدقاءه ، وخدمه بأن زوجته قد ولدت ، وقد ملأ السرور قلب كل من سمع أن صديقهم رزق وريثاً .

وفى يوم تسمية المولود احتشد جمع كبير ، وذبحت الأبقار والخراف وأقيم حفل أعظم مما أقيم يوم زواجه بالفتاة ، وأطلق على الابن اسم عبدالله ، ولكن كان ينادى غالباً باسم هدية ، وعم المدينة هرج ومرج عدة أيام ، وأخذ يدعو له كبار العلماء والشيوخ ، بأن يديمه الله ويجعله ابناً صالحاً فى ظل الإسلام ، ويتولاهم كما يتولاهم أبوه .

ودارت الأيام وكبر المولود ، وسترت عورته ، وأدخل المدرسة ليتعلم القراءة حتى كاد يحفظ القرآن ، وكان منذ نشأته ولداً طيباً كريم الخلق ، محبوب لدى الجميع ، وكان مصدر السرور لأبيه دائماً ، لم يترك شيئاً من متع الحياة إلا وقدمها إليه ، وقد بنى له والده حجرة خاصة في مسكن أبيه الخاص كان ينام فيه رفاقه من الأطفال ، حيثما يكون هدية يلتف حوله الأطفال ، لم يكن بينه وبين أى إنسان فى المدينة إلا الأدب والاحترام فلا يحتقر أحداً، حيثما يسير يباركه كل من يراه .

البحث عن غابة رقفى :

أما أبو بكر ، فبعد أن قضى يومين فى مدينة يالى ليستريح ، أحضر له العجوز الحصان الذي سيركبه أثناء الرحلة ، وأمده ببعض المال ليشترى ما يريده من الطعام أثناء الطريق ، وقدم إليه بعض الثياب ليستعملها رداء وغطاء ، ودله على الطريق ، وقال له " إذا خرجت من هنا لا تعرج على أى مكان حتى تصل إلى مدينة تسمى سنجا ، إذا وصلت إلى هذه المدينة استرح قليلا ثم اتجه شمالا وسر حوالى سبعة أيام ، ثم اسأل عن غابة رقفى وإذا دخلتها تجول بين أشجارها كثيراً ، لعل الله يوفقك فما تطلبه شيء سحري ، لا يوجد إلا بصعوبة وأحياناً يتشكل للإنسان بشكل حشرة فيجن أو يموت "

وقال " لم أر مثله بعيني منذ جئت إلى هذه الحياة "

قال العجوز " إذا أظهره الله لك ، سترى مكانه يضيء كأنه الشمس، مع أنه شيء صغير ، ولكن إذا وصلت إليه لتأخذه غالباً ما يختفى ، فإذا وصلت إلى مدينة سنجا ابحث عن علبة صغيرة واطلها بالدهن ، وضعه بها إذا حصلت عليه .

وتبادلا التحية مع بعضهما ، وقـــال العجــوز " وفقــك الله، وخفف عنك المشـــاق "

قال " آميــن "

أعد أبو بكر متاعه البسيط وربطـــــه ، وركــب حصانـــه ، وأخذ يسير فى الغابة الموحشة ، ولم يلتق منــــذ بــدأ الرحلـــة إلا برجل واحد بالقرب من مدينة يالى ، فقـــــال لـــه الرجــل " ويحك أيها الرجل ، إلــــى أيــن ســتذهب فــى هــذه الغابــة الموحشة ، وليــس معــك إلا هــذا الحصــان وهــذا المتــاع اليسير ؟ فى هذا الخلاء ألا تخشـــى الأخطـــار ؟ يبـــدو أنـــك غريب ، ولا تعرف هذا الطريــــق . "

قال له أبو بكر " ذاهب إلى مدينـــــة ســـنجا "

" سنجا أنك رجل لا تحترم رأى مـــن هـــو أكـــبر منـــك ، ولا أعرف مدى استعدادك ، اذهــــب حفظـــك الله "

قال " آميــن "

يلتقـــى بقطـــاع الطــرق :

أستأنف أبو بكر الرحلة حتى انتصـــف النـــهار ، واســـتمر فى المسير حتى أعجز السير حصانه لشـــدة الجـــوع والظمـــأ، وبعد مشقة بلـــغ نـــهرا مليئـــاً بالشـــلالات ، فـــنزل وجـــرد الحصان من سرجه ، وحمل متاعه البســـيط ووضعـــه تحـــت ظل شجرة ، وسحب الحصان ونزل به إلـــى المـــاء فشـــرب، وأخذ يتقلب فى الرمال ، ثم صعد به إلـــى الشـــاطىء وقيـــده، حيث أخذ يرعى العشـــب النـــابت علـــى شـــاطيء النـــهر ، وخلع أبو بكر ثيابه واستحم فـــى ميـــاه النـــهر ، ثـــم ارتـــدى ملابسه وشرب ، وصعـــد إلـــى الشـــاطىء وجلـــس بجـــوار متاعه ، وأخرج زاده وتنـــاول قليـــلا مـــن الطعـــام ، وفجـــأة نظر خلفه فرأى رجلين قادمين من بعيـــد يحمـــل كـــل منـــهما غمدا ممتلأ بالســـهام وقوســـا، ركـــب الســـهم فـــى وتـــره ، يقصدانه ، وهو يجلس فى هذا الوقت ويكاد الخـــوف يقتلـــه.

عند قدومهما ألقى أحدهما التحية ، فـــرد عليـــه أبـــو بكـــر وجسمه يرتعد خوفـــاً .

قال اللص " أنت ، إلى أين ذاهـــب ؟ "

قال " ســنجا "

قال " هل أنت غريب ، لم تسلك هذا الطريق مـــن قبـل؟"

قلت " منذ أن خلقنى الله ، لم آت إلى هــذا المكــان "

فقال أحدهما لأخيه " يا له مــن رجـل أبلـــه ، هــل جئنـا لنتحدث ؟ لنفعل ما جئنا من أجلـــه ، ونذهــب "

فقال لأبى بكر " أنت ، عليك أن تختار إمـــا متـــاعك وإمـــا حيـاتك . "

قال أبو بكر " اختار حيـــاتي "

قال " اخلع ثيـــابك وســـروالك ، وضعـــهم علـــى متـــاعك هذا. "

فخلعها ووضعها ، ثم ذهب الآخرليفــــك الحصــــان ، فلمـــا رأى الحصان شخصا غير صاحبه ، أخـــذ يرفســـه ويعضـــه، فنادى عليه اللص قائلا " تعالى إن حصـــــانك ســـيعضنى ! "

فذهب أبو بكر مســـــرعا ، وأمســـك الحصـــان ، ووضـــع اللجام فى فمه ، والسرج على ظـــــهره ، فقـــالا لـــــه " اذهــب لشأنك ! " فأخذ طريقه عار إلا من ســــاتر العـــورة .

فلما رآه اللصان بدأ فـي المسـير نـاداه أحدهمـا قـائلا " انتظـر !!"

وقف أبو بكر بـلا حركـة ، لـم يرفـع قدمـا ، وجسـده يرتعد ، فلما وصل اللـص إليـه ، لطمـه علـى وجهـه ، وسحب سكيناً وقطع جزءاً من أذنه وتركه ، فرقـد أبـو بكـر حيث هو يصرخ ، فاللطم مؤلـم ، وأذنـه مقطوعـة، الغيـظ يملأ قلبه لسرق متاعه ، وبعد قليل أفـاق ، ولـم يلحـق بـه أحد ، وبعد العصر سمع حديث بعض النـاس قـادمين خلفـه فظنهم بعض اللصوص ، فدخل إلـى حافـة الغابـة ، ولجـأ إلى شجرة وتوارى بين أغصانها ، فلمـا اقـتربوا منـه علـم أنهم بعض الحمارة ، فلمـا رأى ذلـك خـرج وجلـس علـى الطريـق .

ولما وصلوا إليه قالوا " مـاذا أصـابك ؟ "

قال " جئت من مدينة يالى قاصداً مدينـة سـنجا ، فقـابلني بعض قطاع الطـرق ، فجردونـى مـن كـل مـا أحمـل ، وضربونى ، وقطعوا أذني كمـا تـرون "

لما سمعوا كل ما قاله لهم قالوا " لقد رأينا آثـار ذلـك فـى الطريق ، فمرضـوه وقـدم أحدهـم قطعـة مـن القمـاش ، وحملوه على ظهر الحمار وأوصلـوه إلـى إحـدى المـدن ، ومضوا في سبيلهم ، وذات يوم لم يجد منزلاً ينـام فيـه فنـام فى السوق وبطنه خاوية ، ولما طلع الصبـاح لـم يجـد مـا

يفطر به ، فلم يجد بدا من التسول حيث يتصـــدق عليــه كــل من يراه ، ونام فى السوق أياماً طـــوال ، ذات يــوم رأه أحــد الناس فسأله عن المكان الذي جاء منه ، فقص عليـــه كــل مــا واجهه من أخطار ، فأشفق عليـــه واصطحبـــه إلـــى منزلــه ، حتى استراح واسترد صحته ، وبعد عدة أيـــام اســتراح فيــها تماماً ، قدم إليـــه رب البيــت بعــض الــزاد ، وتصافحــا ، وواصل رحلتـــه .

ينام في السوق ويقبض عليه :

ومرت الأيام وهو يواصل الرحلة ، حتى وصل إلى مدينة تسمى ريمى عشاء ، فبحث عن مكان ينزل فيه ، ولكن كان يطرد حيث ذهب ، فلم يجد مكاناً ينام فيه ، فذهب إلى سوق المدينة ، فوجد كوخاً فدخله ونام فيه ، ونام على جنب واحد لم يتحرك إلا عندما سمع الناس يقولون " لص ! لص " وقصدوا إلى السوق ، ولغبائه الشديد خرج ووقف على باب الكوخ ، حيث لا يعرفه أحد، فرآه الناس فقال " النجدة يا ناس !! ها هو اللص " وفي الحال التف حوله الناس وامسكوا به وانهالوا عليه ضرباً وهو يقول " انتظروا ، لست لصاً ! أنا غريب جئت اليوم ، بحثت في كل المدينة عن مكان أنام فيه فلم أجد فعدت إلى السوق ونمت فيه ، وهاكم متاعي في الكوخ "

قال الناس " إنه كذاب ، لابد أنه هو اللص الذي يطاردونه الآن "

وقيده وحمله إلى منزل أمير المدينة ، ولما طلع النهار أخذ إلى منزل القاضي ، فسأله عن المدينة التي جاء منها فقال من مدينة جلما .

قالوا " لم نسمع أبدا عن مدينة بـهذا الاسم ، إنـه يكـذب وهو اللـص "

حكم عليـه القـاضى بخمسـين جلـدة ، والحبـس ثلاثـة أشهر.

صب عليه العذاب ألوانا ، وبعد انتـهاء الاشـهر الثلاثـة ، أطلق سراحه وطرد خارج المدينة ، واسـتمر فـى رحلتـه ، ولم ينته كل ما واجهه من صعاب عن مقصـده ، ولـم تـزده إلا تصميماً ، وكانت فكـرة الانتقـام تشـغل كـل تفكـيره ، ودارت الأيام وطالت الرحلة حتى بلغ مدينـة سـنجا ، وكـان دائماً يقول فى نفسه " لن أعود إلى موطنـى ، مـهما كـانت الصعاب ، حتى أحصل على صمغ شـجرة الكلجـو ، بـإذن الله "

ولما تذكر المشاكل التى واجهته فـى ريمـى وهـو قـادم إلى هذه المدينة قصد مـنزل الأمـير مباشـرة ، وقـال أنـه غريب سيرحل ولكنـه يريـد مـنزلاً ، فسـأله الأمـير عـن المدينة التى جاء منها فقال له ، فأمر أن يؤخـذ إلـى مدخـل السوق ، حيث نزل فى منزل رجل طيب ثـرى ، مكـث فـى المنزل الذي أنزل فيـه الأمـير ، ولـم يجـد صعوبـة فـى الحصول على الطعـام .

وذات يوم جلس يتحدث مع صاحب المـــنزل ، فقــال لـــه " لن أمكث طويلاً فى هذا المكان ، إن ما جــاء بـــي إلـــى هنــا هو كذا وكذا   ودلونى على غابة رققى إننـــي أجــد مطلبـــي هناك "

يجمـــع الـــزاد :

قال الرجل " لابد أنه هناك ، حيـــث توجـــد غابـــة ، فيـــها كل شيء يبحث عنه الإنسان ، ولكـــن يجـــب أن تمكـــث هنـــا يومين لتستريح ، لأنك تعبت من الســـفر ، وبعـــد أن تســـتريح أزودك ببعض الزاد لتواصل الرحلـــــة "

وافق أبو بكر على كلامه ، ومكث يعمـــل حمـــالاً ، مقـــابل قليل من المال يجمعه ليشترى بـــه الـــزاد . "

وذات يـــوم قـــال لـــرب البيـــت ، أنـــه يريـــد الرحيـــل ، فأحضر زاداً كثيراً وقدمه إليـــه ، جمـــع أبـــو بكـــر متاعـــه ، واشترى العلبة الصغيرة التى طلب منـــه الرجـــل العجـــوز أن يحصل عليها ، حيـــث يضـــع فيـــها صمـــغ الكلجـــو عندمـــا يحصل عليه ، ثم واصل الرحيل ، ينـــام اليـــوم فـــى مدينـــة وبعد أيام ينام فى أخرى ، حتى وصل إلى مدينـــــة نـــام فيـــها وأخبره أهلها أنه لا مدن بعد ذلـــــك .

سأل عن غابة رققى ، ولكنه لم يجـــد رداً مؤكـــداً لأن كـــل من سأله يرد عليه قائلاً أنه لـــــم يذهـــب إلـــى هنـــاك أبـــداً ، ولكنهم لم يختلفوا على خطورة هـــذه الغابـــة ، فلـــم يســـمعوا عن أحد ذهب إليها وعاد ، فمكث فى المدينـــة لمـــا ســـيواجهه من مشـــقات .

يصـــل إلـــى منـــزل صيـــاد :

عندما استعد تمامـــا قـــام وبـــدأ الرحلـــة ، حتـــى تجـــاوز الريف ، ومنذ أستأنف الرحلة أخذ يمـــر علـــى القـــرى قريـــة قرية ، حتـــى أصبـــح لا يـــرى إلا المراعـــى ، وبعـــد أيـــام اختفت هى الأخـــرى عـــن النظـــر ، فلـــم يتوقـــف وواصـــل السير حتى وصل إلى منزل أحـــد الصيـــادين داخـــل الغابـــة الموحشة ، فعرج عليه وألقى عليه الســـلام فخـــرج صـــاحب المنزل وسأله عما جاء به إلى هـــذه المدينـــة ، فلمـــا أخـــبره تملكته الدهشة ، وقال " لو سمعت نصيحتـــي ، عـــدت طالمـــا أن فيك بقية من الحياة ، وإذا لم تأخذ بـــها ومضيـــت ، فـــإنك لن تعود، لأن هذه ليســـت غابـــة صغـــيرة أننـــى لا أعـــرف مداها بالرغم من إقامتى بها ، فقد يمـــر ثلاثـــة أشـــهر لا أرى فيها مخلوقا واحـــدا "

قال أبو بكر " سمعا وطاعـــة ، ولكـــن طالمـــا أننـــي قـــد عزمت على الوصول إلى مطلبي ، فـــلا شـــيء ممـــا تقولـــه لى ممكن أن يثنينى عن عزمـــي، هـــل اقطـــع هـــذه الرحلـــة الطويلة ، وأتحمل كل هذه الأخطار والمشـــقات ، ثـــم أعـــود صفر اليديـــن ؟ "

قال الصياد " كــل الأخطــار والمشـقات التــى واجهتــها تعتبر بسيطة لما ستلاقيه مســــتقبلا "

ثم بدأ يقص عليه ما يعرفــه مــا يعرفــه مــن أخبــاره هــذه الغابــة المخيفة والسيئة وما يسكنها مــن جــن ، فلمــا أدرك أن كــل ما قص عليه لم يخفه ، ولم تثنه عن مقصــده ، تركــه وقــال " فى الغد سأصطحبك حتى هذا الجبــل ، وهنــا أدلــك علــى الطريــق "

لما طلع النهار اصطحبـــه الصيــاد فــى الطريــق حتــى وصلا إلى المكان الــذى حدثــه عنــه مــن قبــل ، وصعــدا الجبل، حيث نظر أبو بكر فلم ير شــيئا علــى مــدى بصــره إلا هذه الغابة الموحشة ، التـــى يخشــاها الشــجعان ، وهنــا قال الصياد هل ترى ذلك الجبل الذى لا تكــاد العيــن تــراه ، ستذهب إليه ، فإذا وصلــت إلــى هنــاك وســرت مباشــرة ، اعتقد أنك بعد عدة أيام ســتدخل الغابــة التــى ســتجد فيــها مطلبــك . "

شكره أبو بكر وتبــادلا التحيــة وقــالا " نســأل الله اللقــاء مرة أخرى " وعاد الصياد وواصل أبو بكــر الرحلــة .

سار أبو بكر أيامــا طــوال حتــى وصــل إلــى الجبــل ، وواصل السير حتى ظن أنه وصل إلى المكــان الــذي يبحــث عنه ، فوجد كهفا فى باطن الجبــل ، فوضــع متاعــه ، فلمــا

أقبل المغرب بدأ فى البحث ، ولم يعد حتى طلع النهار ، وهكذا ظل يبحث عدة أشهر ، حتى نفذ زاده ، فبدأ يأكل ثمار الأشجار وجزوع النباتات والحشرات ، ولم ير شيئا خلال هذه الفترة ، حتى بدأ اليأس يسيطر عليه .

ظل يقضى الليالي فى البحث عما ينشده ، وفى النهار يبحث عن كهف فى باطن الجبل أو جزع شجرة فيدخله وينام فيه ، واستمر على هذا الحال حتى عجز عن عد السنوات التى قضاها .

وذات يوم وهو على هذا الحال ، كان يتجول فى الغابة، فرأى شيئا يتلألأ من بعيد كالشمس بين أغصان إحدى أشجار الكلجو ، فتملكه السرور وأخذ جسمه يهتز فرحا ، وجرى مسرعا ليلتقطه ، وأثناء الجرى اصطدمت رجله فى كتلة خشبية ضخمة ، فوقع على أسنانه فبرزت خارج فمه ، فلما قام لم ير شيئا وأظلم المكان تماما كما كان قبل ذلك ، فأخذ ينظر فى كل مكان حوله ، ويبحث حتى طلع النهار ، وبدأ يشعر بالألم الشديد فى أسنانه ، حتى فقدته لذة الحياة ، ومكث فى المكان ليلا ونهارا فلم ير شيئا ، فحزن حزنا شديدا ، وترك المكان وأخذ يبحث فى مكان آخر ، حتى أضناه البحث ولم ير شيئا .

وذات يوم هبت عاصفة شديدة ، وهطلت السماء بالأمطار ، ولكنه لم يعبأ بحرارة الشمس ولا غزارة الأمطار مهما اشتدت ، وأخذ يتجول فى الغابة مواصلا البحث ، وأثناء ذلك سمع صوت الرعد الشديد والبرق فى وقت واحد ، حتى عجزت عيناه عن الرؤية ، ثم أعقب ذلك ظلام دامس ، وتوقفت الحركة تماما ، وبعد قليل رفع رأسه إلى أعلى فرأى من بعيد ضوءا شديدا ، فلم ينتظر لحظة وجرى مسرعا وقصد مكانه ، فرأى شجرة الكلجو الضخمة أمامه كاد يصطدم بها ، وبين أغصانها شيء يلمع ، فتسلقها وهم بانتزاعه ، وفجأة هبطت صاعقة على الشجرة فقسمتها نصفين ، فوقع على الأرض فاقد الحركة، ولم يشعر أبو بكر بمن ألقاه بعيدا حيث ظل راقدا لا يشعر بما حدث له ، ولم يفق حتى طلع النهار ، فرأى الشجرة قد احترقت ، ولا أثر لما رأى أثناء الليل ، فقام يجر جسده الثقيل ، ومضت عدة أيام قبل أن يسترد صحته ويستطيع مواصلة السير .

الرؤيـــة الثالثـــة :

لم يمض وقـــت طويـــل حتـــى رأى هـــذا الـــبرق للمـــرة الثالثة، فأخذ يتجول فـــى الغابـــة ، ثـــم عـــاد إلـــى مرقـــده ، وأوشك النهار على الطلـــوع ، وفجـــأة نظـــر أمامـــه فشـــاهد الضوء كنور الفجر ، فظـــن أن النـــهار قـــد طلـــع ، وتلفـــت حوله فوجد مطلبه وقـــد فـــاق نـــوره هـــذه المـــرة المـــرات السابقة ، فنسى مـــا تكبـــده مـــن نصـــب ، وجـــرى مسـرعا خشية أن يختفى مرة أخرى قبل أن يصـــل إليـــه ، ومـــا كـــاد يمد يده إليه ويلمسه حتـــى رأى ثعبانـــا كبـــيرا أســـودا قطـــر جسمه كفخذ الإنسان لا يرى نهايـــة لـــه ، فـــتراجع للـــوراء ، ولما رفع الثعبان رأسه ونظـــر إليـــه ، رأى عينيـــه كجمـــرة النـار ، ولسانه أحمر كألسنة اللهب ، فغطى أبـــو بكـــر وجهـــه بيديه وكاد يسلم نفسه للمـــوت .

ماذا جاء بـــك ؟

ثم سمع صوتا كالرعد يقول له " أنت أيـــها الرجـــل مـــاذا جاء بك إلى هنـــا ؟ ألـــم تمنعـــك الأخطـــار التـــى واجهتـــها مرتيـــن ؟ "

وفى خوف شديد قال " من أنـــت ؟ "

فرد عليه قائلا " أنا ملك الجن الـــذي امتلــك كــل صمــغ الكلجو ، لا يوجد مخلوق يستطيع أن يأخذه مــن بيــن يــدى ، إلا من أجده يستحق الحصــول عليــه ، كــاد تطفلــك اليــوم يقضي عليــك " .

قال أبو بكر " أطال الله حياتك ، والله لـــم أكــن أعــرف ، ليس التطفل هو الذي جاء بــي " وحكــى لــه كــل الأســباب التى جاءت بــه .

فانفجر ضاحكا وقال له " أيـــها الشـــاب ، إننــا لا نقصــد لفعل الخير ولكن للشر دائمـــا ، لــولا أنــك قــادم إلــى منــذ البداية ، ما واجهتك كل هذه الصعاب ، كــل مـــا تريــده مــن شر ، أساعدك فيه ولا تطلـــب منـــى خــيرا لأن الشــر مــن طباعنا ، وكل من يسعى لفعله يكون مـــن أصدقائنـــا "

وهنا أغمى عليه ، ولم يشعر بــــأى شــىء ، ولمـــا أفــاق وفتح عينيه رأى النهار قد طلع ، وهـــو راقــد أســفل شــجرة الكلجو تماما ، حيث وقع ، فنظـــر هنــا وهنـــاك ، فلــم يــر الثعبان ، فظن أنه كان فى حلــم مخيــف ، ثــم نظــر فوجــد علبته الصغيرة ، حيث ألقاها عندما أغمى عليـــه ، فمــد يــده وأخذها ، فشعر بشـــيء يرتعــش ، ففتحــها فــرأى ضــوءا شديدا كأنه فى وضح النهار ، فأســـرع وأغلقــها ، وحمــد الله

ولفها فى ثيابه ، وقام عائدا ، ولم يحــاول أن يتفقــد مــا فــى العلبة ، فقد أنساه الفرح والســـرور كــل شــيء ، ثــم أخــذ الطريق متجها حيث يعيش النـــاس ، واســتمر فــى المســير حتى خرج مــن الغابــة ودخــل الريــف ، واســتمر يطــوى الأرض سيرا حتى وصل إلى مدينـــة ســنجا .

يجـــد رفيــق الطريــق :

قضى أبو بكر عدة أيام فـــى مدينـــة ســـنجا حتـــى وجــد رفيقا، فالتحق بإحدى القوافل ، وواصل الســـير حتـــى وصـــل إلى مدينة يالى ، فلمـــا وصـــل لـــم يتوقـــف إلا فـــى مـــنزل الرجل العجوز والد الساحر ، فلما رآه العجـــوز لـــم يعرفـــه ، فقال له أنه أبو بكـــر .

قال العجوز : " من أبو بكـــر ؟ "

قال " الذى جاء إليك من مدينة عـــش مســـتعدا "

قال العجوز " أنت كـــذاب ، لأنـــك علمـــت بأخبـــار ولـــد يسمى أبو بكر جاء فأكرمته ، جئت تدعى أنـــه أنـــت "

قال أبو بكر " والله أنا هـــو "

قال العجوز " أنا لا أصدق ، لأن أبـــو بكـــر الـــذى جـــاء إلى ، ولد جميل غير مشوه ، أما أنت فشـــكلك قبيـــح ، أســـود ، ليس لك أسنان ، أشعث كقطـــاع الطـــرق . "

قال أبو بكر " أن ما جعـــل شــكلى يتغــير هكــذا ، هــو الجوع ، ومشقات الرحلة ، أترى أثر هذا الجـــرح الــذى فــى جسمي ، أنه خمسين جلده حكم على بها فـــى إحــدى المـــدن، وهذه الأذن التى تراهـــا مقطوعـــة ، قطعـــها بعــض قطـــاع الطرق ، والأسنان التى لا ترها اقتلعتـــــها فـــى الغابــة ، وإذا لم تكن تصدقنى حتى الآن ، فـــإليك دليلـــي " ثـــم قـــدم إليـــه العلبة الصغـــيرة .

فلما فتحها رأى الضـــوء الشـــديد يمـــلأ الحجـــرة ، قـــال " صدقت ! لا شك أنك أبو بكر كيـــف حـــالك ؟ " .

ثم استطرد العجـــوز قـــائلا : كـــل هـــذه الصعـــاب التـــى واجهتها لم تجعل قلبك يلين ، وتعفو عـــن عـــدوك ؟ "

الثـــأر :

قال " هل يواجه الإنسان كل هذه المشقات ثـــم يليـــن قلبـــه؟ كل هذه المشقات التى واجهتــــها ســأثأر لــها ممــن دفعنـــي إياها، علاوة على ما فعله قبل ذلــــك . "

استراح أبو بكر بعـــد مضـــى يوميـــن ، وذات يـــوم قـــال للعجوز أنه يريـــد أن يعـــود إلـــى مدينتـــه ، فـــأمده العجـــوز بالزاد ، وبعث معه الشقيق الأصغر للســـاحر ليعـــرف مكـــان أخيه ، وتبادلا التحيــــة ، واصطحبـــهما حتـــى وصـــلا إلـــى الطريق ، فواصلا السير الطويل حتى وصـــــلا إلـــى مدينـــة " عش مســتعدا "

ولما وصل أبو بكـــر اتجـــه إلـــى مـــنزل الســـاحر ، فلـــم يعرفه أحد من الخـــدم .

قال " جئت إلى رب البيت " فدخلـــوا واخـــبروا ســـيدهم أن ضيفا بالباب، ثم دخلوا بعد خروج ســـيدهم ، بعـــد أن تبـــادلوا التحية سألهم من أين جـــاءوا .

قال أبو بكر " يا سيدي هل نســــيتني ؟ "

قال " نعم ، نسيتك ، أخبرني مـن أنـت "

قال " أنا أبو بكر ، من مدينة جلما الـذي طلبـت منـه أن يذهب للبحث عن صمغ شـجرة الكلجـو "

قال لأبى بكر ! " والله لـم أعرفـك ، أرى شـكلك تغـير تماما ، لعلك كنت مريضـا ؟ "

قال أبو بكر " يـا سـيدي ، لـولا أن الله قـد كتـب لـي الحياة، لمت ، كل ما فى هـذه الدنيـا مـن مشـاق واجهتـها جميعا ، وأشكر الله الذي بلغني ما أريـد ، إن الشـيء الـذي طلبته مني قد حصلت عليه ، هاهو الغلام الـذي جـاء معـى شقيقك الأصغـر ، أرسـله معـى والـدك ليـأتى لرؤيتـك ، ويعرف أين تقيـم "

فرح السـاحر فرحـا شـديدا برؤيـة شـقيقه الأصغـر ، وأخبره أن والده مازال حيا ، وقال لأبى بكـر " اذهـب إلـى حجرتك ، وغدا بعد أن تسـتريح نتحـدث ، فقـام أبـو بكـر ودخل حجرته ، وقدم إليه الطعـام فـأكل ، وبـدأ يسـتريح ، وتركه الساحر مـع شـقيقه الأصغـر ، يسـأل عـن أخبـار المدينـة .

وعندما طلع النهار جاء أبو بكر وقال للساحر " ها أنا قد حصلت على ما طلبته ، أريد أن تصنع لي ما أريد لأعود إلى منزلى ، لأننى لم أره منذ عشر سنوات تقريبا، وأظن أنهم لا يعتقدون الآن أننى حي "

يعطيه الدواء السحرى :

قال الساحر " وهو كذلك " وصنع له الدواء السحرى وقدمه إليه " خذ هذا ، عندما تصل ، وترى الغلام اغسل يديك به ، ولا تمس شيئا بهما غيره ، وعندما تراه حاول أن تقتلع شعرة من رأسه ، وضعها فى هذا الدواء وأبحث عن قبر جديد وأحضره وضع الشعرة والدواء فيه ، تقضى كل حاجتك "

مد أبو بكر يده وأخذهما فى فرح وسرور وشكره شكرا كثيرا ، ثم قال " ولكن هناك مشكلة كيف سأجد الفرصة لأمسح جسمه بالدواء ، وكيف أحصل على شعرة من رأسه ، ربما سيكون هذا أمرا عسيرا "

قال الساحر " ليس هذا أمرا عسيرا فمن يتحمل كل هذه المشقات ويستطيع الوصول إلى ما يريده ، هل يعجزه هذا الأمر ؟ ولكن خذ هذه التميمة لا تسمح لأى إنسان فى هذه الحياة أن يحرمك منها . " فكرر أبو بكر له الشكر .

لم يمكث هذا اليوم فى المدينة فقد قـــام واســتأنف رحلتــه عائدا حتى وصل إلى بوابة مدينة جلمـــا بعــد أيــام طــوال ، لم يعرفه كل من التقى به حتى وصل إلـــى منزلــه .

لما وصل إلى المنزل لم يتوقف إلا فـــى داخلــه ، وكــانت أمه تجلس عصرا خـــارج المــنزل ، فــرأت رجــلا يدخــل عليها المنزل فقالت " من هذا الرجـــل الـــذي يقتحــم المـــنزل دون أن يستأذن ؟ " فلم يقل أبو بكـــر شـــيئا .

يعـود إلــى منزلـــه :

قالت " إذا لم تخرج سأستنجد منــك كـــاللص "

حينئذ قال " أمـــى "

ثم قامت مسرعة وعانقته وقـــالت أبــو بكــر ، مــن أيــن جئـت ؟ "

قال " ها أنا ذا ، لقد شاء الله أن نلتقي مــــرة أخــرى "

ثم انفجـــرت فـــى البكـــاء ، فســمع الجـيران ، فجــاءوا مسرعين ، يقولون " ماذا حدث ، مـــاذا حــدث ؟! "

قالت " ابني عاد " فامتلأ البيت كله بـــالفرح والســرور .

قالت الأم " اشكرك يا ألـــهى ، لقــد أرجعــت لـــي ابنـــي سالما " وفى الحال قامت وأحضـــرت لـــه الطعـــام ، فـــأكل ، واستراح ، وذاع الخبر فى كل مكان بأن أبو بكـــر قـــد عـــاد، وكان أخوه الأصغر فى الســـوق ، فلمـــا ســمع ذلـــك تـــرك

بضاعته ، وعاد إلى البيت مسرعا ، فلما وصل وجده جالسا مع أمه ، قال " يا أمى ، أين أخى ؟ "

قالت " ألا تراه جالسا ؟ "

قال " أخى مرحبا بقدومك " فرد التحية .

حينئذ قال أخوه الصغير " والله لو تقابلت مع أخى فى الطريق قبل ذلك ، لمضى كل منا دون أن يعرف الآخر ، إلا إذا تكلم معى ، لأننى أرى شكله قد تغير تماما . "

وجلسوا يتحدثون ، وأخذ الناس يتوافدون عليه مهنئين بسلامة الوصول .

وذات يوم وهم جالسين سأل أخاه الأصغر " ما أخبار زينب ؟ "

قال " لم يمض وقت طويل بعد رحيلك حتى انجبت زينب ابنها ، ولد جميل طيب ، محب للعمل ، يحترم كل إنسان فى المدينة ، هذا هو الطريق الذي يسلكه إلى المدرسة ، سأدلك عليه ، لقد صار صبيا كبيرا .

وبينما هـم جالسـون ظـهرا وإذ بهديـة ، ينـادى الأولاد ليذهبوا معه إلى سوق الجمعة ، فقال شـقيقه الأصغـر " هـا هو هناك وسط الأولاد ، ذو الثـوب الجميـل . "

قال أبو بكر " حقا لقد كـبر الولـد ، أن مـن تتوفـر لـه النعمة لا ينقصه النمـو "

قال " ويحك يا أخى ، ألا تنظـر للسـنوات الطـوال التـى قضيتـها ! "

قال " صدقـت "

ثم استطرد أبو بكر قائلا " والآن ألا ينام فـى المـنزل "

قال شقيقه الأصغر " ويحك هذا الولد أكـبر مـن أن ينـام فى المنزل ، لقد سمعت أن أباه قد بنى له طابقـا كبـيرا فـى مسكنه الخاص ، وفرشه بأثاث رائع ، ينـام فيـه مـع خـدم أبيه .

قال أبو بكر " وأى حجرة فى المنزل تنـام أمـه ؟ "

قال " سمعت من النساء أنه بنـى لـها مـنزلا كبـيرا ذات حجرات ثلاث تقيم فيـه "

يستعمل الـــدواء السحـــرى :

وذات يوم بعد أن خلت الطرق من الســـــالكين ليــلا ، قــام أبو بكر ، وغسل يديه بـــالدواء الســـحرى الـــذى قدمـــه إليـــه الساحر ، وتوجه إلى منزل المعلـــم شـــيخو ، ودخـــل مســـكنه الخاص ، ورأى الحجرة التى ينام فيـــها هديـــة، فلمـــا دخلـــها وجد الكل مستغرقا فى النوم ، فعرى جســـــد الغـــلام ومســـحه بيده ، وأخذ المقص مـــــن ســـترته ، وقـــص شـــعر رأســـه ، وخـرج لشـــأنه .

ودخل مكانا آخر فى المنزل ، وذهب إلـــــى حجـــرة زينـــب فوجدها مستغرقة فى نوم عميق ، فنادى عليـــــها " زينـــب ! "

فتلفتت وهى فى سكرة النوم ، وقـــــالت " مـــن ؟ "

قال " أنا أبو بكر ، الـــذي أذللتيـــه علـــى أعيـــن النـــاس ، ألست تعرفين أنه بســـببك هجـــرت المدينـــة ، وهمـــت علـــى وجهى فى الدنيا ، وذقت كل العذاب ، ولكنـــــى عـــدت لأقـــول لك ، لقد حان وقت الجـــزاء ، واســـمعى مـــا ســـأقوله لـــك ، لتعلمى أنه كل مـــن يذلنـــي لا يعيـــش ســـالما ، ابنـــك الـــذى ولدتيه ، سيصير فاسدا ، لقد طلبتموه بركــــة ولكنـــه ســـيصير لكم لعنة ، وسيجلب لكم العار والهم ، حتى يكـــون يومـــا مـــا

سببا فى قتل أبيه " ثم التفت وعاد من حيـــث أتــى ، وذهــب إلى شـأنه .

وفى الصبـــاح اســتيقظت زينــب ، تفكــر فــى نفســها ، وتقول " اليوم رأيت مناما مخيفــا ، إنــه صــوت أبــى بكــر الذى سمعته فى المنام ، كأنه فى حجرتى يتكلــم معــى ، هــذا الكلام أزعجنى ! " ثـــم قــامت مذعــورة ، وذهبــت لــترى ابنها، فوصلـــت إلــى حجرتــه الخاصــة ، وأطلــت لــتراه مستغرقا فى النوم ، فعـــادت إلــى حجرتــها ، وقــد هــدأت نفسها قليلا " إنه مجرد منام فقط " واســتقر هــذا الأمــر فــى نفسها ، ولم تذكره لأى إنســـان .

عندما خرج أبو بكر ، أعــد الــدواء الســحرى ، وخــرج فى الليل إلى المقابر ، ووجد قبرا حديثا فحفـــره وألقــى فيــه الدواء ، وأهال عليه الــتراب، وغطـــاه وعــاد إلــى المــنزل واستسلم للنــوم .

بـــدأ الولـــد ينحـــرف :

عندما طلع النـــــهار ، اســـتيقظ هديـــة ، وبعـــد أن غســـل عينيه وصلى ، دخل لتحية أبيه وأمـــه ، فقدمـــت إليـــه طعـــام الإفطار ، وأخبرها أنه سيذهب إلى المدرســـة ، وخـــرج إلـــى حجرة أبيه وأخـــذ شـــلنين وخـــرج لشـــأنه ، وبـــدلا مـــن أن يتوجه إلـــى المدرســـة ، تخلـــف عـــن رفاقـــه وذهـــب إلـــى المدينة، وأنفق المـــال .

ولما دخل أبوه ، عد المال فوجـــــد أنـــــه ينقـــص شـــلنين ، فنادى ربة البيت وقال " من دخل هـــــذه الحجـــرة ؟ "

قالت " منذ خروجك لم أر أحـــدا يدخـــل إلا هديـــة ، مـــاذا حـــدث ؟ "

قال " لا شـــيء "

وتعجب فى نفسه ، وقال " إنـــــي متـــأكد مـــن أن ابنـــي لا يسرق ، هذه حيلـــة النســـاء ، لأنـــهن يشـــعرن بحبـــي لـــهذا الولد. " لأنه يعرف أنهن يحقـــدن عليـــه . " ولكـــن إذا كـــان هو ، سأسأله عندما يعود ، لابد أنـــــه ســـيخبرني "

وانتظر وانتظر ، فلم يعد هدية ، فبعث أحد خدمه ليذهب ليرى ماذا أصاب هدية حيث لم يعد إلى المنزل .

فأخبره معلمه أنه لم كان ينوى أن يذهب بنفسه إلى منزله ليعرف ماذا أصابه لأنه لم يره اليوم في المدرسة .

الأب يتعجب :

عندما عاد الخادم أخبره ، ازدادت دهشته لأنه لم ينقطع عن الذهاب إلى المدرسة من قبل ، ثم أرسل من يبحث عنه فى كل مكان فلم يجده ، حتى عاد إلى المنزل عصرا .

فسأله أبوه " إلى أين ذهبت وتأخرت هكذا ؟ "

قال " ذهبت إلى المدرسة ، وانتظرت لأكتب الدرس ، ولم انته منه بسرعة "

سكت الأب وهو يشعر بالحزن ، لأنه يعرف أن الكذب لم يخرج من فم ابنه قبل الآن .

قال أبوه " هل رأيت مالا على الفروة ، عندما دخلت حجرتى فى الصباح ؟ لأننى تركت بعض المال عليها فنقص شلنين ، لعلك تعرف من أخذهما ؟ "

قال هدية " وما شأنى ، هل جعلتنى عليها حارسا ؟ "

ثم ذهب المعلم شيخو إلـــى زينـــب ، وقـــال لـــها " مـــاذا أصاب هذا الولد اليوم ؟ لأنني لم أســـمعه يتحـــدث إلـــى كمـــا يتحـــدث الآن "

فأحسست بجسدها يتصبب عرقا ، وتذكـــرت المنـــام الـــذي رأته ، وقالت " ماذا قال لـــك ؟ " قـــال " ســـألته فقـــط ، هـــل رأى شيئا فقدته ، فقال لي قولا سخيفا وها هـــو أيضـــا يكـــذب على ويقول أنه ذهب إلى المدرسة مع أنه لـــم يذهـــب "

قالت " الأفضـــــل أن تتركـــه ، وسأســـأله أنـــا ، لابـــد أن هناك ســـببا "

ولما خرج الأب قامت ، وأعدت له طعامـــا شـــهيا وقـــالت " إذا دخل ليأكل اسأله ، لابد إنـــه ســـيخبرني بمـــا يضايقـــه ، لأنه لا يخفى عنى شـــيئا "

وعندما أعدت الطعام ، بعثت من ينـاديـــه ليـــأكل ، فمكـــث مكانه ولم يعر أى اهتمام ، حتى برد الطعـــام ، فدخـــل وقـــال مخاطبا أمه " أين الطعـــام؟"

أحضرته إليه ، فلما كشفه ، قال " هل آكـــل طعامـــا بـــاردا هكذا ، كأنه طعام يقدم إلـــى الكلـــب ؟ " ثـــم رفســـه بقدمـــه ، فانقلب الإناء ، وقام وخـــرج .

فقالت " انتظر أريد أن أتحدث معك ، مـــاذا أصــابك ؟ "

قال " لقد شبعت من الأســئلة " وخــرج لشــأنه ، وتركــها تبكى حزنا وهما، ولم ينم فى البيت فى هــذا اليــوم ، وذهــب إلى حانات اللهو والطرب حيث قضـــى الليــل .

يســرق كالفــأر :

ودارت الأيام ولم يزد حال الولد إلا ضـــلالا فقـد كـثرت مشاجراته مع الأولاد فى المدينة ، وكـــثرت الشـكاوى منــه ، ورفض الذهاب إلى المدرسة وأخذ يتســكع فـى الشــوارع ، ولا ينام فى المنزل ، وإذا دخل المنزل سرق كـــل مــا يــراه من مال أبيه وأمه ، وعاداه كل إنسان فـــى المدينـــة ، وأخــذ الناس يتساءلون فى دهشة " ماذا حدث ؟ لولـــد طيــب كـــهذا، لم يحدث أن حيا إنسانا واقفا ، ولم يســـمع أنــه تشــاجر مــع أحد ، يضل الآن ويسرق كما يســرق الفــأر "

أصبح المعلـــم شــيخو وأم الولــد لا ينعمــان بالراحـــة أو السعادة ، وكلما جلست مع ضراتها أخـــذن يعيرنـــها قـــائلات " اذهبى هناك ، عندما تحمليـــن تلديـــن ابنـــا ، يصـــير لصـــا كالفـــأر " فلـــم تجــد أمامـــها حـــلا إلا البكـــاء المتواصــل ، وتضرب الأبن ، والأب يضربه ، وأســـفاه ! جفــت الأقـــلام وطويت الصحـــف .

وأخذت زينب تفكر كثيرا فيما ســمعت وهـــى فـــى ســكرة النوم ، وقالت أحقا هذا ، حسبنا الله فمن عمـــل هـــذا العمـــل ،

ولكن أغلب ظن أهل المدينة أن ضراتها هـــن اللاتـــي فعلـــن هذا بالولد ، لشدة غيرتهن منـــه .

وذات يوم نادى المعلـــم شـــيخو أم الولـــد ، وقـــال لـــها " ناديتك لأنى أريد أن استشيرك فـــى أمـــر هـــذا الولـــد الـــذي حيرني ، ها أنذا بعد أن كنت فى مركـــز كبـــار رجـــال هـــذه المدينة صرت كالفأر ، لما سببه هذا الولد لـــى مـــن خجـــل ، وها هو يرفض الذهاب إلى المدرسة ، ويتســـكع فـــى المدينـــة دون جـــدوى ، وأحيانـــا تمضـــى ســـبعة أيـــام دون أن يقـــع بصري عليه ، حتى أبعث إليه مـــن يســـتدعيه ، وإذا اســـتمر على هذا الحال ، فلا أعلم مـــا ســـيجلبه لـــي مســـتقبلا مـــن العار، فما رأيـــك ؟ "

قالت " يا سيدي أي أمر تـــراه المـــرأة ؟ إن هـــذا الأمـــر أخطر من أن أتكلم فيـــه ، مـــاذا ســـأقول ؟ ولكـــن اصـــبر ، سنجتاز هذه المرحلة بقـــدرة الله .

قال " لن نستطيع الحياة معه على هـــذا الحـــال ، ســـأبعث به إلى معلمه ليقيده بالسلاسل ، ويمنعه مـــن الخـــروج حتـــى يحفظ القرآن " فانفجرت باكيـــة .

وبينما يستعد ليبعث من يســـتدعى المعلـــم ســـمبو عندمـــا يطلع النهار فإذ بهديـــة يـــهرب مـــن المـــنزل فـــى الصبـــاح الباكر ، ويخرج يتسكع كعادته ، ولما شعر أنـــه إذا بقـــي فـــى

المدينة سيبعث والده من يستدعيه ، تذكــر أنــه يوجـد ســوق على بعد خمسة أميال من مدينة جلمـــا ، حيـث يجتمــع فيــه كثير من المتسوقين ، فقصده وهو يعلـــم أن أحــد خــدم أبيــه فى هذا السوق يبيع بعض الســـلع .

عندما ذهب قال لخادم أبيــــه ، إن المدرســة قــد تعطلــت الآن لأن العيد قد اقترب ، فطلب مـــن والــده أن يــأتى إليــه فى السوق ، قال الخادم " يا هدية لعلك تكذب فلــم يســبق لــك الحضور إلى هنا ، أو لعلك هربت مـــن المدرســة؟"

لم أهرب :

قال " والله لم أهرب ، وإذا كنت تظنني أكذب ، ابعث من يسأله "

قال " لا بأس ، أجلس "

وكان الحانوت مملوء بالعملاء الذين جاءوا لشراء حاجيات العيد ، وكان من بين هؤلاء من يحمل ماله فى حقيبته ، فوضعها فى متاعه الذي اشتراه وربطه . وكان هدية يراه عندما ترك المتاع وأخرج المال ودفع ثمن الخمار الذي اشتراه . وأرجعه مكانه . وبعد قليل قام العميل وذهب ليتبول . ثم أخذ متاعه الذى اشتراه ليربطه مع المال ثم يذهب إلى شأنه . بعد أن انتهى من التبول ، رأى ثوبا فوقف يساوم فى ثمنه وكان هدية قد غافل عيون الناس وغادر الحانوت ، وسرق المال وذهب لشأنه ، ولم يستأذن أحدا ، وبعد ان انتهى العميل من شراء الثوب تبعه التاجر إلى الحانوت ليقبض الثمن ، فلما عاد ورفع طرف متاعه ليأخذ المال ، لم يجد شيئا .

وفى الحال أخــــذ يســتغيث ، وهــب واقفــا فى الحــانوت فوقف الجميع وأخذوا يبحثون فى متاعه فلـــم يجـدوا شــيئا ، فبحثوا عن هدية فلم يجدوه وذهب الجميــع بضوضائــهم إلــى القاضي ، وذكـــروا أمامـــه الوقــائع ، فــأمر بــالعودة إلــى الحانوت والبحث فيه مرة أخرى ، فلم يعـــثروا علــى المــال حينئذ أحد الذين كانوا يجلسون فى الحـــانوت " غفــر الله لــك يا سيدي ، لقد جاء ولد إلى الحانوت ، وعند رؤيتـــي لـــه لــم أطمئن إليه ، ولما خرج سرق هذا المال الـــذي نبحـث عنــه ولم نجـده "

القاضـــى يعرفـــه :

سأل القاضى صاحب الحـــانوت " أى ولـــد "

قال " مغفرة يا سيدى ، هدية بن سيدى المعلـــم شـــيخو ؟"

قال القاضى " هذا الولد لص ! لا شك هـــو الـــذي ســـرق المال . " وأمر بالبحث عنه فلم يجدوه إلا بعـــد مشـــقة .

ولما أحضر أمـــام القـــاضى ســـأله " أنـــت دخلـــت ذلـــك الحانوت اليـــوم ؟"

قال " لم أدخل حانوته ، لقد جئت إلى الســـوق الآن فقـــط"

قال القاضي " قل لي الحقيقة ، لم أطلبـــك إلـــى أى أمـــر " وبعد مماطلة وإنكار اعترف بأنـــه دخـــل .

قال القاضي " قل لي الحقيقـــة ، عندمـــا دخلـــت الحـــانو ، لم تر هذا الرجل هناك ومعه المـــال ؟ "

قال " غفر الله لك يا سيدي ،لـــم ألاحظـــه ، الـــذي يذهـــب لشراء أى شىء هل ينتبه إلى مـــال النـــاس ؟ "

قال القاضي " هل رأيته عندما قمت مـــن الحـــانوت ؟ "

قال " رأيتـــه "

" لماذا خرجت أنت أيضا مـــن الحـــانوت عندمـــا خـــرج ، ولم تستأذن من أى إنسان ؟ " فســـكت

قال القاضي " أين المال الذي سرقته منـــه ؟ إذا قلـــت لـــي الحقيقة سأخفف عنك الحكم ، ولـــن أســـجنك "

حينئذ قال هدية " لقد أخذت المـــال "

سأل القاضـى العميل " كم مـــالك ؟ "

قال " ثلاثة جنيهات وثلاث شـــلنات "

قال القاضـي " هل سمعت يا هديـــة ؟ "

قال " هو كذلـــك "

" أين هـــي "

" صرفت ثلاثين شلنا وبقى جنيـــــهان "

" أعطنى الجنيـــهين "

" حفرت حفرة ودفنتهما هنـــــاك "

بعث القـــاضي معــه أحـــد الخـــدم فذهبـــا معـــا ، وحفـــر وأحضرهمـــا

وأمر القاضي باســــــتدعاء أبيــه بســـرعة ، وفـــى الحـــال ذهبوا واستدعوا المعلم شـــيخو .

ولما حضر ذكر له القاضي جميع الوقــــائع ، وقـــال " هـــا هو ابنك ، لم يبلغ السن الشـــرعي لســـجنه ، فعليـــك أن تـــرد المال وتذهب بابنك وترى ماذا ســـتفعل معـــه ، فعندمـــا يبلـــغ السن الشرعى سيسجن إذا فعل ذلك مـــــرة أخـــرى."

أخرج المعلم شيخو المـــال ، ودفعـــه ، وشـــكر القـــاضي ، وخرج بهديـــة .

يقيـــد الولـــد :

عندما عاد إلى المنزل كان العصــــر قــد حــان ، وكـــادت الشمس تغرب ، فدخل بهديــــة المـــنزل وقيــده ، وفـــى هــذه الليلة منع عنه كل شيء حتى الطعـــــام .

وفى الصباح أمر خادمـــــه بالذهـــاب إلـــى المعلــم ســمبو واستدعاه ، فلما جاء دخـــل المـــنزل ، وســـاق هديـــة أمامـــه وأحضره لدى معلمه ، وقال له " ها هو ، لقـــد أعيتنـــي معـــه الحيل ، فإذا تركته عندى ، ربما قتلته يومـــا مـــا مـــن شــدة الغضب اذهب به ، وقيده بالسلاســـل ، ولا تفــك قيــده حتـــى يحفظ القرآن، بل لا تتركه حتـــى لـــو حفــظ ، إلا إذا رأيـــت حاله قد تغير ، ولا تخفف عنه شـــيئا كـــل مـــا يفعلـــه الأولاد مرة به، بغض النظر عن كونه ابنــــــي "

قال المعلم " أمر عجيب ، ولد لم تكـــن العيـــون تحـــب أن ترى غيره ، محب للقراءة يحترم الجميع ، يفســـد فـــى ســـاعة واحدة ، نسأل الله العون " وذهب بهديــــة ليقيـــده .

وأخذ يضايق كل التلاميذ والمعلميـــن أثنـــاء وجـــوده فـــى المدرسة " ولا يكادون يضعون شيئا مـــن متاعـــهم إلا ويبـــادر

بسرقته ، واستمر على ذلك مدة عام ، حتى كاد أن يحفظ القرآن ، وذات يوم طلب المعلم سمبو أن يذهبوا ويقطعوا العشب من الغابة ، ولما ذهبوا أخذ كل منهم يقطع ما أمر به ، إلا هدية استطاع أن يبتعد عن باقى الأولاد ، وأخذ منجله وبعض الحجارة وظل يضرب بها القيد حتى انفتح، فسوى مساحة من الأرض وكتب عليها بيده يقول " يا سيدي هاك حديدتك ، ولتبحث عمن تقيده بها غيري " وأخذ القيد والمنجل ووضعهما على الأرض وولى هاربا.

انتهى الأولاد من جمع العشب ، وربط كل منهم ما قطعه ، وبحثوا عن هدية فلم يجدوه حتى عثر أحد الأولاد على القيد والمنجل فأخذهما وقرأ ما كتب ، فأعادهما إلى مكانهما ونادى الأولاد ليروا ، فلما عادوا أخبروا المعلم سمبو .

الولــد يهــرب مــرة أخــرى :

وفي الحال ذهب إلى المعلم شيخو وقال لــه وهــو آســف " جئت لأخبرك أنني بعثت الولد ليجمع العشـــب مــع رفاقــه ، فـهرب "

قال المعلم شيخو " صه ، فقد وقع ما كنــت أخشــاه ، لقــد فارقنى الولد الآن ، وأنى على يقين أن الله لــن يجمعنــي بــه مرة أخرى إلا على الحزن والعار ، فمــا العمــل ؟ "

أما هدية فقد هام على وجهه كشأنه ، وبحــث عنــه أبــوه كثيراً ، فلم يسمع عنه خــبرا واحــدا ، فلــم يجــد بــدا مــن الصبر ، وأخـــذ يحــدث نفســه قــائلا "لا شــك أن الأخبــار ستأتيني فى أى وقت بأنه ارتكب جريمة فــى مكــان مــا ، إلا إذا توفــاه الله "

أخذ هدية يتسكع فى البلاد حتى شــاء الله أن يصــل إلــى مدينة كبيرة مثل جلما ، بينهما وبيــن قطــار الســكة الحديــد مسافة ليست بعيدة ، وعندمــا وصــل إلــى هــذه المدينــة ، بحث عن قرعة صغيرة ، ليتلقى فيــها المــال الــذي يجمعــه من التسول إذا أقبل المساء ، أو يعمل خادمــا لأحــد التجــار

وكان أحيانا لا يرد المـــال لصاحبــه فينـــهال عليــه ضربــا ويطـرده .

وذات يوم ذهب إلى موظف يعمل فـــى حـــانوت تجـــارى، وأبدى له رغبته فى أن يعيش معــــه ليحضـــر إلـــى زوجتـــه الماء ، ويخدم فى المـــنزل ، فلمــا شـــعر الرجـــل أنـــه ولـــد ذكى، وحسن المنظـــــر ، قـــال لــــه سأستشـــير زوجتـــى، إذا رضيت فســآخذك .

وأخذ يمر عليه كل يوم ، وذات يـــوم قـــال لـــه الكـــاتب " اذهب إلـــى بيتـــي وامكـــث فيـــه . " ســـأله الكـــاتب " أيـــن مدينتكـم؟"

قال " مدينتنا بعيدة ، لا أعرفها ، لأن والـــــدى مـــات منـــذ كنت طفلا صغيرا ، فتركت لجدتى ترعـــــانى ، فمـــاتت هـــى الأخرى فى مدينة ما ، هو ما جعلنى أطوف فـــــى البـــلاد . "

ومكث فى منزل الكـــاتب ، وقـــد وضعـــت فيـــه الزوجـــة وزوجها ثقتهما ، حتى أخذ يدخـــــل الحـــانوت فـــى أى وقـــت يشاء . إذا ذهب الرجل إلـــى منزلـــه لتنـــاول الطعـــام تركـــه يحرس له الحانوت . وتخلـــى هديـــة عـــن طبعـــه الســـيء ، ولكن ذلك كان تخطيطا ماهرا خبيـــــث .

يعـــد لارتكـــاب جريمـــة :

وذات يوم قال للكاتب " ســـمعت أن البطـــاطين والملابـــس الأوربية تربح كثيرا فى مدينـــة ســـامبو ، وأرى أن تزودنـــى بسلع لأذهب إلى هناك ، وربما حصلت علـــى ربـــح أكـــثر ، وإذا بعت السلعة أشترى بعض الفـــول الســـودانى "

قال الكاتب " حسنا ، عنما يأتى القطـــار غـــدا ســـأعد لـــك بعض السلع لتذهب بها ، وســـأعطيك بعـــض المـــال " ففـــرح كثيرا .

وفى المساء أعد له بعض السلع بمبلـــغ عشـــرين جنيـــها ، وفى الصباح أحضر عشر جنيـــهات وقدمـــها إليـــه ، وطلـــب منه أن يشترى بها بعـــض الفـــول الســـودانى قبـــل أن يبيـــع السلعة . ووضع له البضاعة فـــى القطـــار .

وما كاد هدية يخرج بهذا المال حتى بـــدده مـــع مـــا بـــدد من ثمن السلعة ، ولم يشـــتر شـــيئا ، ومضـــت الأيـــام ولـــم يسمع عنه الكاتب خبرا واحـــدا ، فبعـــث إليـــه أحـــد خدمـــه ليذهب إليه ليعرف ماذا أصابه . وكشـــأن النـــاس فـــى هـــذه الحياة ، لا يعدم الثرى مـــن يلتفـــون حولـــه ، فأســـرع أحـــد

الأولاد وسبق خادم الكاتب وأخبر هدية بأن الكاتب قد بعث خدمه ليبحثوا عنه ، فلما علم بذلك جمع ما تبقى لديه من بضاعة وأخفاها ، ثم أشعل النار فى الحجرة التى يقيم فيها ، ثم عاد وجلس حائرا .

ولما جاء خادم الكاتب ووجد أن هدية لا يملك شيئا حتى الثياب فيما عدا خرقة بالية ، سأله أين البضاعة ؟ "

قال " البضاعة أتت عليها النيران ، وسرق منى المال" .

لم يقل له خادم الكاتب شيئا ، ثم عاد وأخبر سيده ، وفى الحال بعث من يتجسس عليه ، فعلم أنه بدد المال ، وهو الذي أشعل النار فى الحجرة بيديه .

وعنما عاد الخادم مرة ثانية طلب من سيده أن يشكو هدية إلى الأمير ، فبعث بمن جاء به مسرعا ، واستمع الأمير إلى كل الوقائع ، واستدعى هدية وتأكد من سوء سلوكه ، وسأله عن مدينتهم ، فقال أنه من جلما ابن المعلم شيخو من جلما

قال الأمير " لعنك الله ، لقد صرت ولدا فاسدا ، طالما سمعت أخبارك " وفى الحال كتب رسالة وبعثها إلى جلما ليخبر أباه أن ابنه قد قبض عليه مذنبا .

استدعـى أبـوه :

عندما وصلت الرسالة إلى المعلـم شـيخو قرأهـا ، فوقـع فى المنزل من شدة الحزن والغضب ، وقـال " لقـد عرفـت أننى لن ألقى هذا الولد مرة أخرى إلا لأمـر محـزن "

وفى أحـد الأيـام اسـتعد وأخـذ بعـض المـال ليدفعـه كتعويض ، وبعض الثياب والمال ليستميله ليعـود معـه إلـى المنزل ، وبعد عدة أيام وصل إلى المدينة التـى حبـس فيـها، فأمر الأمير باستضافته ، وعندما طلع النـهار جـاءوا بهديـة من السجن ، وذهب المعلم شـيخو وذكـر الوقـائع أمامـه ، فقال الأمير " كم عمر ابنك يا معلـم شـيخو ؟ "

قال " أطال الله عمر الأمير ، عمره اليـوم أربعـة عشـر عاما وثلاثة أشـهر "

قال الأمير " لم يبلغ الرشد ، طبقـا للشـريعة الإسـلامية ، والقانون لا يعاقبه بـالحبس ، ولكنـك أنـت الضـامن لـه ، فعليك أن ترد المـال الـذي سـلبه مـن الكـاتب ، وبعـد أن تدفعه ، سنعطيك ابنك ، لتذهب بـه إلـى مـنزلك لترعـاه ، وإذا لم تستطع رعايته ، لن تنتـهى مشـاكلك معـه . " فدفـع

المعلم شيخو المال ، وشكر الأمـــير ، واســتلم هديـــة وعـــاد إلى منزلـــهما .

قضى المعلم شيخو الليل يسترضيه ليتخلـــى عـــن طباعـــه، ولم يترك شـــيئا إلا ووعـــد أن يقدمـــه إليـــه ، إذا عـــاد إلـــى المدينة وغير سلوكه ، وفى هذه الليلـــة اشـــترى لـــه قميصـــا يصنعه النوبيون وســـروالا مزركشـــا وعمامـــة وقدمـــها إليـــه فوعده هدية بأن يكون ولدا طيبا إذا عـــاد إلـــى المدينـــة ولـــن ينحرف مرة أخـــرى .

ولما طلـــع النـــهار ذهـــب المعلـــم شـــيخو إلـــى الأمـــير واستأذنه فى الرحيـــل ، وبـــدأ رحلـــة العـــودة هـــو وخدمـــه وابنه. ومرت الأيـــام ولـــم تبـــق إلا اســـتراحة واحـــدة فـــى الطريق يصلون بعدها إلى مدينة جلما ، فلمـــا أقبـــل الليـــل ، وخلى الطريق من السالكين ، بعـــد أن نـــام الجميـــع ، دخـــل هدية الحجرة التى ينام فيها أبوه ، وأخذ مالـــه وثيابـــه وولـــى هاربا .

الولد يهرب مرة أخرى :

ولما طلع النهار لم يجد المعلم شيخو هدية ، فبحث عن الثياب والمال فلم يجد لها أثرا ، ونادى خادمه وقال له " لقد سرقت ، أين الولد؟"

قال " عندما فارقته ليلا قال لي أنه سيذهب ليتجول فى المدينة ، وذهبنا معا ، ولكنى عدت قبله . "

قال المعلم لا حول ولا قوة إلا بالله ، وسلم أمره إلى الله ولم يجد ما يقوله للناس ، فبحث عن الولد فى كل مكان فى فى المدينة فلم يعثر له على أثر ، فركب وعاد إلى المدينة حزينا حائرا وقد أعيته الحيل . وبعث بخدمه فى كل البلاد ليبحثوا عن هدية ، فعادوا إليه بعد عدة أشهر ولم يسمعوا عنه خبرا .

لقد هرب هدية ولم يتوقف إلا فى مدينة كانو ، وباع ما سرق من أبيه بثمن بخس ،السروالين اللذين قدمهما إليه أبوه ، وأخذ يبدد المال ويحيا حياة المفسدين ، وأخذ يسرق كل ما يقع تحت يديه .

وذات يوم منعت الحكومة التجول ليـــلا ، فخـــرج بعـــد أن نام الناس ، ودخلا منزلا ، فرآه الحـــراس ، فتغـــافلوا عنـــه ، ثم ذهبوا واستنجدوا برجلين وجاء الخمسة واختبـــأ كـــل منـــهم في أحد أركـــان المـــنزل ، ودخـــل أحدهـــم المـــنزل وأيقـــظ الخادم وقال له " رأينا الآن لصا يدخل هـــذا المـــنزل ، أدخـــل وأيقظ ســـيدك . "

فدخل الخادم وأحاطوا بهديـــة وأمســـكوا بمـــا ســـرق مـــن الأقمشة وثيـــاب النســـاء ، وقيـــده بالثيـــاب التـــى ســـرقها ، وأمسكه الخادم وأخذ يصيح " لص لـــص " فـــألقى هديـــة مـــا استطاع من مسروقات ولكن الحـــراس ســـرعان مـــا دخلـــوا وقبضوا عليه ، وذهبوا به إلى رئيـــس الحـــراس ليـــلا حيـــث قضى الليـــل .

وفى الصباح قادوه إلـــى مـــنزل القـــاضى ، فحكـــم عليـــه بالسجن ســـنتين .

شخص يأتى بأخبار الولد :

ومرت الأيام وذات يوم جــاء رجــل مــن كــانوا بســلعة ونزل فى منزل المعلم شيخو ، وأثنــاء الحديــث قــال " لقــد كثر اللصوص فى مدينة كانو ، منذ أكــثر مــن ســتة أشــهر قبض على ولد شكله كذا وكذا ، دخل مــنزلا وســرق متــاع النساء ، فحكم عليه بســنتين "

عندما سمع المعلم الوصف الذى ذكــره الكنــوى ، حــدث نفسه قائلا " لابد أن هذا الولد هو ابني " ثم نــادى مــن يثــق فيه من خدمه ، وقال له " أنت تــرى الآن مــا بينــي وبيــن أهل المدينــة ، لا أرى منــهم إلا الأكــاذيب ، لقــد صــرت سخرية لدى الجميع بســبب هــذا الولــد ، أريــد أن تذهــب لمدينة كانو ، سأعطيك بعض السلع لتبيعــها ، اذهــب وعــش هناك ، وأسأل ســرا عــن الولــد، وانتبــه جيــدا ، لعــل الله يهديك إليه فى السجن ، وإذا رأيته ابعث لــــي برســالة . "

قال الخــادم " وهــو كذلــك ، أســأل الله أن أراه " وزوده المعلم شيخو بالبضائع واشترى له ثلاثيــن جــوالا مــن اليــام وجهزها للنقل بالقطار ، وذهب الخادم وعــاش فــى المدينــة

يبيع البضاعة ، ويتسمع الأخبار ، وبـاع اليـام وبعـث إليـه بأنه لم يعثر عليه حتى الآن ، وطلب منه مزيـدا مـن اليـام ، فبعث له بخمسين جوالا أخـرى ، وذات يـوم خـرج ليتسـلم اليام من محطة القطار فقـابل هديـة مـع المسـاجين الذيـن خرجوا للعمـل .

عندما رآه هدية شاح بوجهه ، فأخذ الخـادم يتحـدث مـع السائق بعد أن بادله التحية ، وقال له " أنـه رأى ابـن سـيده المقيم فى مدينة جلما ، ضمن هـؤلاء المسـاجين ، وقـد فـر من منزل أبيه منذ عدة سنوات ، فنادى السـائق هديـة وقـال له " ها خادم أبيك " فجاء وتبادلا التحيـة وسـأله عـن أمـه وأخبار المـنزل ؟

قال له الخادم " كم شهرا بقى لـك ؟ "

قال " بقى ستة أشهر " والواقع أنـه سـيخرج بعـد شـهر واحد فقط وأخرج الخادم بعض المال وقدمـه إلـى كـل مـن السائق وهدية وذهب المسجنون إلى مكـان عملـهم ، وذهـب الخادم إلى المحطة ليتسلم اليـام .

وكلما أراد الخادم أن يـرى هديـة ، جـاء ووقـف فـى الطريق ، فيحيه إذا التقى به فى الطريق ، ثـم كتـب رسـالة وبعثها إلى المعلم شـيخو بأنـه رأى هديـة وجـها لوجـه ، وتحدث معه ، وبقى له ستة أشـهر ثـم يفـرج عنـه ، ولـم يعرف الخادم أن هديـة غـادر السـجن ، وذات يـوم ذهـب

وجلس فى المكان الـــذي تعــود أن يــراه فيــه ، فلمـــا رأى السائق قال لـه " أين هدية اليوم؟ هل غير فرقتـــه اليــوم ؟ "

قال السائق " لقد أفرج عنه أمس ، لقد ظننـــت أنـــه بحــث عنك وذهب إليــك .

قال والله لــم أره

وفى الحال عاد إلى منزلـــه ، وأعــد متاعــه ليعــود إلـــى مدينة جلما ، وقال لسيده كيف اختفـــى أثــر هديــة ، وكيــف علم أنه أفرج عنه وأن أحدا لم يعـــرف وجهتـــه "

يتبع الولد الطويل :

عندما خرج هدية من السجن ، التقى بلص اسمه الولد الطويل ، قال أنه سيركب القطار إلى مدينة ليجوس ، لأنه يقيم هناك ، فطلب منه هدية أن يقوده ليذهبا معا إلى هناك، لأنه لم يذهب إلى هناك أبدا ، ولا يعرف عنها إلا ما يسمع من الأخبار ، عاشا معا في مدينة ليجوس ، إذا ما شاء الله وسرقا معا ، كل ما يسرقه يعطيه لهدية ليبيعه في السوق ، ويأته بثمنه وعلى هذا عاشا معا ، حتى صار هدية لصا خطيرا ، وصار الناس يلجأون إليه لاسترداد مسروقاتهم ، وبذلك جمع مالا كثيرا ، وصارا لصان مشهوران في مدينة ليجوس والمدن المجاورة .

وذات يوم سرقا من أنكرا سرقة كبيرة وهربا فبحثوا عنهما فلم يجدوا لهما أثرا فقد قصدا المرتفعات واختفيا بها وظلا يبددان ما سرقوا بحثوا عنهما في كل مكان فلم يسمعوا خبرا عنهما ، فلم يكمنا في أية مدينة في المرتفعات ولكنهما قصدا الغابات الموحشة ومكثا فيها ، ولم يغادراها إلا إذا نزلا إلى المدينة للسرقة ، ثم يعودان مسرعين ، وبذلك لم يستطع أحد الوصول إليهما .

والده وأمه يتشاوران :

ضايق أمر الولد المعلم شيخو ، وعجز عما يفعله حتى يرتاح قلبه وضميره بعد أن ظل يعيش فى حزن وألم وترقب لما تأتى به الأيام من أخبار مؤسفة بسبب ابنه ، فقد أصبح لا يستطيع أن يواجه أهل المدينة من شدة الخجل ، إذا رأى بعض سكان المدينة مجتمعين ظن أنهم لا يتحدثون إلا عن ابنه ، وإذا خرج إلى مكان ما ووجد جمعا من الأولاد ، ظن أنهم يسخرون منه ويقولون " ها أبو اللص قادم " وإذا التقى بمن يعرف أخبار ابنه فى الطريق شاح بوجهه حتى لا يقع عليه بصره ، حتى أصبح لا يخرج من منزله خجلا ، فجلس في بيته فريسة للأفكار والظنون .

أما زينب فقد مكثت فى منزلها فى هم وقلق ، لأنها إذا اجتمعت مع ضراتها ودار بينهن أى حديث سواء كان جادا أو غير جاد ، أخذن يسخرن منها قائلات " ما أسوء هذا الزوج ، يذهب الرجل فيتزوج من تنجب له ابنا أمهر من الفأر فى السرقة " . فتنفجر فى البكاء ، حتى حرمت من متعة الحياة ، وذبل جسمها ، وفى أحد الأيام ذهبت إلى زوجها وقالت له " لقد رفضت كثيرا الزواج

منك ولكنك أرغمتني ، وهذا ما جلب لي هذا الزواج ، والله لو كنت أعلم قبل أن أتزوجك ما سيصير من أمرى ما قبلته لو كان مزاحا ، وكان الأفضل منه أن ألقى بنفسي فى البحر أو أموت ، ماذا يسرني فى هذه الحياة ؟ والله بيني وبينك فيما بقى من حياتي"

لقد ملأ هذا الكلام قلب المعلم شيخو حزنا وغضبا ، حتى أصبح كل أمله أن يهجر مدينته ومنزله وكل ما يملك، ويذهب إلى أية مدينة لا يعرفه أحد فيها ، ويعيش فيها هاديء النفس .

وذات يوم استدعى زينب وانفرد بها وقال لها " السبب الذي ناديتك من أجله ، هو الكلام الذي سمعته منك وملأ قلبي حزنا وهما ، هل تظنين أن ما يقوله الناس عنا لا يضايقني ؟ سأخبرك أنني فكرت فى نفسي فى أن أهجر المدينة ، وأترك كل شيء، وأذهب لأعيش فى مدينة أخرى فى سلام ، حيث لا يعرفنى أحد ، هل تأتين معي؟"

قالت " لن أترك والدى ، لأذهب إلى مكان لا أعرفه وأعيش فيه ، إذا كنت ستذهب فاذهب وإلى أن نلتقى . "

قال " هل الحياة فى هذه المدينة تسعدك حتى لا تريدين هجرها ؟ ألا تعرفين أننى إذا هاجرت من المدينة ، فستنصب على رأسك وحدك كل ألسنة الناس، حتى

يسمونك بأم الولد الفاسد ، ومن أجلـــك هجــر زوجــك مالـــه ومنزلـــه ؟ "

قالت " كل ما يريدون قوله فأنك أنـــت الســبب "

واتبع كل السبل لاقناعـــها ، وبصعوبـــة اســتطاع التغلـــب عليها ، ولكنه اتفق معها أنه سيخبر الناس أنـــه ســيتوجه إلـــى حج بيت الله الحرام ، حتى لا يعرفـــوا مقصـــده .

يهجـران المدينـــة :

وذات يوم جمع كل زوجاتـــــه وقـــال لـــهن " لقـــد نويـــت الذهاب لأداء فريضة الحـــج ، ولكـــن ســـأذهب مـــع زينـــب فقط. وعليكن أن تصبرن ، حتى يجمعنا الله مـــــرة أخـــرى .

وأحضر مالا كثـــيرا وطعامـــا وتركـــه لـــهم ، واســـتدعى كبير خدمه وولاه كل شئون المنزل واســـتأذن مـــن الأمـــير ، ولم يذهب مع أحـــد مـــن خدمـــه ، وأحضـــر زاده ووضعـــه على ظـــهر الحمـــار ، وأحضـــر جمـــلا وركبتـــه زينـــب ، وخرج واصطحبه أهل المدينة مودعيـــن ، وهـــم فـــى دهشـــة من هذه الرحلة التى يقوم بـــــها .

وواصلا السير ومرت الأيـــام ، وبعـــد شـــهرين تقريبـــا ، عندما أدرك أنه بعد تماما عن المنطقة التـــــى عـــرف فيـــها ، نزل فى مدينة كبيرة تسمى جروجي وهى مدينـــة بـــها ســـوق كبير . فذهب إلى منزل الأمير وأخبره أنـــه ضيـــف ، يريـــد أن يهبه الأمير مكانا يعيش فيه ، لأنه يـــرى المدينـــة منطقـــة تجاريـــة .

فرح الأمير فرحا شديدا وسأله " مـــا اســـمك ؟ "

قال " المعلم عثمـــان "

" من أى مدينة جئـــت "

فاختار مدينة لم يسبق للأمير سماعه من قبـــل وذكــره .

أعد له الأمــير مــنزلا وأنزلـــه فيـــه ، واســتأنف حرفـــة التجارة ، حتى جمع بعض المـــال ، فـــأصلح منزلـــه جيـــدا ، ونمت ثروة المعلم عثمان شيئا فشيئا ، وصـــــارت تشـــد إليـــه الرحال ويمتلأ منزله بـــالخدم .

ينتقلان إلى مكان جديد :

وذات يوم كان هدية ورفيقه يتجولان ، فانتهى بهم المطاف فى قرية بالقرب من مدينة جروجى فنزلا فيها ، وذات يوم خرجا يتجولان فى المدينة ، فالتقى برجل ، وأخذا يتحدثان معه ، قائلين " هذه المدينة بها الكثير من الأثرياء ، ليست كمدينتنا "

قال " فعلا هذه المدينة ، الحمد لله يعمها الرخاء "

قالوا له " لقد مررنا على بوابة ذلك المنزل ، ورأينا منزلا ذا حائط مرتفع ، وتحيط به الأشجار ، كأنه منزل السلطان ، هل هو منزل الحاكم؟"

قال " من أى ناحية ؟ " فأشارا إليه

قال " لا ، ليس منزل الحاكم ، منزل رجل ثرى غريب ، اسمه المعلم عثمان ، نزل هذه المدينة منذ عدة سنوات قليلة ، والآن تشد إليه الرحال "

قالوا " لماذا حصن منزله هكـــذا ، وأحاطـــه بـــهذا الســـور من الأخشاب لا ترى هذا السور فـــى مدينتنـــا حـــول مـــنزل الأمير ، هل يخشى اللصـــوص؟"

قال " نعم ، إنكم تعلمون أنه رجـــل ثـــرى ، لقـــد ســـمعت أن من يتحـــدث عـــن اللصـــوص ، أمامـــه مـــن خدمـــه أو زواره، لا يرحب بهم بعد ذلـــك "

قالوا " ربمـــا ســـرق مـــرة ، ســـنذهب لنشـــترى بعـــض الأشـــياء "

وسارا فى طريقهما ، ولفا حول مـــنزل المعلـــم عثمـــان ، وأخذا يحومان حوله ، ويتفقدانه جيدا ، وعندمـــا انتـــهيا ســـلكا طريقهما وعادا إلى الغابة وكـــل منـــهما يقـــول للآخـــر " إذا وفقنا الله سنجمع ما فى هذا المـــنزل مـــن ثـــروة ، إذا كـــان يتهرب من اللصـــوص بتحصيـــن منزلـــه هكـــذا ، فســـيعرف كيف يقهرونـــه " .

وعندما أقبل الليل وخلت الطـــرق مـــن الســـالكين قصـــدا هذا المنزل الـــذى طافـــا حولـــه نـــهارا ، وأخـــذا يســـترقان الخطى ويتواريان فى ظل الحـــائط فلمـــا اقتربـــا منـــه طافـــا حوله يبحثان عن مدخل لهما ، ولمســـا البوابـــة فســـمعا لـــها صوتا مرتفعا ، فقالا لنتجول فـــى المكـــان لعلنـــا نجـــد ســـلما خشبيا ، فسارا فى الطريق حتى رأيـــا رأس ســـلم مـــن بعيـــد

فى منزل ما ، فذهبا إليه ، وحنـــى هديـــة ظـــهره ، وصعــد رفيقه فوقه وأمسك الحـــائط وتســلق عليـــه ، ونـــزل وأخــذ السلم وسنده على الحائط ، وصعد وســـحبه وأعطـــاه لهديـــة ، وأخذاه وذهبا به وأسنداه على حـــائط مـــنزل المعلـــم عثمـــان وصعدا عليه وسحباه وأنزلاه داخل المـــنزل ، ونـــزلا عليــه ، وأخذا يدوران فى المنزل ليعرفا مسالكه ، ثـــم قصـــدا حجـــرة صاحب المنزل الخاصة ، وأخذا يســـترقان الســـمع ، فســـمعاه يغط فى نوم عميق ، وطلـــب هديـــة مـــن رفيقـــه أن ينتظـــر على البوابة حتى يدخل فـــإذا ســمع حركـــة بـــالداخل أنـــذره وإذا لم يسمع شيئا ، سيمده بكل ما يجد مـــن متـــاع .

ودفع هدية الباب ببطيء ودخـــل ، ووقـــف صامتـــا ، فلـــم تصدر أية حركة مـــن صـــاحب المـــنزل ، فدخـــل متســـللا ، فاصطدم بإناء من معدن فوقـــع، فاســـتيقظ صـــاحب المـــنزل وقال " أنت أنت من من ؟ " فاختبـــأ هديـــة .

الولــد يقتــل أبـــاه

إلا أن صاحب المنزل رأى ظلـــه علــى البــاب فدفعــه ، فقام هدية مسرعا وأمســـكه بشــدة وأوقعــه علــى الأرض ، فهب رفيقه مسرعا ودخل المنزل ، وســـد فمــه ، فحــاول أن يتخلص منه ، فاستل هدية سكينا وطعن به أبـــاه فــى قلبــه ، وجذبه حتى شعر بجســـده يتــهاوى ، حينئــذ ســمع أصواتــا ينطلق من الخـــارج . فشــعرا بــالخوف ، وهمــا بــالفرار ، وعند ذلك سمعا امرأة تقول " ماذا يحدث فى هـــذا البيــت ؟"

فرد عليها هديـــة قــائلا " لا شــىء أنــا أطــوف حــول المنزل"

قالت " وى ، عندما تكلـــم تذكرنـــى بــابني عبــدالله " ثــم أشعلت الكبريت فرأت أبنها ، ورأى أمـــه التـــى فارقــها منــذ عدة ســنوات .

يتحــدث إلــى والدتــه :

قالت " عبدالله هل عدت ؟ " إلا أنـــه عجــز عــن الكــلام ،فوقفا ينظران لبعضهما ، والولــد الآخــر مختبــيء ، حتــى مل الانتظار فقال " أنت ، ألا تعــرف أننــا فــى خطــر ممــا فعلنا ، ثم نقف ونتحدث مـــع النســاء ؟ " ولكنــه لــم يعــره اهتماما ، حتى غضب رفيقه وقــال " انتظــر لشــأنك وســأفر أنا "

قالت زينب " ماذا جاء بك إلـــى هــذا المــنزل فــى هــذا الوقت من الليــل؟"

قال " هل نسيتي حرفتـــي ؟ "

قالت " هل عجزتم عـــن الســرقة حتــى تــأتى لتســرق منزل أبيــك ؟ "

قال " أبي ، متى جئتم من جلما وأقمتــم هنــا ؟ "

قال " والله تالله ، لـــم أعــرف ، ولا فـــى المنـــام أن هـــذا منزل أبي " وهنا أخذ جسمه يرتعش وشـــعرت أمـــه بـــالخوف فقالت " ماذا حـــدث ؟ "

قال " دخلنا حجرة هنا لنسرق ، فهاجمنا رجـــل فطعنـــاه "

قالت زينــــب " طعنتـــم رجـــلا ، الله أكـــبر ، والآن أيـــن يرقد، هيا بسرعة لـــنراه "

فذهبا ودخلا الحجرة ، أشعلت زينــــب الكـــبريت ، فـــرأت الرجل منكبا على وجهه فـــى الـــدم ، فخفـــق قلبـــها وقـــالت " حركة "

فحركة هدية فـــأدرك أنـــه أبـــوه فـــاقتربت منـــه وهزتـــه فأدركت أنه لا يتحرك ، فـــانفجرت فـــى البكـــاء ، وتذكـــرت كلام أبى بكر ، عندما قال لها أن أبنها ســـيقتل أبـــاه .

عندمـــا رأى هديـــة مـــا فعـــل ، طـــار عقلـــه ، وصـــار كالمجنون واستل سكينه وكاد يقتل نفســـــه ، فأمســـكت زينـــب بيده وقالت " انتظر لا تقضى على نفسك ، لـــى معـــك حديـــث طويل " وقصت عليه كل ما كان بينـــــها وبيـــن أبـــى بكـــر ، وكيف كان السبب فيما أصابه من لعنة وفســـاد فـــى الحيـــاة ، حتى وصل الأمر إلى قتل أبيه . وقـــالت " أرأيـــت كـــل مـــا

فعلت منذ البداية ، لا ذنب لـــك فيـــه ، هـــذا مـــا قـــدره الله ، ولكن علينا الآن أن ننتظر لنعرف الجزاء الـــذى ســـينالنا مـــن الله " .

وكتمت سرها ، ثـــم ســـمعت صياحـــا واســـتغاثة خـــارج المنزل " لص لص : فنظـــروا لبعضـــهما وقـــالت " أســـمعت لقد أمسكوا برفيقك ، بسرعة أخرج حتـــى لا يجدونـــك هنـــا " ثم أمسكت يده وجذبته وطـــافت بـــه فـــى ممـــرات المـــنزل ، حتى وصلا الباب ففتحه له وخرج منـــه ، وعـــادت وأغلقـــت حجرتها ، وبعد قليل سمعت أصوات النـــاس قـــادمين ، حتـــى وصلوا إلى باب المـــنزل ، فقرعـــوا البـــاب ، ففتـــح الخـــادم فنظر فوجد كثيرا من الناس فقال " مـــاذا حـــدث "

قالوا " أمسكنا اللـــص ، رأينـــاه علـــى حـــائط المـــنزل ، فتتبعناه وقبضنا عليه ، اذهب وأيقـــظ ســـيدك "

فأسرع الخادم إلى حجرة سيده ، فـــرأى البـــاب مفتوحـــا ، فوقف على الباب وأخذ يناديه " يا سيدي ، يـــا ســـيدي " فلـــم يرد أحد ، فرفع صوتـــه فلـــم يـــرد أحـــد ، فدخـــل الحجـــرة فتعثرت رجله فى جثة رجل ، فصـــرخ وقـــال " اقبلـــوا هـــا هو اللص " فقصدوا البـــاب مســـرعين يصيحـــون ، واندفـــع الناس إلى داخل المنزل ، واختلفوا فيمـــن ســـيدخل ، فأشـــعلوا مصباحا فرأوا رجلا ممددا غارقا فى دمائـــه فدخلـــوا فعلمـــوا أنه صاحب المـــنزل .

هــو ، هــو :

فقال الجميع لا حول ولا قــوة إلا بــالله " لابــد أن اللــص هو الذى فعل هذا ثم انــهالوا عليــه ضربــا ، فــأخذ يصيــح ويقول اتركونى ، لم أقتله رفيقي هو الــذى قتلــه ؟

قالوا : " كذاب ، أين هو رفيقــــك ؟ "

قال " مازال حتى الآن داخل المنزل ، لــم يخــرج ، لأنــى عندما خرجت تركته بـــالداخل " .

قالوا " كذاب ، كيف يفعـــل الإنســان هــذا العمــل ، ثــم تخرج وتتركه فى الداخل ، هل تظننــــا مجــانين ؟ "

قال " والله تالله هذا حقيقي ، ابحثوا عنه ، لابـــد أنــه فــى الداخل لم يخـــرج "

ثم انتشروا فى المنزل ، ولـــم يــتركوا مكانــا إلا وبحثــوا فيه ، فقد اتبعوا كل المسالك والطرقات ، فلـــم يــروا أحــدا ، فسألوا النساء نساء المنزل هـــل خرجــت إحداهــن ، فقــالوا جميعا لم يخرج أحــد ، إلا عندمــا ســمعن الصيــاح ، فقــال الناس " لقد عرفنا منذ البداية أنــه كــذاب "

ثم ذهبوا به إلـــى مـــنزل الأمـــير ، فـــأمر بارســـاله إلـــى السجن فى نفس الليلة ، ثم عـــادوا وكفنـــوا المعلـــم عثمـــان ، وعاد الكل إلى منزلـــه .

وعندما طلع النهار أخـــذ الولـــد الطويـــل مـــن الســـجن ، وسألوه عن اسم الولد الذي يدعى أنـــه معـــه ، فقـــال " أظـــن أن اسمه أبو بكـــر "

" أنت لا تعرف اسمه أيضـــا "

" أظن أن اسمه هكـــذا "

" من أية مدينـــة ؟ "

" لا أعرف اسم مدينتـــه "

" وأنت ما اســـمك ؟ "

" الولد الطويـــل "

" من أية مدينـــة "

" إيبو "

" كذب ، هل توجد مدينة فى هـــذه الدنيـا اسـمها ايبـو ؟ وارجعوا به حتى نتحقق من كلامــــه . "

وقضى فترة فـــى السـجن أثنـاء التحقيـق ، وكـان فـى السجن بئر عميق جـدا مملـوء بالمـاء ، وذات يـوم خـرج عصرا ليحضر الماء منه فوقـــع فـى البـئر ، فلمـا جـاءوا لإنقاذه وجدوه قد مـات .

أخرجوه وذهبوا إلــى الأمـير وأخـبروه أن اللـص قـد مات، فقال الأمير " لقد نال جزاءه " أمـا هديـة فلـم يتوقـف فى أى مكان بعد أن خرج مـن المـنزل ، وبعـد أن تجـاوز المدينة توجه إلى مدينة جلما مباشـرة ، وبعـد خروجـه مـن المدينة هبت عاصفة شديدة ، وسـقط المطـر غزيـرا ، فلـم يأبه لكل هذا ، فقد كان كل همه هـو الوصـول إلـى مدينـة جلما ، لم يتوقف ، ولم يلتـــف حولـه كأنـه كلـب مجنـون حزين لما ارتكب من آثام ، ويفكـر فيمـا قالتـه لـه أمـه ، وأصبح لا هدف له فـى الحيـاة إلا أن يلتقـى بـأبى بكـر ، وينتقم لما أصابـه .

يذهب لأخذ الثأر :

طلع عليه النهار في الطريق ، واشتدت حرارة الشمس، وأقبل الظهر ثم المغرب ، واستمر على ذلك يومين لا يأكل ولا يشرب ، حتى إذا وجد شيئا فشيئا قليلا من الطعام اشتراه ، يأكله وهو يسير في الطريق وإذا شعر بالحاجة إلى النوم ، ينام قليلا ، ثم يقوم ويستأنف الرحلة ، وهكذا حتى وصل إلى مدينة جلما ، ولم يتوقف في أي مكان في المدينة إلا في منزل عدوه أبي بكر ، فدخل المنزل دون استئذان ، فوجد امرأة فلما رأته كالمجنون أشعث أغبر والسيف مسلولا في يداه أصابها الرعب .

زجرها قائلا " أنت ، أين أبو بكر ؟ "

تحيرت ، ولم تستطيع الكلام رعبا ، فأمسك عنقها وهزها قائلا

" لألم تسمعيني أسألك ؟"

فأشارت له بيدها فى إحـــدى الحجــرات ، وقــد أعجزهـــا الخــوف عـــن الكـــلام ، فألقاهـــا علـــى الأرض ، ودخـــل الحجــرة، فقـــامت ، وقبـــل أن يصـــل أســـرعت وتصـــدرت الباب، وقالت " لا تدخـــل ! إن صـــاحب البيـــت يعـــاني مـــن آلام الاحتضـــار "

قال " افسح لأسبق القدر إليه ، فاليوم حـــانت نهايتـــه "

ثم دفعها ودخل الحجرة ، وقال " أين أنـــت ؟ " فلـــم يســـمع إلا حشرجة المحتضر وبعد برهة استطاع أن يـــرى مـــا فـــى الحجـــرة ، فـــرأى رجـــلا راقـــدا علـــى الســـرير ، وعينـــاه شاخصتان إلى السماء ، فتقـــدم إليـــه ، وأمســـك كتفـــه وأداره وقال " أبو بكـــر ؟ "

ففتح فمه بصعوبة وقال " مــــن ؟ "

قال " أنا هدية ابن المعلم شـــيخو ، اليـــوم حـــانت لحظـــة الجـــزاء "

عندما سمع أبو بكـــــر هـــذا الكـــلام حـــاول أن ينـــهض ، ولكنه وقع علي ظهره وجسده يرتعش ، وتذكر كـــل مـــا قالـــه لزينب قبل سنوات عديده ، فاســـتغرق فـــى تفكـــير عميـــق ، وأخذ يحدث نفسه قائلا " أعرف ذلك طالما قيـــل لـــي أن مـــن

يعمل مثقال ذرة خيرا يـــره " ثـــم نظـــر إلـــى هديـــة وقـــال " جئت تنتقم منى ؟ ولكن القدر سبقك إلى ، لقـــد فعلـــت كـــل ما أريد أن أفعله فيك وانتهى الأمـــــر "

لقــد تأخــرت :

ثم تمالك قوته واســتطاع أن يجلــس ، ومــد يــده مشــيرا إليه ، وقال بصــوت مرتفــع : لقــد تــأخرت ، الثــأر يــوم القيامة ، ثم وقع على الأرض وأســلم الــروح "

خرج هدية ، ولم يره أحد ، وأخذ يقول فـــى نفســه وهــو سائر " الله اكبر ، الله القاهر يفعل ما يشـــاء بعبــاده ! "

بعد أن خرج جاءت المرأة مــع جيرانــها وهــم يتســألون أين الرجــل ؟!"

قالت " فى حجرة رب البيـــت " فدخلــوا فوجــدوه ميتــا ، وحيدًا ، فبحثوا فى كل المنزل فلم يجــدوا أحــدا "

قالوا " ما شكل هذا الرجـــل ؟ "

قالت " لن استطيع وصفـــه "

لأننى حينما رأيته عجزت عن الكـــلام

فقالوا " لابد أنها رأت عزرائيــــل "

وامتلأ المنزل كله بصراخ النســـاء

ذهب هدية وجلس تحت شـــجرة خـــارج المـــنزل بـــالقرب من النهر ، بعد أن هدأت نفسه ، أخـــذ ينـــدم علـــى كـــل مـــا فعله منذ كان طفلا صغيرا حتى قتـــل أبـــاه ، ومـــرت عليـــه كل الأحداث كأنها حلم مخيـــف ، فقـــال " الله أنـــت المـــالك ، اعف عنـــي "

يعـود إلــى منــزل أبيــه :

ثم قام إلى النهر واستحم ، ودخل المدينــة وقـص شـعره، واشترى ثوبا وارتداه وقصد مـنزل أبيـه ، والتقـى بالخـادم الذي ولاه أبوه أمر المنزل فـي السـنوات الماضيـة ووجـد النساء قد تفرقن جميعا فأخبره أنه هدية ابـن المعلـم شـيخو، وأن أباه قد مات فتعجـب الخـادم لأنـه يـأس مـن سماع أخباره وأخبار أبنـه .

أخذه الخادم وذهب معه إلـى مـنزل الأمـير ، وبعـد أن تبادلوا التحية ، سأله الأمير من أيـن جـاء .

قال " من عند أبـي "

قال الأمير " هل هو حي ، منذ أن فارقنا لـم نسـمع شـيئا من أخبـاره؟"

قال هدية " عندما هاجر من هنا ذهب إلـى مدينـة تسـمى جروجي ، حيث عاش هذه السنوات ولكنـه مـات الآن لذلـك جئت لأرى حال المنزل قبل أن أعود لأحضـر والدتـي "

قال الأمير " هل اهتديـــت ؟"

قال " أطال الله حياتك " لا أحب أن أسمع شـــيئا عـــن هـــذا الأمر ، ما مضىَ لا رجعة لـــــه "

الأميـــر يباركـــه :

عندما سمع الأمير ذلك فرح كثـــيرا ، وباركـــه ، وقـــال " إذا كان ما تقوله حقا ، أريد أن تعود وتقيـــم هنـــا مـــن أجـــل المحبة التى تجمعني بـــأبيك

قال هدية " أطال الله حياتك ، شـــكرا ، عندمـــا أعـــود لـــن أنال شيئا من ميراث أبى حتى أرد الحقـــوق إلـــى مـــن لـــهم على "

ثم استأذن وخرج ، ولم يـــأخذ شـــيئا مـــن مـــنزل أبيـــه ، حتى الزاد ، وواصل رحلة العـــودة إلـــى جروجـــى فوصلـــها بعد عدة أيـــام

ذهب إلى أمـــه وأخبرهـــا بكـــل مـــا حـــدث وقـــال " الآن ينبغي أن نعود إلى مدينتنا وتعيشين هناك فـــى مـــنزلك "

قالت " وهو كذلك أنـــت تعـــرف أننـــى لـــم أهجرهـــا إلا مكرهة لأعيش هنـــا "

ذهبت وأخبرت الأمير أن ابنها قــد جــاء فقــال الأمــير " هل المعلم عثمان له ابن ؟ " أحضريه لأراه " فذهبــت إليــه.

عندما دخل نظر إليه الأمير وقال " لا شك أنــه ابنــه ثــم التفت إلى زينب وقال له " وهو كذلك وهــل لــه أخ ؟ "

قالت زينب هو الوحيــد "

سألها الأمير " هل تأتى لتعيشي فــى سـنكا ؟ "

قال " لا ، جئت لأعود بوالدتــى "

فأمر الأمير أن يذهبوا به ليدلوه على كــل ممتلكــات أبيــه ويقدرونها ويخصموا منها العشر فلما تــم ذلــك سـلموه كـل شيء .

فطالب أن يجمع لــه كــل فقــهاء المدينــة ليدعــوا لأبيــه فاجتمع عدد كبير أمام منزل أبيه فخرج بكثــير مــن الأشــياء وأخذ يوزعها عليهم جميعـــا ، حتــى انتــهت فدعــوا الله إن يرحم المعلم عثمان ثم تفرقــوا .

وفى اليوم التالى طلب أن يجمع لــه كـل المســاكين فلمــا اجتمعوا خرج إليهم بمــا تبقــى لديــهم فــى مــنزل أبيــه ، ووزعه عليهم ، ولما نفذ المال أخـــذ يــوزع عليــهم الثيــاب

والدواب ولكثرة ما كان لديه من ثـــروة لـم يبـق أحـد فـي المدينة إلا ونال من خيره ووزع كـل مـا ورث تمامـا ولـم يترك لنفسه الأبـرة .

وعندما انتهى من توزيــع المـيراث ذهـب إلـى الأمـير واستأذنه فتعجب كل سكان المدينة الذيـن لـم يـروا صنيعـا مثل هذا من قبل ، وترك المدينة وسارت أمـه وهـو خلفـها حتى وصلا إلى مدينة جلما ، فأنزلها فى مـنزل أبيـه وأخـبر الأمير وانتهوا من أمور الميراث وسلم كـل شـيء ليـد أمـه وقال لها " افعلي كل ما ترينـه مناسـبا أمـا أنـا فسـأذهب وأبحث عما يخفف عني مـا ارتكبـت مـن أثـم ، لعـل الله يرحمنـي "

ثم خرج وهو لا يمتلك إلا عصاه ، وحقيبـة كتبـه وإنـاء للوضـوء .

المشــروع القومـــى للترجمـــة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنميـــــة ثقافيـــة بالدرجـــة الأولى، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشـــروعات الترجمـــة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل ، معتمدا المبادئ التالية :

١. الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنــــة اللغتيــن الإنجليزية والفرنسية .
٢. التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجــــالات العلميـــة والفنية والفكرية والإبداعية .
٣. الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلـــم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
٤. ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة ، جنبا إلى جنـب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركـة الإبداع والفكر العالميين .
٥. العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مـــع لجنـــة الترجمـــة بالمجلس الأعلى للثقافة .
٦. الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنســـيق الجـــهود مـــع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١- مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥- الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦- أثينة السوداء	مارتن برنال	ت: بإشراف: أحمد عتمان
١٧- مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥- مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤- الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧- واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨- نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩- الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	أن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢- عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣- اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدى أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥- التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ ڤاين	ت : أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩- الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥- ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢- لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣- تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢- السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣- نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤- صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦- چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١- الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢- مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣- مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤- موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧- نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨- الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩- الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠- وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤- الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥- مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا مج ١	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١- النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣- قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع	چيرار چينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : د. أشرف على دعدور
١٠٧- صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩- حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقولاي إيفانوف	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥- موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبدالرؤوف البمبى
١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١- هوية فرنسا مج ٢ ، ج١	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا مج ٢ ، ج٢	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩- الإيديولوچية	ديڤيد هوكس	ت: إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومى
١٦١- من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت: نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	ت: سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت: شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق	ميغيل دليبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد	فرانك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	والتر ت. ستيس	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت: حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	ت: محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ت: ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت: فتحى العشرى

١٨٤- القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت: دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُزُرْج علوى	ت:محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	ت:بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	بول دى مان	ت:سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت:محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد
١٩٢- رحلة إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغى	ت:محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت:محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت:محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت:أشرف الصباغ
١٩٧- الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وأخرون	ت:إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت: فخزى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت: أحمد محمود هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت: على يوسف على
٢٠٧- ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت: محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	ت: محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت: سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت: محمد محمود محى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	ت: نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت: على إبراهيم على منوفى
٢١٩- بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت: طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت: على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت: رفعت سلام

٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	ت: نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	بول فيرابند	ت: السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت: منى عبدالظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥- حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت: السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت: طاهر محمد على البربرى
٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركى	ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت:مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	ت: أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت: جمال أحمد عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال	آرثر هومان	ت: طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر ترمنجهام	ت: فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين مولوى رومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل تود	ت: أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت: عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	الانكتاد	ت: ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رابوخ	ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١- فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت: صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت: على عبدالرؤوف البمبى
٢٤٤- الغليان	لاورا إسكيبيل	ت: نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت: توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	ت: على إبراهيم على منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	ت: محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت: عبداللطيف عبدالحليم عبدالله
٢٤٩- لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت: رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت: ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت: على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيميونوفا	ت: حسن بيومى
٢٥٤- الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- ديكارت	ديف روبنسون ، كريس جرات	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت: محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	ت: عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	أقلام مختلفة	ت: فاروجان كازانجيان

٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهري
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات	إدوارد منديثا	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت: على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس/ شلى	ت: لويس عوض
٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت: لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت: عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧- فن الرواية	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٦٨- ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	ت: شوقى جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣- الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	ت: عنان الشهاوى
٢٧٤- السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	ت: محمود مكى
٢٧٥- ت. س إليوت شاعرا وناقدا وكاتبا مسرحيا	أقلام مختلفة	ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما	فرانك جوتيران	ت: عبد القادر التلمسانى
٢٧٧- الچينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت: أحمد فوزى
٢٧٨- البدايات	إسحق عظيموف	ت: ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	ت: طلعت الشايب
٢٨٠- من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وأخرون	ت: سمير عبدالحميد
٢٨١- الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت: جلال الحفناوى
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت: سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق	خوان رولفو	ت: على البمبى
٢٨٤- هرقل مجنونا	يوريبيدس	ت: أحمد عتمان
٢٨٥- رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦- رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	ت: محمد يحيى وأخرون
٢٨٨- الفن الروائى	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٨٩- ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٢- المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربى	روجر الان	ت: نخبة من المترجمين
٢٩٤- فن الشعر	بوالو	ت: رجاء ياقوت صالح
٢٩٥- سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت: بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦- مكبث	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهوازى	ت: ماجدة محمد أنور

٢٩٨- مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٩٩- ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت: هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠- أسطورة برومثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج١	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١- أسطورة برومثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج٢	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢- فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣- بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد	كروزيو مالابارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧- الشعور	ديفيد بابينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨- علم الوراثة	ستيف جونز	ت: ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩- الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	ت: جمال الجزيرى
٣١٠- يونج	ناجى هيد	ت: محيى الدين محمد حسن
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت: فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت:أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت: عبدالله الجعيدى
٣١٤- الفن كعدم	جينس مينيك	ت: هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل برونديتو	ت: كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أ.ف. ستون	ت: نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	ت: أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت: أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايترى ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت: حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت: نخبة من المترجمين
٣٢٢- وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو يوجين كليتباور	ت: خالد مفلح حمزه
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت: هانم سليمان
٣٢٤- اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٢٥- عالم الآثار	فيليب بوسان	ت: كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت: حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت: توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت: محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت: سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت: سامية دياب
٣٣٢- القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	ت: على إبراهيم على منوفي
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت: بكر عباس

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١١٦٥٥

المركز المصري العربي ت : ٧٧٩٥٦٠٧

المجلس الأعلى للثقافة

مأساة العبيد وقصص أخرى

كانت لغة الهوسا تكتب بالخط العربى منذ عهد الشيخ عثمان بن فوديو حتى وصل الاستعمار الأوربى إلى هذه البلاد ، وعمل على إضعاف العلاقة بين المسلمين فى غرب أفريقيا وإخوانهم فى بقية أجزاء العالم الإسلامى ؛ فعمل على كتابة لغة الهوسا بالخط اللاتينى ، ورصد مكافأة سخية لمن يكتب الهوسا بهذا الخط ، وبناء عليه قام بعض الكُتَّاب بكتابة هذه المجموعة القصصية ، فكانت باكورة الإنتاج الأدبى بلغة الهوسا .

- فكتب أبو كر تفاوا قصة " الشيخ عمر " التى تعبر عن " مأساة العبيد " فى عهد الاستعمار ، وتصور تجارة الرقيق التى كانت تقوم على خطف الأحرار وبيعهم فى سوق الرقيق ، وما يلاقونه بسبب ذلك من سخرة وعذاب .

- وكتب محمدو بللو قصة " المغامر " ، وهى تعبر عن شاب مغامر عجز عن مقاومة المستعمرين الغزاة ، فخرج إلى الخلاء فاختطفته العفاريت ؛ فأخذ يحاربها ويحارب فى صفوفها ويحرز انتصارات متتالية ، واستمر معهم فترة من ا
بلاده فوجدها قد تغيرت فى ظل الاستعمار الإنجليزى .